# تاريخ فلسطين في العصر العباسي

(132-264هـ=750-878م)

شريف أمين أبو شمالة



# بطاقة فهرسة



**مكتبة جزيرة الورد**

**اسـم الكتاب** : تاريخ فلسطين في العصر العباسي

**المـؤلف** : شريف أمين أبو شمالة

رقم الإيداع :

**الطبعة الأولى** 2011



بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير بعنوان "فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر (132- 264هـ / 750- 878م)" أعدها المؤلف بإشراف الأستاذ الدكتور خالد يونس الخالدي، وقد نوقشت وأجيزت من الجامعة الإسلامية بغزة بتاريخ 2011/6/12م.

# إهداء

إلى روح والديَّ رحمهما اللّه...

اللذين غادرا دنيانا أثناء كتابة هذه الرسالة.

وبعد أن أديا الأمانة على أتم وجه.

إلى الأخت الكبرى «أم فخر».

التي كان لها كبير الفضل في التشجيع والسؤال الدائم والاهتمام المتواصل.

إلى زوجتي العزيزة «أم وائل».

التي احتملت وصبرت.

**الباحث**

# شكر وعرفان

قبل البدء،

لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر إلى أستاذي الفاضل، الدكتور خالد يونس الخالدي، الذي تفضل بالإشراف على رسالتي، ولم يبخل عليَّ بوقته وجهده وتوجيهاته.

والشكر موصول،

إلى أولئك الفرسان، من عرب وعجم، الذين يسعون لنشر الكتب مُصوَّرة، في فضاء المعارف الحر، وبلا مقابل، للجميع، وللمحاصَرين أمثالنا.

ولست أنسى،

كل من كان له فضل، قل أو كثر، في إنجاز هذه الرسالة، فللجميع كل الشكر والعرفان.

**الباحث**

# قائمة الرموز والمختصرات

| | |
|---|---|
| ت | توفي |
| ج | جزء |
| د.ت. | دون تاريخ |
| ص | صفحة |
| ق | قسم |
| ع | عدد |
| م | ميلادي |
| مج | مجلد |
| هـ | هجري |
| p. | صفحة |
| pp. | الصفحات |
| vol. | جزء |
| Ibid | المصدر السابق |
| [...] | ما بين المقرنتين من إضافة الباحث على النص المقتبس. |

# تقديم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فأصل هذا الكتاب هو الرسالة العلمية المعنونة: « فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر » وقد شَرُفْتُ بالإشراف عليها، وأَشْرُفُ اليوم وأفخر بأن أقدِّم لها، لتصبح كتاباً منشوراً يصل إلى القارئ العربي الكريم، وهي تؤكد بأصالة موضوعها، وإتقان خطتها، وغزارة معلوماتها، وعمق تحليلاتها، وأهمية نتائجها، صحة قناعتي، التي دعوتُ وما زلتُ أدعو إليها في محاضراتي ومقالاتي، بضرورة أن تُوجَّه نخبةٌ متميزة من أبنائنا الأذكياء المتفوقين نحو دراسة التاريخ، باعتباره علمٌ لا يُبدع فيه إلا أصحاب العقول الذكية، والهمم العالية، والثقافة الواسعة، ولأنه من أكثر التخصصات اللازمة لصناعة القادة الناجحين، التي تحتاجهم الأمة وفلسطين، وقد وجدتُ هذه الصفات في صاحب هذا الكتاب الأخ العزيز شريف أبو شمالة، منذ أن كان طالباً في كلية الهندسة، في الجامعة الإسلامية بغزة، ورئيساً لمجلس طلابها، فتمنيتُ أن أجد أمثاله بين طلاب قسم التاريخ، وقدّر الله أن يحضر شريف لي محاضرة خارج الجامعة بعنوان: « التاريخ أثره وفائدته »، بعد أن تخرج من كلية الهندسة بتقدير جيد جداً، فأحب بعد سماعها التاريخ، وتحمس للتخصص فيه، فشجعته على الالتحاق ببرنامج ماجستير التاريخ في الجامعة الإسلامية، فالتحق به، وكان الأول على دفعته، ثم أبدع هذه الرسالة القيمة التي تناول فيها موضوعاً مهماً لم يسبقه إليه أحد، بالرغم من كثرة الموضوعات التي تناولت تاريخ فلسطين، لقد أحجم الباحثون عن الخوض فيه كل هذه المدة لندرة معلوماته في المصادر والمراجع العربية، واستطاع الباحث أن يتغلب على ندرة المعلومات من خلال البحث بصبر وأناة في أكثر من 165 مصدراً،

تنوعت بين التاريخ والجغرافيا والحديث والفقه واللغة، فضلاً عن عشرات المراجع والموسوعات والمجلات العربية والأجنبية، ونجح في تحليل هذه المعلومات وتركيبها وإخراجها بشكلها الرائع هذا، الذي من المؤكد أنه سيفيد القارئ العربي، ويجعله على يقين بأن فلسطين التي نعمت بالعيش لمئات السنين في ظل الحكم العربي الإسلامي لن تبقى طويلاً في أيدي المحتلين اليهود.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**د. خالد يونس الخالدي**

**رئيس مركز التأريخ والتوثيق الفلسطيني**

**رئيس قسم التاريخ بالجامعة الإسلامية بغزة سابقاً**

**غزة في 3/ 1/ 2012م**

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، محمد صلى الله عليه وسلم، أما بعد.

فإن البحث في تاريخ فلسطين خلال الحقبة التي تغطيها الدراسة يكتسب أهمية خاصة، حيث إنها تأتي بعد أن عاشت فلسطين واحدة من أزهى مراحل تاريخها الإنساني، في عهد الدولة الأموية، فضلاً عن التغير في اهتمامات وقناعات وممارسات العباسيين تجاه العديد من القضايا التي كانت محل اهتمامات سلفهم، وهي حقبة تعكس الموقف الحقيقي لخلفاء بني العباس تجاه فلسطين وموقف أهلها منهم.

وتغطي الدراسة الحقبة التي خضعت فيها فلسطين للحكم العباسي المباشر، إذ كانت إدارتها تتم إما بقرار من الخليفة أو من يفوضه، وتمتد من سقوط الدولة الأموية ودخول الجيش العباسي فلسطين في نهاية عام (132هـ/ 750م)، حتى قيام أحمد بن طولون بضمها إلى دولته الجديدة، التي استقل بها عن الخلافة عام (264هـ/ 878م). أما الحدود المكانية فهي المنطقة التي تشكل منها جند فلسطين خلال فترة الدراسة، وهو الأمر الذي تم تحديده في الفصل الثاني.

وبين تحذير كثير من المختصين الذين رأوا في شح المصادر وقلة المعلومات، وإهمال العباسيين للشام وتراجع دورها الفاعل عموماً سبباً في تحذيرهم، وبين تشجيع آخرين رأوا ضرورة أن يُقَدَّم كل ما يتعلق بتاريخ تلك الفترة في دراسة أكاديمية تسد النقص، وتكون حلقة في سلسلة تاريخ فلسطين في عهدها الإسلامي، عزمت على الخوض في هذه الدراسة، بعد التوكل على الله يدفعني إلى ذلك أسباب عدة، منها:

- أن هذا الموضوع -على أهميته- لم يتم دراسته دراسة أكاديمية وافية، تعطيه حقه وتقف على مختلف جوانبه.
- المساهمة بشكل موضوعي ومنهجي في التأريخ لفلسطين أرضاً وشعباً وحضارة في عصورها الإسلامية الأولى.
- لمعرفة موقف أهل فلسطين من الحكم العباسي الجديد، وعلاقتهم به، ودورهم في تشكيل المشهد السياسي العام للخلافة، وكيف عالجت الأزمات السياسية.
- بيان مدى اهتمام العباسيين بفلسطين، وأثر سياساتهم في النظم الإدارية والمالية وكذلك أثرها على النشاط الاقتصادي.
- محاولة استكشاف المجتمع الفلسطيني خلال فترة الدراسة بمكوناته، وطوائفه، ومعرفة ما هي العوامل المؤثرة فيه.
- الرغبة في التعرف على مدى محافظة فلسطين وبيت المقدس على المكانة الدينية في قلوب الفئات المختلفة من ساسة وعلماء وعباد ومتصوفة وغيرهم، وهل ارتبط ذلك بالثقل السياسي الذي حظيت به فلسطين خلال العهد الأموي؟.
- استقصاء واقع الحياة العلمية في فلسطين للوقوف على أبرز العلماء ودورهم الحضاري، وبيان أوجه النشاط والقصور، وما مدى تأثرها بالعوامل المحيطة.

- استكشاف الإرث المعماري والعمراني الذي خلفته تلك الفترة، وما مدى تحقيقه لوظيفته؟ وأثر العوامل عليه.

وقد واجهت الباحث عدد من الصعوبات؛ تمثلت في عدم توفر كثير من الوثائق والمصادر العربية والسريانية والأجنبية في المكتبات المحلية، مما اضطر الباحث للاستعانة بعدد كبير من المصادر المصورة المنشورة في المكتبات العربية والعالمية، كذلك واجهت الباحث صعوبة في استخراج المعلومات من هذه المصادر لقلتها وتفرقها، فضلاً عن معوقات فنية تمثلت في الحصار الظالم وعدم التمكن من السفر للحصول على بعض المصادر المطبوعة والمخطوطة والاطلاع على الدراسات الأثرية والوثائق والنقود التي تخص فترة الدراسة في المتاحف والكتالوجات، وكان من المعوقات كذلك كثرة انقطاع التيار الكهربائي وانتشار الضوضاء الناجمة عن المولدات.

وجاءت الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، أما المقدمة فتضمنت لمحة موجزة عن موضوع الدراسة والأسباب الدافعة لدراسته، وأهم التساؤلات التي تسعى الدراسة للإجابة عليها، مع تحليل لأهم المصادر التي اعتمدت عليها.

وقد بحث الفصل الأول الأوضاع السياسية، مبتدئاً بإلقاء نظرة سريعة وشاملة على أهم الأحداث السياسية أواخر العهد الأموي، ودور فلسطين وأهلها فيها، وأثر ذلك في اضطراب الدولة وإضعافها، ثم تقصى الأحداث المصاحبة لعملية السيطرة العباسية على فلسطين وملاحقتهم لمروان بن محمد على أرضها، مع بيان موقف كبرى القبائل الفلسطينية وزعامتها منه، ثم تتبع الفصل أهم الأحداث السياسية التي حلت بفلسطين والوقوف على دوافعها، ونتائجها ومدى المشاركة الشعبية فيها، وطرق معالجة الخلافة لها.

وقدم الفصل الثاني دراسة في «التنظيمات الإدارية والمالية»، وفيه حاول الباحث تمييز حدود فلسطين آنذاك، والوحدات الجغرافية والإدارية التي شكلتها، ثم تتبع أهم النظم والمؤسسات الإدارية والمالية التي أخذت على عاتقها تسيير الحياة العامة، مبيناً مهامها وأدوارها وعلاقاتها بالخلافة والسكان.

وجاء الفصل الثالث ليسلط الضوء على «المجتمع والإقتصاد»، وتم من خلاله بيان الطوائف الدينية والعرقية المكونة للمجتمع الفلسطيني، كما بين الأحوال العامة لتلك الطوائف وعلاقاتهم وعاداتهم وتقاليدهم المجتمعية وما يتصل بذلك من مباحث، كما تضمن الفصل دراسة في النشاط الاقتصادي في جوانبه الزراعية والصناعية والتجارية، مع بيان نواحي التميز، والعوامل المؤثرة في ذلك.

ودرس آخر الفصول «العلوم والعمران»، حيث تقصى الباحث من خلاله الأوضاع العامة للحياة العلمية، فضلاً عن إبراز علماء فلسطين وإسهاماتهم في المسيرة الحضارة الإنسانية، والعوامل التي أثرت في ذلك، وختم الفصل بدراسة عمرانية ومعمارية زاوجت بين التاريخ والآثار، لأهم العمائر والمنشآت التي شيدت فترة الدراسة على اختلاف وظائفها وأساليب إنشائها. وانتهت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها.

واعتمدت الدراسة على عدد كبير ومتنوع من المصادر والمراجع الحديثة التي ساهمت في إثراء مادة البحث.

وقد حرصت خلال البحث على التعريف بعدد من المواضع والشخصيات والمصطلحات التي غلب على ظني عدم معرفة القاريء بها، أو لم تذكر صفتها أو دورها أثناء الدراسة.

وفي النهاية، أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن أكون قد وفقت فيما طمحت له من إنتاج حلقة في سلسلة تاريخ فلسطين في عصرها الإسلامي.



# تحليل المصادر

تنوعت مصادر الدراسة، وشملت مجموعة كبيرة من المصادر التاريخية والجغرافية العربية والأجنبية، كما أفادت من المصادر الحديثية والفقهية والأدبية، وكذلك كتب التراجم والطبقات والأنساب.

ومن المصادر الأخرى التي أفادت منها الدراسة، تلك التي عنيت بالوثائق والعملات والمكتشفات الأثرية، وكذلك بعض الموسوعات الأجنبية التي تسنى لكتابها الاطلاع على مصادر غير متاحة للباحث.

واختلفت نسبة الإفادة من هذه المصادر حسب قرب المعلومات وأهميتها من الموضوع محل الدراسة، فقد قدمت مصادر التاريخ العام معلومات أفادت منها جميع فصول الدراسة، لا سيما تلك التي تتعلق بالسياسة والإدارة، مثل تاريخ خليفة بن خياط (ت:240هـ/ 854م)، وتاريخ اليعقوبي (ت:283هـ/ 896م)، ومروج الذهب للمسعودي (ت:346هـ/ 957م)، وقد امتازت كثير من هذه المصادر بقربها من الأحداث التي أرخت لها، وبتنوع اتجاهات أصحابها ومناهجهم، مما عزز من فرص رسم صورة متكاملة للأحداث السياسية، أو نقدها أحياناً أخرى.

وكان تاريخ الأمم والملوك للطبري (ت:310هـ/ 922م) أكثر مصادر التاريخ العام التي أفادت الباحث في فصل الأوضاع السياسية، إذ أعطى صورة دقيقة عن مؤسسة الخلافة وعلاقتها بفلسطين، وامتازت رواياته بذكر كثير من تفاصيل الأحداث السياسية التي دارت في فلسطين، سواء اضطراب الأوضاع فيها قبيل السيطرة العباسية أو بعدها، ولا سيما الثورات، مثل ثورة أبي حرب المبرقع اليماني وغيرها، كما ذكر عدداً ممن تولى إدارة جند فلسطين مباشرة أو تفويضاً.

وقدمت المصادر الأجنبية والمصادر التاريخية لغير المسلمين، معلومات قيمة تتعلق بأحوال أهـل الذمـة، ، مثـل حوليـات ثيوفـانس (ت:201هـ/ 817م) ( The Chronicle of Theophanes)، وما ورد عند ابن البطريق (ت:328هـ/ 939م) في كتابه «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق» الذين تحدثا عن بعض أحوال النصارى، وكذلك تاريخ أبي الفتح السامري، المسمى «كتاب التاريخ عن الآباء رضي الله عنهم»، وقد كتبه بالعربية في نابلس عام (756هـ/ 1355م)، وكان أبو الفتح واحداً من الكهنة السامريين، مما وفر له فرص الاطلاع على مصادر متقدمة، مما جعله ينفرد بذكر بعض أحوال وأحداث وقعت للسامريين في فلسطين فترة الدراسة.

ومن المصادر التاريخية الأخرى التي استفادت منها الرسالة التواريخ الخاصة بالبلدان التي كان لها علاقات مع فلسطين، مثل الكتاب الخاص بتاريخ مصر «الولاة والقضاة» للكندي (ت:350هـ/ 961م)، وتميز منها «تاريخ دمشق» لا بن عساكر (ت: 571هـ/ 1175م) الذي امتلأ بمعلومات متفرقة استفادت منها الدراسة في الجوانب الإدارية والاجتماعية، والعلمية، حيث ترجم لعدد من الشخصيات الفلسطينية أو التي ارتبطت بأحداثها خلال فترة الدراسة، مثل القادة العباسيين والعلماء والقضاة وغيرهم، كما حملت رواياته إشارات على الجوانب الاجتماعية والعادات والتقاليد.

وتأتي في المرتبة الثانية، من المصادر التي استفادت منها الدراسة المصادر الجغرافية التي تمثلت في كتب المسالك والجغرافية والبلدان والرحلات، العربية منها والأجنبية، مما أتاح الفرصة للوقوف على حدود فلسطين وما تحويه من كور (محافظات) وما كان يتبعها من قرى ومواضع.

وكان من أغزرها معلومات ما دونه البشاري المقدسي (ت: نحو 380هـ/ 990م)، في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، حيث قدم أوصافاً دقيقة لجغرافية فلسطين وأقسامها الطبيعية، ووصف الجوانب الاقتصادية والإجتماعية والعمرانية، ففصل في المناطق الزراعية ومنتجاتها وما يميزها من منتجات وما تشترك به مع غيرها، وذكر أهم الصناعات ولا سيما التي تعد للتصدير، وذكر كثيراً من مشاهداته المتعلقة بالجوانب الاجتماعية والعادات والتقاليد وعن الطوائف الدينية، كما تحدث عن غالبية مدن فلسطين، وعمرانها وبيوتها ومساجدها وأسواقها، وقدم وصفاً دقيقاً للمسجد الأقصى الذي أعاد بناءه المهدي، مما أفاد كثيراً في مباحث المجتمع والاقتصاد والعمران.

ومن أهم المصادر التي ذكرت أماكن النصارى وكنائسهم في فلسطين فترة الدراسة، كل من رحلة ويلبالد (Willibald) الذي تكررت زيارته للقدس ونواحيها في الفترة (103-108هـ/ 721-727م)، وبرنارد الحكيم (Bernard The Wise) الذي زار فلسطين عام (253هـ/ 867م)، بعد أن أخذ إذناً خاصاً من بابا روما، وقد دونت رحلتيهما ضمن كتاب (Early Travels in Palestine)، وامتازا بأنهما معاصران لفترة الدراسة، مما يضفي على المعلومات التي قدماها قدراً كبيراً من الأهمية.

وحفلت المصادر الفقهية بإشارات ومعلومات مهمة عن الجوانب الإدارية والتنظيمات المالية، ويأتي في مقدمتها «كتاب الخراج» لأبي يوسف (ت: 182هـ/ 798م) الذي ذكر فيه محددات الذين تؤخذ منهم الجزية والخراج وضوابط تحصيلها، وما يجب أن يصاحبها من رفق، وتنبع أهمية معلوماته، من معاصرتها لفترة الدراسة وقربها من مؤسسة الخلافة التي كانت مهتمة بموضوع الخراج، حيث كتبه أبو يوسف بناء على طلب من الخليفة هارون الرشيد.

وكان كتاب «الأحكام السلطانية» للماوردي (ت:450هـ/ 1058م) غنياً بالمعلومات عن الوظائف الإدارية، وشروط العاملين فيها والواجبات الملقاة عليهم، وضوابط أدائهم لمهامهم، وهو مما أفاد الدراسة في فصل التنظيمات الإدارية والمالية.

وقدمت المصادر الحديثية، ولا سيما كتب الطبقات والتراجم والرجال منها، معلومات قيمة ساعدت الباحث في تقصي ملامح الحياة العلمية في فلسطين والوقوف على إسهامات علمائها ودورهم في البناء الحضاري الإنساني.

ويأتي في مقدمة تلك المصادر التي أفادت منها الرسالة، كتاب «تهذيب الكمال» للحافظ المزي (ت:742هـ/ 1341م)، حيث احتوى على تراجم واسعة ووافية لعلماء فلسطين وبيَّن إسهاماتهم، ولا سيما في مجال الحديث الشريف، كذلك كانت مؤلفات الإمام الذهبي ( ت: 748هـ/ 1348م ) خاصة كتابيه «سير أعلام النبلاء» ، و«تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام». وفيهما قدم تراجم لعلماء فلسطين ومشاهيرها من أهل الفضل، واحتويا على عدد كبير من الروايات التي بينت المكانة العلمية والتخصصات المشهورة في فلسطين، كما كان «تاريخ الإسلام» غنياً بالإشارات على الأوضاع العامة في الحياة العلمية.

وأفاد الباحث من الموسوعات الأجنبية المتخصصة، التي احتوت على عدد من المقالات لباحثين توفرت لهم فرصة الاطلاع على مصادر ووثائق خاصة بهم، مثل موسوعة الإسلام (Encyclopedia of Islam)، فقد ذكرت معلومات عن الأعراق التي يعود لها النصارى في فلسطين، وعلاقاتهم مع نصارى أوربا، وذكرت الموسوعة اليهودية، بعض المعلومات عن اليهود وفرقهم، وأفادت منها الدراسة في بيان قلة عددهم وندره ذكرهم حتى في المصادر اليهودية.

هذه لمحة سريعة عن أهم مصادر الدراسة وأصنافها، وهي مثبتة في قائمة المصادر والمراجع في نهاية الدراسة، وقد راعيت فيها التنوع والتعدد والشمول لتعطي صورة صادقة عن تاريخ تلك الحقبة بكل مكوناته ومجالاته محل البحث.

وقد راعيت كذلك الرجوع إلى عدد كبير من المراجع الحديثة، وأفادت منها، وناقشت كثير من آراء أصحابها، معتمداً في ذلك التحليل المستند على المصادر المتاحة.

تاريخ فلسطين في العصر العباسي

# الفصل الأول

## الأوضاع السياسية في فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر

# المبحث الأول
# الأوضاع السياسية قبيل الحكم العباسي

شكلت فلسطين في وجدان المسلمين أحد مراكز الجذب الروحي المهمة، فمنذ بداية مرحلة النبوة، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يزال في مكة، شهدت أرضها ومسجدها الأقصى زيارته إليها خلال رحلة الإسراء والمعراج[1].

كما أن القرآن الكريم قد خلدها في آياته، وصرَّح بوجود البركة فيها وحولها فقال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾[2]، ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[3]، وأكد على قدسيتها، فقال على لسان موسى عليه السلام: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾[4]، وزاد ارتباطهم بها لما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه بيت المقدس قبلة لهم ستة عشر شهراً[5]، كما أنه صلى الله عليه وسلم خصها بأحاديث تفيد بصيرورتها أرضاً للمحشر والمنشر يوم القيامة[6][7].

---

(1) ابن هشام: سيرة ابن هشام، ج1، ص396.

(2) سورة الإسراء، آية 1.

(3) سورة الأنبياء، آية 71.

(4) سورة المائدة، آية 21.

(5) مالك: الموطأ (رواية يحيى الليثي)، ج1، ص196؛ البخاري: صحيح البخاري، ج1، ص17.

(6) ابن حنبل: المسند، ج45، ص597.

(7) للمزيد حول مكانة فلسطين ومقدساتها عند المسلمين، ينظر: الضياء المقدسي: فضائل بيت المقدس، ص39-96؛ الشهاب المقدسي: مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ص65-105؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص226-240.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، أعلن أبو بكر الصديق انطلاق مرحلة الفتوح الإسلامية، فعقد الألوية لقادة الجيوش الإسلامية، ومنهم عمرو بن العاص، الذي سيره نحو فلسطين[8]، فكانت أولى المعارك بين جيش الفتح الإسلامي والروم (البيزنطيين) -الذين كانوا يحتلون فلسطين آنذاك- قرب غزة في داثن[9] نهاية عام (12هـ/ 634م)[10].

واستمرت حركة الفتح لمدن فلسطين تباعاً، ففتحت سبسطية ونابلس ثم يبنى وعمواس وبيت جبرين ويافا ورفح، وكان فتح إيلياء (بيت المقدس) من الأحداث المميزة في حركة الفتح الإسلامي[11]، ثم حتى أكمل معاوية بن أبي سفيان تحرير فلسطين بفتح عسقلان صلحاً[12] بعد فتح قيسارية عنوة عام (19هـ/ 640م)[13].

غدت فلسطين بعد الفتح ذات مكانة رفيعة في عهد عمر بن الخطاب والراشدَين من بعده، حتى دخلت عهدها الأموي على يد معاوية بن أبي سفيان، الذي عرفها حين كان والياً عليها من قبل، ليختارها مقراً لأخذه البيعة، والتي تمت له في بيت المقدس عام (40هـ/ 660م)[14].

(8) الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص14-15.

(9) **داثن:** لا تحفل كتب البلدان بذكر معلومات عنها سوى المذكور في المتن، وهي من القرى المندثرة، وتقع إلى الشرق من غزة على بعد ثمانية عشر ميلاً، أي في منطقة السبع جنوب فلسطين. حسين عطوان: الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ص27.

(10) البلاذري: فتوح البلدان، ص 117.

(11) المصدر نفسه، ص144؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص299-300.

(12) خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص141؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص 169؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص511، 588.

(13) البلاذري: فتوح البلدان، ص 148.

(14) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص166؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج1، ص159.

وقد لعب أهل فلسطين دوراً مميزاً في تثبيت الخلافة لبني أمية بعد وفاة يزيد بن معاوية واعتزال ابنه معاوية بن يزيد، وقاد هذا الدور أحد قادة اليمانية في فلسطين، وهو روح بن زنباع الجذامي (ت: 84هـ/ 702م)[15]، الذي وقف إلى جانب مروان بن الحكم، وقاد حملة لصالح مروان أدت لوصوله إلى الخلافة[16]، وبالفعل انتقلت الخلافة إلى مروان بن الحكم، وارتفعت مكانة روح عند مروان وابنه عبد الملك. حتى أنه «كان أجل الناس عند عبد الملك»[17]، وصار «لا يكاد يفارقه، وهو عنده بمنزلة وزير»[18].

وحرص الخلفاء الأمويون أن يكون ولاة فلسطين من أبناء بيتهم، مثل: أبان بن مروان[19]، وسليمان بن عبد الملك[20]، وسعيد بن عبد الملك[21]،

(15) **روح بن زنباع (ت: 84هـ/ 702م):** جذامي، أمير فلسطين، وأحد أبرز قادة القبائل اليمانية في فلسطين والشام زمن الأمويين، كان شبه الوزير لعبد الملك بن مروان، ترك خلفه عدد من الأبناء الذين سيرد ذكرهم في هذا الفصل، مثل سعيد وضبعان، وحفيده الحكم. انظر ترجمته في: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج5، ص41؛ ابن الأثير: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2، ص505- 506؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج4، ص251؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص34.

(16) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 256؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص382؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص479.

(17) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص166؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج1، ص159.

(18) ابن العماد: شذرات الذهب، ج1، ص95.

(19) ابن قتيبة: المعارف، ص 200.

(20) خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص 298، البلاذري: أنساب الأشراف، ج8، ص99؛ ابن أعثم: الفتوح، ج4، ص157.

(21) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج21، ص214؛

واهتموا كذلك بأهلها واستقرارها، وعمرانها وعمارتها سواء الدينية، كبناء قبة الصخرة وعمارة المسجد الأقصى[22]، أو المدنية مثل ما قام به سليمان بن عبد الملك من تمصير مدينة الرملة، وإنشاء مرافقها كدار الصباغين، وحفر الآبار، وشق قنوات المياه في المدينة[23]، فضلاً عن اهتمامهم بالثغور الساحلية وتحصينها، كقيسارية وعكا وعسقلان[24].

وبموت الخليفة هشام بن عبد الملك عام (125هـ/ 743م)، «مات ملك بني أمية، وتولى وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله واضطرب أمرهم جداً، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحواً من سبع سنين، ولكن في اختلاف وهيج، وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم وملكهم، وقتلوا منهم خلقا وسلبوهم الخلافة»[25].

وقد بدأ الاضطراب بمجيء الوليد بن يزيد إلى الخلافة كولي للعهد بعد موت عمه الخليفة هشام بن عبد الملك، وكان هشام قد حاول أن يحوِّل الخلافة منه إلى نجله مسلمة، فأبى الوليد ذلك، «فتنكر له هشام»، وأخذ يضيق عليه، وحرمه من بعض امتيازاته[26]، متعللاً بما رأى من تردي حال الوليد، وما يشاع عنه من إتيان للمحرمات[27]، مما أوغر صدر الوليد على عمه وأبنائه وأعوانه ومن وافقه على إزاحته.

(22) انظر مفصلاً: مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج1، ص272 وما بعدها.

(23) البلاذري، فتوح البلدان، ص 170 وما بعدها؛ صادق أحمد جودة: مدينة الرملة منذ نشأتها حتى عام 492هـ، ص 27-43.

(24) البلاذري، فتوح البلدان، ص 140، 169، 170؛ علي محمود فهمي: التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط، ص60 – 61.

(25) ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص387.

(26) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص 222.

(27) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص 166.

فلما تولى الوليد الخلافة أراد الانتقام منهم، «فثقل على الناس وعلى جنـده، واشـتد عـلى بنـي هشام، حتى ضرب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه إلى عمَّان[28] من أرض الشام»[29]، وحبسه هناك، وظل محبوساً حتى مقتل الوليد بن يزيد[30]، كما أنه سلَّم خالد بـن عبـد الله القسري[31]، بطريقة مذلة ومهينة، إلى يوسف بن عمر، واليه على العراق، فتفنن في تعذيبه حتـى فارق الحياة[32]. وعذب الوليد وقتل عدداً آخر من قادة القبائل وعمال الولايـات الـذين سـاندوا عمه هشام في محاولته تحويل الخلافة عنه[33].

(28) **عمَّان:** بلدة قديمة كانت معروفة أيام الرومان، وهي على سيف البادية، وفي عهدها الإسـلامي كانـت قصـبة إقلـيم البلقاء المجاور لفلسطين من الناحية الشـرقية، وهـي الآن عاصـمة المملكـة الأردنيـة الهاشـمية. يـاقوت: معجـم البلدان، ج4، ص150–151.

(29) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص 166؛ مجهول: العيون والحدائق، ص130–131.

(30) مجهول: العيون والحدائق، ص151.

(31) **خالد بن عبد الله القسري:** (ت: 126هـ/ 744م) من وجوه القبائل اليمنية، وأحد ولاة بني أميـة المشـهورين، ولي مكة في عهد الوليد بن عبد الملك، ثم ولي العراق في خلافة هشام بن عبد الملـك، وكـان مشـهوراً بـالكرم والغنـى، ومعروف بشهامته وجرأته، ويحمد له أهل العلم قتله اثنين من كبار الزنادقة في عهده، كانت نهايته كما ذكر في المتن. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج3، ص20–26؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص425–432.

(32) خليفة: تاريخ خليفة، ص 362؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص347–348؛ اليعقوبي: ج2، ص 331؛ الطبـري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص 247–250؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص53.

(33) خليفة: تاريخ خليفة، ص 362؛ اليعقوبي: ج2، ص 331.

وعلى إثر موجة التصرفات الانتقامية التي قام بها الوليد، والتي كانت بعيدة عن الحكمة، تشكلت حركة مناهضة له، قاد التحريض لها ابن عمه، يزيد بن الوليد، وائتلف معه عدد من أكابر بني أمية، وأعيان الدولة[34]، ونسبوا له عدد كبير من الطعونات عليه حتى نالت من عقيدته، فاتهم بالزندقة[35]، وغيرها من تهم الفساد والتعدي على الحرمات[36]، ونسبوا له من الشعر ما ينتقص من القبائل اليمانية[37]، التي حقدت عليه لقتله خالد بن عبد الله القسري[38]، «فلما سمع من كان بأقطار الشام من اليمانية هذا الشعر أنفوا أنفا شديدا، فاجتمعوا من مدن الشام، وساروا نحو الوليد بن يزيد»[39]، وقتلوه في قصره في العام (126هـ/ 744م)، وبويع ليزيد بن الوليد، قائد حركة الإطاحة بالوليد، فتولى الخلافة من بعده[40]. وبذلك تكون فلسطين قد دخلت مرحلة جديدة مليئة بالأحداث والاضطرابات التي أثرت بشكل مباشر على الأحداث بعدها، ولا سيما في مرحلة السيطرة العباسية عليها.

(34) ابن الطقطقا: الفخري في الآداب السلطانية، ص134-135.

(35) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص 167.

(36) تسلل إلى كتب التاريخ عدد من القصص والأشعار التي تتهمه بالفسوق، انظر مثلاً: البلاذري، أنساب الأشراف، ج9، ص145 وما بعدها؛ مجهول: العيون والحدائق، ص115 وما بعدها؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص 222 وما بعدها.

(37) درس الباحث حسين عطوان، هذه القصيدة من ناحية أدبية وتاريخية، وخلص إلى أنها من وضع اليمانية أنفسهم لزيادة الحقد عليه. انظر: الوليد بن يزيد عرض ونقد، ص434.

(38) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص 167.

(39) الدينوري: الأخبار الطوال، ص350.

(40) خليفة: تاريخ خليفة، ص 363.

ويرى بعض المؤرخين والباحثين المحققين، أن روايات اتهام الوليد بالفسوق والتعدي على الحرمات أمر فيه مبالغة وتجني، فيقول ابن الأثير: «وقد نزه قوم الوليد مما قيل فيه وأنكروه ونفوه عنه، وقالوا: إنه قيل عنه وألصق به وليس بصحيح»[41]، ونقل عدداً من القصص التي تظهر خلاف ما يتهم به، وبعد دراسةٍ أدبية وتاريخية لحياته تبين للباحث حسين عطوان أن الوليد كان مظلوماً فيما نسب إليه، حيث «حمل عليه الوضاعون أشعاراً ماجنة ليست له، ونحلوه أشعاراً أخرى تنطق بالكفر والإلحاد والزندقة»[42]، وبعد دراسة تاريخية لحياة الوليد استنتج المؤرخ عبد الشافي محمد عبد اللطيف أن السبب الحقيقي للثورة على الوليد هو سياسته غير الحكيمة مع أبناء أعمامه، ومع بعض الولاة ذوي العصبية في الدولة، و «ما رمي به من التهم والشناعات ما كان إلا لخلق رأي عام يتقبل تلك الجريمة»[43].

كانت أولى نتائج مقتل الوليد وتولي يزيد بن الوليد (الناقص)[44] الخلافة -بالنسبة لفلسطين- أن قسماً كبيراً ومؤثراً من أهلها رفض بيعته، وعدَّ توليه الخلافة بعد قتل الوليد اغتصاباً لها، وبذا يفقد شرعيته من الناحية النظرية والعملية، وترأس هذه الحركة سعيد بن روح بن زنباع، «رأس أهل فلسطين يومئذ»[45] مع أخيه ضبعان، فقام سعيد بمراسلة يزيد بن سليمان بن عبد الملك، سيد أبناء والي فلسطين الأسبق (سليمان بن عبد الملك)، يطلب منه أن يقدم عليهم حتى يولوه أمرهم، وقام سعيد بن روح بجمع قومه وحشدهم حول مرشحهم لولاية أمرهم، والخلافة من بعدها، وأرسل إلى سعيد بن عبد الملك عامل الوليد على فلسطين، وكان حينها نازلاً بمنطقة السبع، يطلب منه الرحيل عنها، بدعوى أن الأمر قد اضطرب، وأنهم قد ولوا أمرهم رجلاً قد رضوه أن يكون والياً عليهم، فلم يواجه سعيد حركة تمرد أهل فلسطين وغادرها إلى دمشق حيث مقر الخليفة الجديد يزيد بن الوليد[46].

(41) الكامل، ج4، 486.

(42) الوليد بن يزيد عرض ونقد، ص220.

(43) العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص199- 200.

(44) لقب بالناقص لأنه نقص الجند من أرزاقهم. ابن قتيبة: المعارف، ص207.

(45) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص 254.

(46) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص 254؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 488-489.

وكان سبب اختيار أهل فلسطين ليزيد بن سليمان أن يزيد وإخوته كانوا يقيمون بينهم ويحسنون جوارهم، فضلاً عن أنهم كانوا يضعون ضياعهم ومزارعهم تحت تصرفهم دون مقابل(47).

أما الوالي الجديد، المعين أو المنتخب، من قبل أهل فلسطين، يزيد بن سليمان بن عبد الملك، فإنه عزم على المضي فيما أقحمه فيه سعيد ابن روح، فدعاهم إلى قتال يزيد بن الوليد، طلباً لدم الوليد بن يزيد، واعتراضاً على قتله، فلما بلغ أهل الأردن أمر هذه الحركة، أغراهم ذلك، وقام الأخوان راشد والحكم ابنا جرو القيني، مع قومهما، وولوا عليهم أميراً آخر هو محمد بن عبد الملك.(48)

وحين وصل خبر هذه الحركة إلى الخليفة يزيد بن الوليد، وما نتج عنها من طرد عامله وتحركهم نحوه لخلعه، بعث إليهم جيشاً كبيراً بقيادة سليمان بن هشام، المفرج عنه من سجن الوليد، وعندما وصل سليمان إلى الأردن، أرسل وفداً يفاوض الثائرين ويحاول أن يحتوي الأزمة قبل أن تتفاقم، فتم له ذلك بذكاء مفاوضيه الذين أمّلوا وأطمعوا سعيد وضبعان ابنا روح، واتفقوا معهما أن يرجعا بأهل فلسطين وتكون ولاية فلسطين فيهم، فانسحبا بهم، وتبعهما أهل الأردن، بعد أن قام جيش سليمان بإفساد قراهم، وسار سليمان إلى الرملة، وأخذ البيعة ليزيد هناك، ووفى يزيد بوعده وعيَّن ضبعان بن روح والياً على فلسطين.(49) وهكذا دخلت فلسطين في طاعة الخليفة الجديد.

وعليه، يمكن القول أن حركة «أهل فلسطين» التي قادها سعيد وضبعان ابنا القائد الفلسطيني روح بن زنباع، كانت التعبير الحقيقي عن انتماء القبائل اليمنية للخلافة الأموية، وحرصها على بقائها بعيدة عن قانون الحكم لمن غلب، لكن النتائج التي حققها الوفد المفاوض عن يزيد (الناقص) مع قادة الحركة، تشي بأن المصلحة، والحسابات الخاصة والجهوية قد فرضت نفسها على خط سير الحركة، فأدت إلى تراجعها قبل أن تغادر حدودها الجغرافية.

(47) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص 13.

(48) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص335؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص 254، 255.

(49) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص 254، 255؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج65، ص 208 – 209؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 488–489؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص109.

لم يلبث يزيد في الخلافة سوى ستة أشهر، حتى توفي في (محرم 127هـ/ أكتوبر 744م)، وحينها قام الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع الجذامي[50] بإعلان التمرد في فلسطين، فخلع نفسه من الطاعة، واحتشدت معه قبيلتي لخم وجذام، ودعا لسليمان بن هشام بن عبد الملك.[51] وفضلاً عن تفرد البلاذري بإيراد هذه الحادثة، فإن المصادر التي بين أيدينا لا تفيدنا بأي معلومات أخرى عن هذا التمرد، ولا يوجد ذكر لأي تمرد قام به سليمان بن هشام عقب وفاة يزيد بن الوليد.

وبذلك، فإن صحت الرواية، فيبدو أن تمرد الحكم جاء استغلالاً لحالة الضعف التي كانت ظاهرة على الخليفة الجديد إبراهيم بن الوليد. أو ربما يكون تمرد الحكم بن ضبعان في فلسطين، ومبايعته سليمان بن هشام، كان حين قام سليمان بالانقلاب على مروان بن محمد بعد قضائه على ثورات أهل الشام، فمن الشهير أن سليمان بن هشام قاد الثورة على مروان بن محمد نهاية عام (127هـ/ 744م) أو مطلع عام (128هـ/ 744م) ، وكان اعتماده الرئيس فيها على أهل الشام، وانضم إليه منهم حوالي سبعين ألفاً[52].

(50) **الحكم بن ضبعان (ت:137هـ/ 754م):** هو حفيد روح بن زنباع قائد اليمانية في الشام، والمقدم في الدولة الأموية (انظر ترجمته في الهوامش السابقة من هذا المبحث)، كان أحد قادة اليمانية في فلسطين زمن الأمويين، تولى محاربة مروان بن محمد في آخر عهده، وفي العهد العباسي وقف مع عبد الله بن علي حين تمرده وطلبه الخلافة، فانتهى به الأمر مقتولاً، كما سيظهر في الصفحات التالية من هذا الفصل.

(51) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص196.

(52) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص287؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص10.

ومهما يكن من أمر، فقد تولى الخلافة بعد يزيد (الناقص) أخوه إبراهيم بن الوليد، الذي «لم يتم له الأمر، فكان يُسلَّم عليه تارة بالخلافة، وتارة بالإمارة، وتارة لا يسلم عليه بواحدة منهما»[53]، فما لبث قليلاً حتى خلع نفسه من الخلافة في (ربيع أول 127هـ/ ديسمبر 744م)، لصالح «شيخ بني أمية»[54]، مروان بن محمد[55]، الذي ارتبطت أحداث خلافته بفلسطين وأهلها ارتباطاً مباشراً ومؤثراً.

لكن قبل الدخول في تفاصيل علاقة مروان بن محمد، كآخر خلفاء بني أمية، مع فلسطين، لابد أن نقف على الشطر الأول من سيرة القائد الفلسطيني ثابت بن نُعيم الجذامي، لارتباطها بالأحداث التالية.

عُرف ثابت بن نُعيم الجذامي، في نهاية خلافة هشام بن عبد الملك، حين كان أحد القادة في جيش حنظلة بن صفوان الكلبي، الذي أرسله هشام عام (124هـ/ 741م) إلى إفريقية، بعد أن قتل البربر واليه السابق عليها، كلثوم بن عياض القشيري[56]، فأرسل حنظلة بن صفوان كتاباً إلى الخليفة هشاماً يشكو فيه من تحريض قائده ثابت بن نُعيم للجنود الذين في الجيش وأنه يسعى فيهم نحو التمرد، فرد عليه هشام آمراً إياه بتوجيه ثابت إليه مقيداً بالحديد، فقبض عليه صفوان وأرسله مقيداً إلى الشام، فقام هشام بحبسه هناك[57].

(53) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص449.

(54) مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص410.

(55) خليفة: تاريخ خليفة، ص373-374؛ ابن قتيبة: المعارف، ص207- 208؛ ابن أعثم: الفتوح، ج4، ص335-336، مجهول: العيون والحدائق، ص154.

(56) خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص 356.

(57) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص 271؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص 143.

وفي إحدى الزيارات الدورية لمروان بن محمد إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، بصفته والياً وقائداً عسكرياً لأرمينية(58)، ليطلعه على أحوال ولايته واحتياجاتها، طلب بعض القـادة اليمنيـة في حاشية الخليفة هشام من مروان بن محمد أن يشفع لثابت عنـد الخليفـة، ففعـل مـروان ووافـق الخليفة على إطلاق سراح ثابت إكراماً لمروان، فرحل ثابت مع مروان إلى أرمينية، فـولاه مـروان ورفعه حتى عينه قائداً للقوات اليمنية في جيشه(59).

وبقي ثابت بن نُعيم مع مروان، حتى وصلت إلى أرمينية أخبار مقتل الوليـد بـن يزيـد، وتـولي يزيد بن الوليد الخلافة من بعده، فعين مروانٌ ثابت بن نُعيم رئيساً للفـرق اليمنيـة في جيشـه مـع آخرين لحفظ الثغور، ورغَّبهم في الأجر، وخرج ليطلب بدم الخليفة المقتول(60)، لكن ما لبـث أن اكتشف مروان أن ثابت بن نُعيم قـام بتحـريض الجنـود الشـاميين الـذين في الجـيش عـلى تـرك مواقعهم ومغادرتها إلى أجنادهم، بدعوى أن الخليفة الشرعي - الوليد بن يزيـد - قـد قتـل، وأن القرار أصبح لهم، وبدءوا بتنفيذ خطتهم في الانفصال، فلما حضـر مـروان مسـرعاً، وجـد أنهـم أصبحوا معسكراً جديداً يفوق عددهم عدد عسكره، فنادى فيهم مـروان وخـاطبهم، ودار بيـنهم حوار ذكَّرهم فيه بفضله عليهم، فكان جـوابهم أنهـم قـد رضـوا ولايـة ثابـت بـن نُعـيم علـيهم، فواجههم مروان بأنه يعرف السبب الحقيقي لخروجهم،

(58) **أرمينية:** منطقة كبيرة كانت على الحدود الشمالية للدولة الإسلامية، وقد ضمت عدداً كبيراً مـن الممالـك والقـرى والعمران. ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص160-161.

(59) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص271؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص 143؛ ابن الأثيـر: الكامـل، ج4، ص 498.

(60) المقريزي: المقفى الكبير، ج2، ص638.

وذلك أنهم أرادوا الخروج والمسير إلى الشام حتى يغيروا على قرى أهل الذمة في طريقهم ويسلبوها وينتهبوا ما فيها، وأنه لن يسمح لهم بذلك، وهددهم بأن السيف سيكون حكماً بينه وبينهم، فلما رأوا منه الجد ارتدعوا، وأمكنوه من ثابت بن نُعيم وأولاده الأربعة، فقيدهم بالسلاسل وحملهم معه إلى حرَّان[61] ليودعهم السجن، ومضى بالجيوش تحت مراقبته حتى أوصلهم الفرات، ومن هناك جعلهم ينطلقون إلى أجنادهم[62].

الجزء السابق من السيرة الذاتية لثابت بن نُعيم يكشف لنا عن شخصية دائمة الجنوح إلى التمرد، وهو على حد وصف ابن خلدون «صاحب فتنة»[63]، ويكشف أيضاً أن شخصيته كانت لها قدرة كبيرة على التأثير في الآخرين، ورغم أنها دائمة الفشل في تحقيق أهدافها، لكنها تصر على المضي قدماً فيما تفكر فيه وإن كان خطيراً.

ولما تولى مروان بن محمد الخلافة، علم أن وضع بلاد الشام لا يحتمل، وأنه مهدد بالانفجار والاختلاف، فأراد نقل الكرة إلى ملعب الأجناد وإبعادها عنه، وقام بخطوة غير تقليدية في اختيار ولاة أجناد الشام، إذ طلب من أهل الشام أن يختاروا ولاتهم، فاختار كل جند واليه، واختار أهل فلسطين ثابت بن نُعيم الجذامي ليكون والياً عليهم[64]، فقبل ذلك مروان، رغم تجربته السيئة معه، ومعرفته الجيدة بطبيعة شخصيته، ولأنه لم يكن مطمئناً له، أخذ من الولاة الجدد «العهود المؤكدة والأيمان المغلظة على بيعته»[65].

(61) **حرَّان:** مدينة عظيمة ومشهورة، تعد قصبة ديار مضر، تقع على طريق الموصل والشام والروم، قيل سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها فعربت فقيل حران وذُكر أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان. ياقوت: معجم البلدان، ج2، 2235.

(62) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، 336؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص271، 272؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص 143؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 498؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص112.

(63) العبر، ج3، ص112.

(64) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص280، 281؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج15، ص83؛ ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج6، ص2891؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص23.

(65) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج15، ص83.

ولم يكد يمضي على خطوة مروان السابقة أشهر قليلة، ظاهرها هدوء الأوضاع في بلاد الشام، حتى ظهرت الانتفاضات والثورات على الخليفة الجديد، وبتتبع الإشارات الواردة في المصادر، نجد أن والي فلسطين الجديد، ثابت بن نُعيم، قد قاد من ولايته في فلسطين حركة تحريض كبيرة على الخليفة مروان، وكانت حركته منظمة، لها دعاتها وسفراؤها[66]، الذين من خلالهم راسل اليمانية المقيمين في الأجناد[67]، وقد «أجابه كثير من أجناد الشام».[68]

ويرى فلهاوزن (Wellhausen) أن ثورة أجناد الشام، كانت بسبب انتقال مروان بن محمد إلى حرَّان، من أرض الجزيرة الفراتية، وتركه بلاد الشام، التي فقدت مكانتها كعاصمة للدولة الإسلامية، ومن ثم فقدت امتيازاتها[69].

لكن المتتبع لأدبيات الثورة، يكتشف أنها نتجت عن العصبية القبلية، وأن السبب المباشر لها هو اهتزاز دور اليمانية في عهد مروان، وتقديمه القيسية عليهم، واتخاذهم أركاناً في إدارته ودولته، وقد دلَّ على ذلك أن ثابت بن نُعيم لما أعلن الثورة في فلسطين لقب نفسه بالأصفر القحطاني[70][71]، وقال: «لست لنُعيم إن لم أُخلِ الشام من أولاد قيس»[72].

(66) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص227-228.

(67) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص144.

(68) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص282.

(69) تاريخ الدولة العربية، ص 364.

(70) خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص374؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص233؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج11، ص144.

(71) **القحطاني:** شخصية مهدوية، كان اليمانية يتعلقون به ويسمونه القحطاني المنتظر، ويرجون ظهوره، ويعتقدون أنه يرد السلطان إليهم، وكانوا يروون الأحاديث في ذلك، وقد ادعاها عدد من الخارجين على الدولة غير ثابت، أشهرهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي الذي خرج عام (81هـ/ 700م). الجاحظ: البرصان والعرجان، ص155-156؛ وانظر: هامش المحقق؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص272؛ حسين عطوان: الدعوة العباسية، ص143-144.

(72) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص233.

وفي منحى آخر، اتخذت حركته صفة ثورة اليمانية، وقد حرضه شاعرهم عطية بن الأسود مولى كلب، بقوله:

**يا ثابت بن نُعيم دعوة جزعاً — عقّت أباها وعقّت أمها اليمنُ**

**أتاركٌ أنت مال الله يأكله — عير الجزيرة[73] والأشراف تمتهنُ**

**أوقد على مضرٍ ناراً يمانيةً — تشفي الغليل وتحيي بعدها السُّننُ[74]**

غير أننا أيضاً لا يمكن أن نغفل طبيعة شخصية ثابت بن نُعيم - التي تناولنا شطرها الأول في الفقرات السابقة - وأثرها المباشر على تفكيره، وسلوكه تجاه المتغيرات السياسية الناتجة عن انتقال الخلافة لمروان.

ظهرت أولى نتائج حركة التمرد التي دعا إليها ثابت في مصر، التي دخلها رسوله بكتابه إلى واليها السابق، حفص بن الوليد الحضرمي، يحرضه فيه على خلع مروان، وقام أيضا وفد اليمانية المصاحب له فخطبوا في مسجدها ودعوا الناس إلى خلع مروان، ولاقت دعوتهم إجابة واسعة، «فلم يخالفهم أحد» إلا القليل من أنصار بني أمية، وعزلوا والي مصر المعين من مروان، ونصبوا عليهم حفص بن الوليد الحضرمي[75].

(73) **عير الجزيرة:** العير هو الحمار، والمقصود الخليفة مروان بن محمد، فقد كان يلقب بالحمار، أو حمار الجزيرة. البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص233؛ الرازي: مختار الصحاح، ص167؛ النويري: نهاية الأرب، ج21، ص309.

(74) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص233؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج40، ص460، 461.

(75) الكندي: الولاة والقضاة، ص85-86.

عرف مروان أن المشكلة تكمن في ثابت بن نُعيم، وأنه هو القائد الموجِّه لحركة التمرد في مصر، وبينما هو في طريقه إلى فلسطين للقضاء عليه، كانت حركة ثابت تحقق نجاحاً جديداً في حمص التي ثارت على الخليفة مروان، مما استدعاه أن يقود حملة التأديب بنفسه، وكانت ردة فعله عنيفة؛ فبعد أن قتل الثائرين، قتل من وقع في الأسر منهم، وصلبهم حول المدينة، وهدم جزءاً من سورها(76). ولما فرغ مروان من أمر حمص، بلغه أن أهل غوطة دمشق دعوا إلى ثابت بن نُعيم(77)، وحاصروا عامله على دمشق، وولوا عليهم يزيد بن خالد القسري، فأرسل مروان اثنين من قواده في عشرة آلاف، فقضوا على الثورة هناك، ونكلوا بدعاتها.(78)

بعد نجاح مروان في القضاء على الثورات التي قامت في الشام ومصر، تولى ثابت بن نُعيم تنفيذ آخر فصول حركته، فأعلن – من فلسطين – خلع مروان، وخرج باتجاه الأردن، يصاحبه حوالي خمسين ألفاً من اليمانية، وخصوصاً قبيلتي لخم وجذام(79)، وحاصر والي الأردن الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم، في طبرية، فقاتله أهلها أياماً، وأرسل مروان بن محمد أبا الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي لإخضاع ثابت وفك الحصار عن طبرية، فلما اقترب الجيش من طبرية، قوي أهلها وخرجوا على ثابت، فهزموه واستباحوا عسكره، فانصرف ثابت إلى فلسطين منهزماً، وهناك أعاد ترتيب صفوفه بعد أن جمع قومه وجنوده، فتبعه أبو الورد والتقوا واقتتلوا، فانهزم ثانية وتفرق عنه أصحابه، وأُسر ثلاثة من أولاده، وبعث بهم إلى مروان، وهم جرحى، وهرب ثابت وولده رفاعة(80).

(76) خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص374؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص227– 228؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص281. ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص261– 262؛ ابن الأثير: الكامل، ج8، ص5؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص113.

(77) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص 230.

(78) المصدر نفسه، ج9، ص230؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص281. ابن الجوزي: المنتظم، ج7، ص261– 262؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص8؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص113.

(79) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص234.

(80) خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص374؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص 234؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص281، 282؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص144– 145؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص9؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص23–24؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج1، ص178؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج8، ص17؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص113– 114.

استطاعت بعد ذلك قوات تابعة لمروان بن محمد من القبض على ثابت وإرسـاله إليـه، لكـن الروايات التاريخية تختلف في الطريقة التي تم فيها إلقاء القبض على ثابت، لكنها تتفـق في كيفيـة العقوبة القاسية التي أوقعها عليه مروان.

وذكرت مصادر قليلة رواية تفيد بأن ثابتاً قد هرب بصحبه ولده رفاعـة، إلى جبـال الشـراة[81]، فظفرت به قوات تابعة لجيش الخلافة، كان أرسلها مـروان نجـدة لأبـي الـورد، فقبضـت عليـه وأرسلته إلى دير أيوب[82]، معسكر مروان بن محمد آنذاك[83].

ولعل أصح ما روي في كيفية الوصول إلى ثابت بعد مطاردته، ما ذكرته المصادر مـن روايـات مسندة إلى معاصرين للحدث، وقريبين من المؤسسة الحاكمة هناك، مثل الرواية التي نقلهـا ابـن عساكر عن الليث بن سعد (ت: 175هـ/ 791م)، وهو الذي رشحه أهـل مصـر ليكـون قاضـياً لهم آنذاك[84]، وروايات أخرى في مصادر التاريخ العام، والروايات التي ينقلها الكندي في تاريخه الخاص بمصر (الولاة والقضاة)،

(81) **الشَراة:** منطقة جبلية من ضمن الشام، بين دمشق والمدينة المنورة، وهي الآن ضـمن المملكـة الأردنيـة. يـاقوت: معجم البلدان، ج3، ص332.

(82) **دير أيوب:** قرية تنسب إلى أيوب عليه السلام، وهي قرب حوران، من نواحي دمشق. ياقوت: معجم البلـدان، ج2، ص499.

(83) خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص374؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص234.

(84) الكندي: الولاة والقضاة، ص 89.

وما أورده المقريزي في المقفى الكبير موفقاً بين روايات نقلها عن مصادر سابقة له، والتي تفيد بمجملها أن ثابتاً بن نعيم بعد مطاردته حاول الدخول إلى مصر، وعندما وصل إلى الهامة(85)، لقيه زبان بن عبد العزيز على رأس فرقة من القيسية أرسلت لملاقاته بمعرفة والي مصر، فقاتلته وانهزم ثابت راجعاً إلى فلسطين، وحينها قام والي فلسطين الجديد، الرماحس بن عبد العزيز الكناني، والذي عينه مروان بن محمد بديلاً عن ثابت، بالقبض عليه، بعد أن دل عليه رجل من قبيلته، ثم قام بترحيله بعد شهرين أسيراً مقيداً إلى مروان بن محمد، وذلك مطلع العام (128هـ/ 746م)(86).

وفي دير أيوب، أوقع مروان عقابه الأليم بثابت بن نعيم الجذامي وأولاده، إذ قطع أيديهم وأرجلهم، ثم حملوا إلى دمشق، وصلبوا على أبواب مسجد دمشق(87)، وكان سبب إقدام مروان على هذه الخطوة ،«لأن أهل دمشق كانوا قد أرجفوا بأن ثابت بن نعيم ذهب إلى ديار مصر فتغلب عليها وقتل نائب مروان فيها، فأُرسل إليهم مقطع اليدين والرجلين ليعرفوا بطلان ما كانوا به أرجفوا»(88).

(85) **الهامة:** موضع بصحراء سيناء من أرض مصر. ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص389.

(86) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص339؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص282؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص90؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص144؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص9؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص23؛ المقريزي: المقفى الكبير، ج2، ص638-639.

(87) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص234؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص282؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص144؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص9؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص23؛ المقريزي: المقفى الكبير، ج2، ص638-639.

(88) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص24.

إذن، وبعد العرض السابق، نجد أن فلسطين في عهد بني أمية قد مرت بمرحلتين، الأولى امتازت بالهدوء والاستقرار السياسي، في ظل بني أمية، وهي منذ تولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة حتى نهاية خلافة هشام بن عبد الملك (40-125هـ/ 660-743م)، أما الثانية: فهي منذ عهد الوليد بن يزيد حتى نهاية عهد مروان بن محمد (125- 132هـ/ 743-750م)، فإنها كانت حقبة مليئة بالاضطراب السياسي في الدولة بشكل عام، ومفصلية في تاريخ فلسطين، وتبين أن فلسطين وأهلها، وخاصة اليمانية منهم، كانوا مؤثرين على سير الأحداث في الدولة، وفي نهاية هذه الحقبة قادوا حركة توجيه لثورة شملت مصر والشام، لكن ثورتهم انتهت بعقوبة قاسية نالها ثابت بن نعيم الذي اختاره أهل فلسطين ليكون واليهم.



# المبحث الثاني
# السيطرة العباسية على فلسطين

قبل الحديث عن تفاصيل أحداث السيطرة العباسية على فلسطين، فإنه من المفيد أن نذكر بدايات الدعوة العباسية، التي ارتبطت بجنوب بلاد الشام كمركز سري لإدارة هذه الدعوة، ومن ثم انتشارها في البلاد الشرقية من الدولة الإسلامية، وصولاً لفرض سلطانها على جميع أقاليم الدولة.

تذكر الروايات أن الإمام أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، الذي كان يقود الحركة العلوية، قدم على الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، فأكرمه وأجازه، وفي طريق عودته حضرته الوفاة بالشام، فعرج على الحُميمة[89] وأوصى لعلي بن عبد الله بن العباس، وصرف الشيعة إليه ودفع كتبه إليه، ومات عنده[90].

(89) **الحُميمة:** بلدة في أطراف الشام، وموطن بني العباس، أقطعهم إياها الوليد بن عبد الملك، وهي مسقط رأس السفاح والمنصور والمهدي، كانت تابعة لجند فلسطين في بعض الفترات، وهي في عصرنا خراب، وتقع خرائبها بين العقبة ومعان على بعد 80 كم للجنوب الغربي من الثانية. ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص307؛ مصطفى مراد الدباغ: الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، ص165.

(90) مصعب الزبيري: نسب قريش، ص75؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج5، ص327؛ ابن قتيبة: المعارف، ص126.

أما ما تذكره بعض الروايات الشيعية والعباسية[91] أن سليمان بن عبد الملك راعه ذكاء أبي هاشم فخافه، فأرسل له في طريق عودته من دس له السم في شرابه، فهو ضعيف وليس بالثابت[92]، «أما سائر الروايات الأموية والشيعية والعباسية فإنها تشير إلى موته حتف أنفه»[93]، وقد جزم بذلك صاحب أخبار الدولة العباسية من القرن (3هـ/ 9م) بقوله: «زعم بعض الناس أن سبب موت أبي هاشم كان أن الوليد دس إليه، حين شخص عن دمشق، من سقاه شربة لبن مسموم فكان موته بذلك، ولم يذكر ذلك إسحاق بن الفضل ولا غيره ممن كان يخبر أمره»[94].

ومهما يكن من أمر، فإن الدعوة بقيت تنمو ويزداد أنصارها حتى استطاع أحد أقوى دعاتها، وهو أبو مسلم[95] أن يجاهر بالدعوة في خراسان وأن ينظم جيشها، مستغلاً حالة الضعف الناتجة عن احتدام العصبية بين اليمانية والقيسية في عرب خراسان، فاستطاع بعد نجاح دعوته هناك أن يتغلب على جميع مناطق خراسان، ويخضعها للعباسيين في العام (131هـ/ 749م) ومن ثم واصلت جيوشه مسيرها وتغلبت على العراق، ثم دخلت الكوفة[96].

---

(91) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص466؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص296-297؛ الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص123-124؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج32، ص275؛ ابن الأثير: الكامل، ج4، ص322.

(92) ينظر: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص20-21؛ حسين عطوان: الدعوة العباسية تاريخ وتطور، ص167.

(93) حسين عطوان: الدعوة العباسية تاريخ وتطور، ص167.

(94) ص188-189.

(95) **أبو مسلم الخراساني (ت:137هـ/ 755م):** كان من الموالي، وتعرف على الدعوة العباسية أثناء سجنه، ولما رآه إبراهيم الإمام أعجب به، وأرسله إلى خراسان ليقوم بالدعوة هناك، فنجحت على يديه، ونظم جيشها حتى عده بعض المؤرخين «ناقل الدولة»، قضى على ثورة عبد الله بن علي عام (137هـ/ 755م)، ثم قتله أبو جعفر المنصور لما خاف منه أن يطمع بالملك. مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص 253-257؛ الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ص166؛ المطهر المقدسي: البدء والتاريخ، ج1، ص345-347.

(96) ابن قتيبة: المعارف، ص 208؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص359-360؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص306-323؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص132؛ ابن طقطقا: الفخري في الآداب السلطانية، ص145-146.

وكان أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (السفاح)، مرشح العباسيين للخلافة، يختبيء مع أهل بيته في الكوفة، وذلك لأن الخليفة مروان بن محمد قد اكتشف مراسلة بين أخي أبو العباس إبراهيم الإمام[97] (إمام الدعوة العباسية) في الحميمة وأبو مسلم في خراسان، فأرسل للقبض عليه، وعلى أثرها أوصى إبراهيم بالإمامة لأخيه أبو العباس، وأمرهم بالخروج من الحميمة إلى الكوفة، حيث تكثر شيعتهم، فوصلها أبو العباس سراً[98]، واختبأ بها مدة حتى دخلها أبو مسلم منتصراً وبايعه بالخلافة فخرج إلى مسجد الكوفة في (ربيع الأول 132هـ/ ديسمبر 749م) ليخطب في الناس ويأخذ البيعة.[99]

وقد كانت خطبة أبي العباس (السفاح) بمثابة تلاوة البيان الرسمي لإعلان قيام الدولة العباسية، وقد كان لها من المراسيم ما يوحي بذلك، إذ «غدا القواد في التعبئة والهيبة وقد أعدوا له السواد والمركب والسيف»[100].

وإجمالاً لتفاصيل هذا البيان، فإنه بيَّن وجهة نظر العباسيين في أحقيتهم بالخلافة، وظلم الأمويين لهم باغتصابها منهم، ووعد الناس بأن العباسيين سيعملون بالكتاب والسنة، وسيردون المظالم لأصحابها وخصوصاً أهل العراق الذين تعرضوا للتهميش والظلم من الأمويين. ولما لم يستطع أبو العباس إكمال البيان لوعكةٍ أصابته، فقد أكمله عمه داود بن علي، الذي ختم البيان بقوله :

(97) **إبراهيم الإمام (ت:131هـ/ 749م):** هو السيد أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن العباس الهاشمي، كان يعيش بالحُميمة من البلقاء، عهد إليه أبوه أمر الدعوة العباسية، وانتشرت دعوته بخراسان، واستمر في قيادتها سراً حتى كشف أمره مروان بن محمد فحبسه حتى توفي في السجن، فعهد بأمر الدعوة إلى أبي العباس السفاح بالأمر من بعده. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص379.

(98) مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص 409-410؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص 310؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص64.

(99) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص349.

(100) المطهر المقدسي: البدء والتاريخ، ج6، ص70.

«واعلموا أن هذا الأمر [ويقصد الخلافة] فينا وليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم».[101] وهو ما يشير صراحة إلى أن العباسيين كانوا يعتقدون أن الخلافة حقهم الحصري.

غير أن هذا البيان (الخطبة) وإن كان إعلاناً صريحاً بقيام الدولة العباسية إلا أنه لم يكن يعني انتهاء الدولة الأموية، فمروان بن محمد لا زال يعد نفسه الخليفة الشرعي، وقد «زحف بمن معه من أهل الشام والجزيرة، وحشدت معه بنو أمية بأنفسهم وأتباعهم»[102] محاولاً إخضاع هذه الثورة ورد أصحابها إلى حظيرة الطاعة، وقد بلغ عدد جيشه مائة ألف[103] أو مائة وعشرون ألفاً[104] أو مائة وخمسون ألفاً[105] حسب اختلاف الروايات، وبغض النظر عن العدد الدقيق لجيش مروان فإنه كان جيشاً كبيراً يدل على مدى صعوبة الموقف، لذا فما كان من أبي العباس إلا أن اتخذ أول قراراته كخليفة جديد بمحاربة الجيش الأكبر للأمويين خلال هذه المرحلة، واستعان على ذلك بكبار رجال دولته وأهل بيته، فكتب إلى عمه عبد الله بن علي يأمره بالمسير إلى مروان بن محمد[106] المهدد الأقوى لشرعية الدولة العباسية حتى تلك اللحظة.

(101) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص 347-348.

(102) خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص 403.

(103) البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص143؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج1، ص183؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص319.

(104) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج1، ص 211.

(105) خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص 403.

(106) ابن قتيبة: المعارف، ص209؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص143؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص74؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق1، ص 130.

خرج جيش الثورة العباسية، الذي تسميه المصادر بالمسـودة[107] أو الخراسـانية[108][109] بقيـادة عبد الله بن علي بعد أن ضم إليه أبو العباس (السفاح)، «وجوه قواد خراسان».[110]

وبينما كان جيش العباسيين يتقدم بروح معنوية عالية ساعده عليها انتصاراته المتتالية، دخل الانقسام والاختلاف إلى جيش مروان المُعسْكر على نهر الزاب[111]، بسبب سياسة تمييز القبائل القيسية على اليمنية التي اتبعها مروان، فحين «قال مروان لليمانية: انزلوا، فقالوا: قل لقيس فلينزلوا – وذلك أنهم حقدوا عليه تقديمه قيساً وقتله ثابت بن نُعيم الجذامي، والسمط الكندي»[112] وفي رواية الطبري (ت:310هـ/ 922م): «قال مروان لقضاعة: انزلوا، فقالوا: قل لبني سليم فلينزلوا، فأرسل إلى السكاسك أن احملوا، فقالوا: قل لبني عامر فليحملوا، فأرسل إلى السكون أن احملوا، فقالوا: قل لغطفان فليحملوا» حتى أنه في النهاية «قال لصاحب شرطه: انزل، فقال: لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضا»!.[113] والرواية تشير إلى أن القبائل اليمنية، وهي قضاعة، والسكاسك، والسكون، رفضت أن تبدأ القتال طالبة منه الاعتماد على القبائل القيسية، وهي بنو سليم، وبنو عامر، وغطفان، التي فضلها عليهم.

(107) انظر مثلاً: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج6، ص352، ج7، ص466، 481؛ خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص390؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص339، 351، 356؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص345، 356؛ مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص290؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص324، 396.

(108) انظر مثلاً: البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص144؛ ج9، ص321؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص341.

(109) **المسودة (الخراسانية):** اسم أطلق على عناصر الجيش العباسي الأول، ويدخل في تسميتهم أهل الأحواز وفارس وكرمان ومكران وسجستان وقوهستان وخراسان، ونيسابور، وسرخس، وبلخ، من عناصر عربية وفارسية، وتتكون بشكل رئيسي من العرب من أهل خرسان الذين عاشوا فيها مع أهلها. وكانوا مسودي الثياب حزناً على مقتل إبراهيم الإمام. الدينوري: الأخبار الطوال، ص361؛ محمد عبد العزيز المناصير: الجيش في العصر العباسي الأول، ص 108.

(110) البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص143.

(111) **الزاب:** اسم يطلق على عدة أنهار في العراق، والمعركة وقعت عند نهر الزاب الأعلى بين إربل والموصل. ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص123–124.

(112) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص318.

(113) تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص351.

ومهما يكن من أمر، فقد التقى الجيشان عند نهر الزاب الأعلى في (جمادى الآخرة 132هـ/ يناير 750م)[114] وكانت النتيجة أن حلت الهزيمة بجيش مروان وانقطع بهم الجسر فكان من غرق أكثر ممن قتل[115]، وانتهب المعسكر بما فيه من سلاح ومال.[116]

لم تكن هزيمة مروان في الزاب لتقضي على همته أو همه في استعادة حقه في الخلافة الذي انتزع منه، بل إن كلا من البلاذري ( ت: 279هـ/ 892م ) والدينوري (ت: 282هـ/ 895م) أثبتا رواية تكشف حقيقة تفكيره أثناء وجوده في حرَّان -التي دخلها بعد هزيمته في الزاب- أنه كان ينوي اللجوء إلى بلاد الروم، والنزول في أمان ملكهم، ومن ثم يكوِّن قاعدة قوية من أنصاره الذين سيفدون إليه، وبعدها يستعيد ملكه وشرعيته، لكنه عدل عن هذه الفكرة بناء على نصيحة إسماعيل بن عبد الله القسري إذ نصحه قائلاً: «الرأي أن تقطع الفرات، وتستقري مدن الشام، مدينة مدينة، فإن لك بكل مدينة صنائع ونصحاء، وتضمهم جميعا إليك، وتسير حتى تنزل ببلاد مصر، فهي أكثر أهل الأرض مالاً، وخيلاً، ورجالاً، فتجعل الشام أمامك، وإفريقية خلفك، فإن رأيت ما تحب انصرفت إلى الشام، وإن تكن الأخرى اتسع لك المهرب نحو إفريقية، فإنها أرض واسعة، نائية منفردة».[117] وهو ما عبر عنه ابن تغري بردي بقوله: «وقصد الشام ليتقوى ويلتقي ثانياً بالمسودة».[118]

وعليه فإن ما قد يرد في الخاطر من اتهام مروان بالجبن والخوف، تدحضه هذه الرواية فضلاً عن شخصيته التي اقترنت بالحرب ومعالجة الاضطرابات الناشئة في عهده، حتى أن أحد الأسباب التي يسوقها المؤرخون لتلقيبه بالحمار «حرنه في مواطن الحرب»[119]، و«لأنه كان يصبر على مكاره الحرب ولا ينثني لشجاعته».[120] وتأتي فوق ذلك شهادة خصمه أبي جعفر المنصور: «ولنعم رجل الحرب كان حمار الجزيرة»[121].

(114) المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص436.

(115) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص318.

(116) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج1، ص211.

(117) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص319؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص365، 366، والاقتباس منه.

(118) النجوم الزاهرة، ج1، ص319.

(119) ابن خلدون: العبر، ج3، ص 132.

(120) القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، ج2، ص58.

(121) الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص173.

وفي المقابل، فإن إرسال أبي العباس عمه عبد الله بن علي للقضاء على جيش مروان المعسكر في الزاب ومن ثم تتبعه والقضاء عليه لتثبيت الحكم العباسي في الشام؛ معقل الأمويين ومركزهم، يدل على مدى إدراكه لخطر وجود رجل في شخصية مروان في موقع استراتيجي قوي لا يكون مواجها له فحسب بل متسلطاً عليه بحيث يحتمل أن ينقض عليه في أي لحظة.(122)

بدأ مروان بتنفيذ خطته، فغادر حرَّان ومعه «عياله وأمواله وأثقاله وخدمه وحاشيته»، فلما وصل قنسرين، خرجت عليه قبائل طيء وتنوخ (اليمنية) واستولوا على معظم أحماله، «واضطربت عليه أموره، وانحلت عقده، وخانته ثقاته»(123)، وسار إلى دمشق وأبقى واليه عليها الوليد بن معاوية، ثم اتجه نحو الأردن، فثارت عليه قبائل بني مذحج (اليمنية)(124)، ومضى مصطحباً معه واليها ثعلبة بن سلامة العاملي، وتركها بدون وال، ثم دخل فلسطين، فوجد أن الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع، أحد قادة جذام (اليمنية)، قد تغلب عليها، فنزل نهر أبي فُطرس(125) قرب الرملة(126).

(122) خالد عزام: العصر العباسي، ص26، 27.

(123) المرعشي: غرر السير، ص299.

(124) المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص247.

(125) **نهر أبي فُطرس:** بضم الفاء وسكون الطاء وضم الراء، سمي في العهد الروماني باسم مدينة (انتباترس) المنشأة عليه، وقد سماه العرب أبي فطرس، وعرف في حقب لاحقة باسم الطواحين، وفيما بعد باسم نهر العوجاء، ويسمى في عصرنا نهر اليركون. يقع على بعد اثني عشر ميلاً شمالي الرملة، ومجراه من الشرق إلى الغرب، ويصب في بحر الروم (المتوسط)، منابعه من رأس العين، ويعد أطول أنهار فلسطين الساحلية. اليعقوبي: البلدان، ص116؛ ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص315؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص50؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص85؛ قسطنطين خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية، ص133؛
M. Sharon: Nahr Abi Futrus, The Encyclopedia of Islam, vol. 7, pp. 910-911.

(126) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص354.

وتذكر روايات أن مروان قد جمع هناك «جمعاً عظيماً»، وأن عبد الله بن علي تبعه ثم هزمه واستباح عسكره[127]، وهي روايات غريبة في ظل تعدد الروايات التي تفيد بأن مروان لم يرُق له مقاماً أو حالاً في فلسطين لجمع جيشه أو ترتيب صفه، فالحكم بن ضبعان «لم يمكنه المقام بها».[128]

اضطربت الأمور وتفاقمت في وجه مروان، فأصبح في أكثر المواقف حرجاً، فالعباسيون يطاردونه ويتتبعون خطاه من موقع لآخر، حتى وصل غزة[129]؛ آخر مدن الشام من جهة مصر، وكذلك ثار الحكم بن ضبعان ضد واليه على فلسطين، الرماحس بن عبد العزيز، واستولى على بيت المال[130]، وانضم إلى عبد الله بن علي[131]، الذي يلاحقه ويسعى لقتله، مما اضطره إلى الاستجارة بعبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي، ابن عم الحكم، «فأجاره واستقبله وألطفه، وخرج من فلسطين بسرٍ»[132]، مصطحباً معه عامله على فلسطين الرماحس بن عبد العزيز، وذلك بعد أن وصله خبر سقوط دمشق في يد العباسيين.[133]

(127) المطهر المقدسي: البدء والتاريخ، ج6، ص71-72؛ ابن العبري: مختصر تاريخ الدول، ص120.

(128) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص320، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص354؛ المرعشي: غرر السير، ص299؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج15، ص10، والاقتباس منه.

(129) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص 319.

(130) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص354؛ المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص250؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج15، ص10؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص74؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص131.

(131) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج15، ص10.

(132) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص354؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص 136؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص74؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص131، والاقتباس من تاريخ الموصل.

(133) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص354.

وحين كان مروان في فلسطين كان عبد الله بن علي قد شرع في حصار دمشق حتى استطاع أن يدخلها في (رمضان 132هـ/ إبريل 750م)[134] بعد أن أصاب أهلها داء العصبية المزمن في فضل اليمن على قيس، وقيس على اليمن[135]، وأقام بها أكثر من أسبوعين يرتكب المذابح حتى «قتل خلق من بني أمية وجندهم ما لا يدخل تحت حصر»[136]، ثم توجه نحو الأردن فاستقبله أهلها برفع شعار العباسيين والمبايعة لهم، ثم سار إلى مرج الروم[137] ومنه إلى نهر أبي فطرس[138]، فوجد أن مروان قد ترك فلسطين، فقبض على عبد الله بن عبد الملك الذي لحق بمروان، وعبد الله بن يزيد بن عبد الملك، وهما من أمراء بني أمية، وبعث بهما إلى أبي العباس في الحيرة فصلبهما[139].

وبينما كان عبد الله بن علي معسكراً عند نهر أبي فطرس، أتاه كتاب أبي العباس بتوليته بلاد الشام، ويأمره بإرسال صالح بن علي إلى مصر في طلب مروان،[140] فسار صالح إلى الرملة، ثم نزل ساحل البحر وجمع السفن وتجهز لمتابعة مروان، فسار على الساحل والسفن بإزائه في البحر حتى نزل العريش ثم تتبعه حتى تمكن جيش العباسيين من قتله في كنيسة بوصير[141] من أرض مصر في نهاية شهر (ذي الحجة 132هـ/ أغسطس 750م).[142]

(134) خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص404.

(135) المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص247.

(136) ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص319.

(137) **مرج الروم:** لم أجده في كتب البلدان، ويرى الدباغ أنه مرج بني عامر. الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، ص167.

(138) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص355؛ المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص247؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج3، ص16.

(139) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص346.

(140) ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص46.

(141) **بوصير:** اسم يطلق على أربع قرى في مصر، والمقصود في المتن بوصير قوريدس. ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص509.

(142) خليفة: تاريخ خليفة بن خياط، ص404؛ ابن قتيبة: المعارف، ص210،209؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص144؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص355؛ المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص438-439؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج3، ص16؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج1، ص182.

يلخص المسعودي ما حدث مع مروان في طريقه نحو فلسطين وموقف القبائل القيسية منه، بقوله: «ولم ينفع مروان تعصبه مع النزارية شيئاً، بل غدروا به وخذلوه».(143) وهو الأمر الذي أدركه مروان جيداً، ولكن بعد أن عاين موقفهم وهو لا يقدر على تغيير شيء من واقعه، فبينما هو في فلسطين أو مصر قال لواليه عليها، الرماحس بن عبد العزيز: «يا رماحس انفرج الناس عنا انفراج الرأس ولا سيما قيس التي وضعنا معروفنا عندهم في غير موضعه، وأخرجناه من قوم كانت دولتنا تقوم بهم، فما رأينا لقيس وفاءً ولا شكراً»(144)، أما القبائل اليمنية فهي أيضاً وقفت بوجهه ممثلة بالثورات التي قام بها زعاماتهم في الأردن وفلسطين، وهذا ما دعا البعض للقول بأن «سقوط الأمويين لم يكن نتيجة ثورة في خراسان، بل نتيجة ثورة في سوريا»(145).

وقبل إرسال صالح بن علي في طلب مروان وقتله، شهدت فلسطين واحدة من المذابح التي ارتكبها العباسيون بقيادة عبد الله بن علي بحق أمراء بني أمية الذين بقوا في فلسطين ولم يرحلوا مع مروان، ففي قلعة رومانية قديمة(146) على شاطيء نهر أبي فطرس، في منتصف (ذي القعدة 132/ يوليو 750م)(147).

وبعيداً عن اختلاف التفاصيل التي تسوقها الروايات يمكن إجمال أحداثها في أن عبد الله بن علي أعطى بني أمية الأمان وبث إشاعة أن أبو العباس قد أرسل له كتاباً يوصيه فيه ببني أمية خيراً ويأمره بصلتهم وإلحاقهم في ديوانه ورد أموالهم عليهم، ثم جمعهم وأمرهم أن يغدوا عليه لأخذ الجوائز والعطايا، فلما دخلوا إلى مجلسه أقام على رأس كل منهم رجلين من الخراسانية واتفق معهم على إشارة البدء، وأخذوهم على حين غرة وقتلوهم جميعاً، ثم دعا بالبسط ففرشها عليهم ودعا بالطعام فأكل هو وحاشيته، وهم يسمعون أنينهم حتى ماتوا جميعاً.(148) وتفيد بعض الروايات أنه كان من بين القتلى عدد من قبيلة بني كلب(149).

(143) مروج الذهب، ج3، ص250.

(144) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص 320؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص 137. والاقتباس من الأول.

(145) إبراهيم بيضون: تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع في العصور الإسلامية، ص10.

(146) فاروق عمر فوزي، محسن حسين: الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط، ص 71.

(147) المسعودي: مروج الذهب، ج3، ص247.

(148) البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص144؛ اليعقوبي: ج2، ص355؛ صاحب الإمامة والسياسة: الإمامة والسياسة، ج2، ص296؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ابن الأثير: الكامل، ج5، ص78، 122؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج1، ص212.

(149) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص 207؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص 132.

وقد حفظت لنا المصادر مرثيات شعرية عدة في قتلى بني أمية على نهر أبي فطرس، منها:

**وبـــالزَّابَيَيْنِ[150] نفـــوسٌ ثَـــوَتْ    وأُخْـرَى بنهـر أبـي فُطْـرُسِ**
**أولئـــك قـــومي أناخـــتْ بهـــم    نوائـــبُ مـــن زَمَـــنٍ مُـــتْعِسِ**
**إذا رَكِبـــوا زيَّنـــوا المَـــوْكَبْينِ    وإن جَلَسوا الزَّيْنُ في المجلس[151]**

ويحاول بعض المؤرخين ذوي الميول العباسية أو العلوية التخفيف من حدة المذبحة، بذكر تفاصيل تجعل منها انتقاماً مشروعاً لحادثة مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه في كربلاء عام (61هـ/ 690م)، فيذكر اليعقوبي أنه لما اجتمع الأمراء الأمويون عند عبد الله بن علي قام أحد أفراد حاشيته بإلقاء قصيدة تحريضية يقول فيها:

**أمـا الـدعاة إلى الجنـان فهاشـم    وبنـو أميـة مـن كـلاب النـار**

«ثم أقبل عليهم عبد الله بن علي فذكر لهم قتل الحسين وأهل بيته ثم صفق بيده فضرب القوم رؤوسهم بالعُمُد[152] حتى أتوا عليهم فناداه رجل من أقصى القوم:

(150) **الزابيين:** المقصود نهرا الزاب الأعلى والأدنى من أرض العراق، وقد جرت هناك معركة الزاب التي قتل فيها خلق كثير من بني أمية. ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص123-124.

(151) المبرد: التعازي والمراثي، ص 98؛ الصولي: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص 307 ؛ الأصفهاني: الأغاني، ج4، ص 333؛ ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص315.

(152) **العَمَد أو العُمُد:** كلاهما جمع للعمود، والعمود هنا بمعنى العصا لأنه يعتمد عليها. ابن منظور: لسان العرب، مادة (عمد)؛ ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ج2، ص35.

**عبد شمس أبوك وهو أبونا لا نناديك من مكان بعيد**

**فالقرابات بيننا واشجات محكمات القوى بعقد شديد**

فقال: هيهات قطع ذلك قتل الحسين، ثم أمر بهم فسحبوا فطرحت عليهم البسط وجلس عليها، ودعا بالطعام فأكل فقال: يوم كيوم الحسين بن علي ولا سواء»[153].

أما المطهر المقدسي فيذكر في روايته أن أمراء بني أمية «جاؤوا يستأذنون على عبد الله معتذرين فأذن لهم وقد أكمن رجالاً من المسودة ومعهم الكافر كوبات[154] وقال: إذا ضربت بقلنسوتي الأرض فابرزوا، ودخل القوم فسلموا عليه بالخلافة، فنادى: يا حسن بن علي، يا حسين بن علي، يا زيد بن علي، يا يحيى بن زيد ما لكم لا تجيبون وتجيب بنو أمية، فأيقن القوم بالهلاك، ..... ثم ضرب بقلنسوته الأرض وقال: يا ثارات الحسين، فخرجت المسودة ودقوهم بالكافر كوبات حتى شدخوهم عن آخرهم ثم دعا بالبسط والأنطاع وفرشها عليهم ودعا بالطعام فأكل فوق هامهم و إن منهم لمن يئن أسى، وقال: ما أكلت طعاماً مذ سمعت بقتل الحسين أطيب من هذا»[155].

(153) تاريخ اليعقوبي، ج2، ص355.

(154) **الكافر كوبات:** مصطلح فارسي بمعنى العصي التي تشق رؤوس الكفار، وكوب: كلمة فارسية بمعنى الدق والكسر، وأصلها أن المسودة (جيش الثورة العباسية) الذين كانوا مع أبي مسلم الخراساني صبغوا العصي التي معهم باللون الأسود، وسموها (كافر كوبات). الدينوري: الأخبار الطوال، ص361؛ الميمني: سمط اللآلي، ص 315.

(155) البدء والتاريخ، ج6، ص72-73.

والواضح من الروايتين السابقتين أن هناك حبكة مسرحية حوارية أقحمت نفسها في الرواية، لتحاول التذكير بمقتل الحسين بن علي، لتمنع القاريء من التعاطف مع أمراء بني أمية رغم أن الجريمة المتهمون بها لم يرتكبوها هم فعلياً، إذ يفصل بين الحادثتين ما يزيد عن سبعة عقود، ومما يجعلنا نشك في دقة هذه النقولات عن عبد الله بن علي، أن النزعة العلوية كانت شبه منعدمة عند العباسيين، فخطبة أبي العباس السابق ذكرها، والتي كانت بمثابة التعبير السياسي والحزبي للعباسيين، ندر ذكر العلويين فيها ، كما أن العباسيين قتلوا وزيرهم الأول (أبو سلمة الخلال) لمجرد ورود شبهة محاولته نقل الخلافة إلى العلويين[156].

ورغم اتفاق المؤرخين على وقوع هذه المذبحة إلا أنهم يختلفون في عدد ضحاياها، فهم ثمانون رجلاً عند ابن حبيب البغدادي[157]، واليعقوبي[158]. أما عند ابن خياط[159]، وابن قتيبة الدينوري[160]، وصاحب الإمامة والسياسة[161]، والمسعودي[162]، فهم بضعة وثمانين رجلاً. ويحددهم الطبري الذي لم يذكر أياً من تفاصيل الحادثة باثنين وسبعين رجلاً[163]، وتدل رواية أخرى أنهم كانوا تسعين رجلاً[164].

أما الرواية التي يوردها ابن كثير والتي تفيد بأنهم كانوا اثنين وتسعين ألفاً[165]، فظاهرٌ مخالفتها للعقل والمنطق، وللروايات المشهورة في المصادر الأقرب لعهد الحادثة، وربما تكون إضافة كلمة ألف إلى اثنين وتسعين من أخطاء النساخ.

(156) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص359-360.
(157) المحبر، ص485.
(158) تاريخ اليعقوبي، ج2، ص355.
(159) تاريخ خليفة، ص404.
(160) المعارف، ص 210.
(161) ج2، ص296.
(162) مروج الذهب، ج3، ص247؛ التنبيه والإشراف، ص285.
(163) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، ج4، ص356.
(164) القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج1، ص167.
(165) البداية والنهاية، ج10، ص45.

ومن مشاهير الذين قتلهم عبد الله بن علي في هذه المذبحة، الأمير محمد بن عبد الملك بن مروان الأموي، المشهور بالعبادة والتدين، وقد ولي الديار المصرية لأخيه الخليفة هشام، وهو الذي تغلب على الأردن عند مقتل الخليفة الوليد بن يزيد(166)، وكذلك قتل يزيد بن هشام، والغمر بن يزيد بن عبد الملك، وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك(167).

ويمكن حصر أسماء عدد لا بأس به من ضحايا هذه المذبحة بتتبع الإشارات الواردة في كتب التراجم، لا سيما تاريخ دمشق لابن عساكر(168)، أو كتب الأنساب مثل جمهرة أنساب العرب لابن حزم(169).

وكان قدر عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل (ت: 172هـ/ 788م) أن يكون أشهر الناجين من هذه المذبحة، وأعجبهم حالاً بعد زوال ملكهم، فإنه كان من ضمن أمراء بني أمية الذين لجئوا إلى فلسطين، فلما أخذ بنو أمية الأمان، ثم نُكِث بهم في مذبحة أبي فطرس، وأبيحت دمائهم، خرج خائفاً حتى دخل قرية على نهر الفرات، فلما رأى رايات كتائب جيش العباسيين على مشارفها هرب منها، وتسلل حتى انتقل إلى إفريقية وبلاد المغرب(170)، ثم إلى الأندلس ليقيم حكم بني أمية فيها عام (138هـ/ 755م) أثناء خلافة أبي جعفر المنصور، الذي كان معجباً بشخصيته، ولقبه بصقر قريش.(171)

ويذكر صاحب الإمامة والسياسة أن عبد الرحمن بن معاوية كان ينوي الحضور إلى مجلس عبد الله بن علي عند أبي فطرس، فلقيه رجل كان عبد الرحمن قد صنع معه معروفاً في السابق، فألح على عبد الرحمن بالنصيحة ألا يدخل ذاك المجلس، وأن يهرب إلى المغرب محذراً إياه من غدر عبد الله بن علي به، ثم قامت الرواية بإضفاء بعد غيبي نبوئي على شخصية عبد الرحمن بن معاوية(172). مما يجعل التسليم بصحتها أمراً صعباً.

(166) أبو العرب التميمي: المحن، ص 278؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج1، ص136؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج8، ص 531.

(167) الأزدي: تاريخ الموصل، ص 139.

(168) انظر مثلاً: ج7، ص224؛ ج9، ص310؛ ج10، ص365؛ ج16، ص175؛ ج17، ص155.

(169) انظر مثلاً: ج1، ص86، 88، 89، 90، 91، 103؛ ج2، ص457.

(170) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص122؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج23، ص 196.

(171) ابن خلدون: العبر، ج4، ص121؛ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص376.

(172) انظر: ج2، ص296-297.

وبعد أن انتهى عبد الله بن علي من مذبحة نهر أبي فطرس وقتل مروان بن محمد، بقي في فلسطين يتولى أمر إدارة شئون بلاد الشام وتثبيت حكم العباسيين فيها، والقضاء على فلول الأمويين الذين «طلبوا من بعدها بطن الأرض»(173).

وفي بداية الولاية الأولى للقائد العباسي صالح بن علي على مصر عام (133هـ/ 750م)، تعقب الأمويين وتكرر حجزه مجموعات منهم ومن أنصارهم، سواء خدعة بعد أن يعطيهم الأمان، أو أن يلقي عليهم القبض، وقد كان يراسل الخليفة أبا العباس (السفاح) في العراق بشأنهم، فيأمره بإرسالهم إلى عبد الله بن علي في فلسطين، فيحملوا بطريقة مهينة أمام عامة الناس في مصر حتى يصلوا قَلَنْسوة(174)، فيقتلهم هناك عبد الله بن علي مع غيرهم من الأمويين(175). والظاهر أن عبد الله بن علي قد اتخذ من حصن قَلَنْسوة قاعدة لإدارة عملياته العسكرية والتصفوية لخصومه في بداية ولايته على الشام.

وعليه، فمن الصعب تبرئة أبي العباس من بطش قواده وولاته، ولا سيما عبد الله بن علي، أو محاولة إزالة صفة السفاح عنه، كما يحاول بعض المؤرخين ذلك(176)، فإنه كتب إلى عماله في الشام والحجاز «يأمرهم بتتبع بقايا بني أمية، ووضع الأرصاد عليهم، وقتلهم حيث ثقفوهم، ففعلوا واستأصلوا»(177)، فضلاً على أنه «كان سريعاً إلى سفك الدماء فاتبعه في ذلك عماله بالمشرق والمغرب»(178).

والذي يفهم من القسوة والبطش الذي مارسه العباسيون بقيادة عبد الله بن علي ضد الأمويين وأنصارهم سواء في فلسطين أو غيرها من بلاد الشام، ومن ثم تتبعهم بالقتل، أنه ينم عن خوف العباسيين من أي احتمالات للثورة يمكن أن يقوموا بها لاحقاً، مستندين على قاعدتهم في بلاد الشام، رغم أن موقف القبائل الشامية، قيسية ويمنية، من مروان بن محمد أثناء مطاردته من العباسيين لم يكن يصل إلى المستوى المتوقع منهم.

(173) ابن خلدون: العبر، ج4، ص120.

(174) **قَلَنْسوة:** بفتح القاف واللام وسكون النون، مدينة وحصن شمالي الرملة من أرض فلسطين، ويبعد عنها أربعة وعشرون ميلاً، وهو في الطريق بين العاصمتين طبرية والرملة، ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص78؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص392.

(175) الكندي: الولاة والقضاة، ص98-100.

(176) انظر مثلاً ما كتبه عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص53؛ أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص41-44؛ فاروق عمر فوزي ومحسن حسين، الوسيط في تاريخ فلسطين، ص71.

(177) المرعشي: غرر السير، ص307.

(178) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص226.

ودل سلوك العباسيين تجاه خصومهم من الأمويين على مخالفة صريحة لتعاليم الإسلام الذي شدد على تحريم قتل النفس بغير حق، كما أن سلوكهم هذا أنقص من قيمة الادعاء باتباع الكتاب والسنة، وما حاولوا إثباته من حقهم الشرعي في الخلافة، كما مر في المبحث السابق.

وهكذا نرى أن بلاد الشام وفلسطين قد أصبحت إقليما تابعاً للدولة العباسية الناشئة، بعد فصل دموي كانت المذابح العباسية وانقلاب اليمنية على مروان بن محمد وخذلان القيسية له من مشاهده الرئيسة، وهو مما سيؤثر -بلا شك- على سير الأحداث وتطورها فيما بعد.

# المبحث الثالث
# أهم الأحداث والتطورات السياسية

كان انتزاع الشام من أيدي الأمويين وما صاحبه من إذلال وتخريب وتدمير ومذابح أمراً صادماً لأهلها، الذين تفيئوا ظلال الصدارة مدة قاربت القرن مع الأمويين، لذا كان من الصعب عليهم أن يسلموا بالأمر الواقع، فقاموا بعدد من الثورات الإقليمية والمحلية ضد الحكم العباسي الجديد، وفي رد ابن جعونة(179) على أبي جعفر المنصور دليل على ذلك، فحين سأله المنصور: «ألا تحمدون الله إذ رفع عنكم الطاعون في ولايتنا؟»، رد عليه: «الله أعدل من أن يجمعك علينا والطاعون»(180).

ورصدت الباحثة أمينة البيطار أسباباً عامة أثرت في موقف أهل الشام الصلب من العباسيين، وهي:

- ابتعاد مركز الخلافة عن الشام، وبالتالي فقد أهالي الشام المكاسب التي حققوها أيام الأمويين.
- خوف العباسيين من أهالي الشام لإدراكهم أنهم أنصار الأمويين، وما نتج عن ذلك من مراقبتهم والتضييق عليهم.
- كثرة تبديل الولاة وما نتج عنه من اضطراب سياسي وتأخر حضاري.
- إثارة العباسيين للعصبية القبلية عن طريق تقريبهم لليمنية دون القيسية في بداية الأمر، وتبع ذلك فيما بعد إهمال لشأن العرب تدريجياً، فمنذ عهد المأمون بدأ اعتماد العباسيين على الفرس وإهمال العرب، وجاء عصر المعتصم فأسقط العرب من ديوان العطاء(181).

(179) **ابن جعونة:** هو منصور بن جعونة، كان من قادة مروان بن محمد وقد بنى حصنا ورابط فيه مع عدد كثيف من أهل الشام والجزيرة وأرمينية لرد العدو، رفض الخضوع لبني العباس وامتنع في الرها، ثم وقف إلى جانب عبد الله بن علي في طلبه الخلافة لنفسه بعد السفاح، قبض عليه المنصور وقتله عام (141هـ/ 758م). اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص370؛ ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص265-266.

(180) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص246.

(181) أمينة البيطار: تاريخ العصر العباسي، ص72.

-

وفي السطور التالية تفصيل ما ذكرته المصادر عن أهم تلك الأحداث التي لها علاقة بفلسطين، سواء انطلقت منها أو شاركت فيها.

ففي عهد الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح (132-136هـ/ 750-754م)، وفي السنة الأولى من خلافته اشتعلت ثورة حبيب بن مرة كأول ثورة في عهده[182]، وكان حبيب من القادة الفرسان في جيش مروان بن محمد[183]، وأحد وجوه القيسية في فلسطين والبلقاء، إذ كان منزله في الرمله ونواحيها[184].

وعن السبب المباشر لثورته تذكر المصادر أنه خاف على نفسه وعلى قومه من العباسيين[185] الذين لم يرحموا أياً من بقايا الأمويين، وتذكر بعض المصادر السريانية أن سبب الثورات الشامية الأولى في وجه العباسيين -ومنها ثورة حبيب- هو شعور عرب الشام بالندم «لما ركبهم من العار وتسليط العجم عليهم، ينزلون منازلهم ويأخذون أموالهم، فهاجت لذلك واضطربت، وامتنعوا من البيعة»[186]، وهو ما يؤيده الذهبي بأن جور المسودة (العباسيين) وجبروتهم زرع الكره في قلوب الناس[187].

وأيا كان السبب المباشر أو الأسباب المحفزة على الثورة، فإن كلا الأمرين يعني عدم خضوع الشام وفلسطين للحكم الجديد، وأن مذبحة أبي فطرس لم تحقق أهدافها في الردع أو كي الوعي لدى أتباع الأمويين أو عرب الشام.

(182) ابن خلدون: العبر، ج3، ص173.
(183) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص357.
(184) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص114.
(185) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص357؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج12، ص61؛ ابن خلدون: ج3، ص173.
(186) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص114.
(187) تاريخ الإسلام، ج8، ص340.

كانت ثورة حبيب بن مرة كبيرة، إذ بايعته القيسية والقبائل الموالية لها، كما تبعه أهل البلقاء والبثنية وحوران(188)، وانضم إلى الثورة طائفة كبيرة من قيسية دمشق بعد أن نجح العباسيون في التحالف مع اليمانية فيها، ثم تبع الثورة طائفة أخرى من يمانية دمشق بلغت أربعة آلاف على رأسهم عثمان بن عبد الأعلى الأزدي الذي خرج من دمشق وتحالف مع حبيب(189).

واتخذت ثورة حبيب بن مرة وحلفائه شعاراً مخالفاً لشعار العباسيين فلبسوا البياض من الثياب، وحملوا الرايات البيض على خلاف رايات العباسيين السوداء(190).

وحاول الجيش العباسي بقيادة عبد الله بن علي القضاء على الثورة فجرت بين الجيشين وقعات ومعارك عدة لاسيما في البلقاء، كان النصر فيها حليفاً لجيش الثورة، حتى إذا ما أتى عبد الله بن علي خبر ثورة أخرى في قِنَّسرين يقودها أبو الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر الكلابي، وهو أيضاً من قادة وفرسان الجيش الأموي، اضطر حينها أن يدعو حبيب بن مرة إلى الصلح، فصالحه وأعطاه الأمان لنفسه ولمن معه(191).

وبذلك تنتهي الأخبار عن تلك الثورة، وهذه النهاية تؤيد أن الدافع كان خوف أولئك المنتمين للأمويين على أنفسهم ورغبتهم في ضمان أمنهم الشخصي.

وفي عهد الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور (136-158هـ/ 154-775م)، وفي الأشهر الأولى من خلافته، تمرد في فلسطين الحكم بن ضبعان حفيد القائد الأموي روح بن زنباع الجذامي، والحكم هو ذاك القائد اليماني السابق ذكره الذي وقف في وجه الخليفة الأموي مروان بن محمد أثناء فراره من جيش عبد الله بن علي العباسي، ومنعه من دخول فلسطين(192).

(188) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص358.

(189) الأزدي: تاريخ الموصل، ص144؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص56.

(190) ابن خلدون: العبر، ج3، ص173؛ العصامي: سمط النجوم العوالي، ج2، ص173.

(191) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص357؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج12، ص61؛ ابن الأثير: الكامل، ج2، ص495؛ ابن خلدون: ج3، ص173.

(192) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص320، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص354؛ المرعشي: غرر السير، ص299؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج15، ص10.

وكان تمرد الحكم في فلسطين جزءاً من تمرد أكبر في الشام قاده عبد الله بن علي – عم السفاح والمنصور – خلال عصيانه ورفضه الاعتراف بخلافة أبي جعفر المنصور، وادعائها لنفسه، إذ استند عبد الله بن علي في رفضه لخلافة المنصور وادعائه بأحقيته بها إلى روايته الخاصة بأن السفاح قد عهد إليه بالخلافة، نظير بطولاته خلال السيطرة العباسية ولاسيما ملاحقة الخليفة الأموي مروان بن محمد، فلما كان عبد الله بن علي والياً على الشام للسفاح وكان الحكم بن ضبعان أحد قادته، ومن المصدقين له ومؤيديه في ادعائه، عينه والياً على فلسطين، كما عين غيره ولاة على أجناد أخرى[193]، وبذلك يكون قبول الحكم بن ضبعان بهذه الولاية بمثابة الخروج على الخليفة المبايع له من العامة وهو أبو جعفر المنصور، ويرى بعض المؤرخين أن وقوف أهل الشام مع عبد الله بن علي ليس حباً فيه بقدر ما هو رغبة منه في اضطراب أحوال العباسيين لأملهم في رجوع السلطة إليهم.[194]

واستطاع الحكم خلال مدة تمرده التي لم تتجاوز السنة (137هـ/ 154م) أن يسيطر على العديد من مدن فلسطين الداخلية والساحلية[195]، مما جعل الخليفة المنصور يكلف صالح بن علي والي مصر، وقد كان والياً سابقاً على فلسطين، أمر القضاء على هذا التمرد، فأرسل صالح بن علي ثلاثة من خيرة قواده على رأس كتائبهم في جيش موحد يقوده أبو عون، وبدأ هو في تعقب ذرية روح بن زنباع (القائد الأموي جد الحكم بن ضبعان) ممن كان يقيم في مصر، وكذلك شرع في تجهيز جيش آخر يتولى هو قيادته، وبينما هو في طريقه نحو فلسطين أتاه خبر هزيمة تمرد الحكم مصحوباً بثلاثة آلاف رأس ممن كان مع الحكم،ثم انتقل إلى فلسطين والياً عليها في نهاية العام (137هـ/ 154م).[196]

(193) البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص145.

(194) عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص57.

(195) Theophanes: The chronicle of Theophanes, p.118

(196) الكندي: الولاة والقضاة، ص 103–104؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص331–332؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص306.

أما مصير الحكم فتذكر الرواية أنه هرب إلى بعلبك فقبض عليه والي دمشق آنذاك عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام فأرسله إلى صالح بن علي فقتله.(197)

تشير المعلومات السابقة إلى عدد من القضايا لعل أهمها أن تمرد الحكم كان قوياً ومؤثراً استطاع من خلاله السيطرة على أجزاء واسعة من فلسطين، كما يظهر جلياً أن عدد المنضمين إلى تمرده كان كبيراً إذا ما قسناه إلى عدد الرؤوس المقطعة أو طبيعة الجيش المرسل لمحاربته وشروع صالح بن علي بتجهيز جيش آخر. كما يظهر جلياً مدى القسوة التي تمت من خلالها معالجة عصيان عبد الله بن علي وأتباعه من متمردي الأقاليم.

وفي خلافة المنصور (136-158هـ/ 754-775م) قامت في فلسطين أيضاً ثورة أخرى، لم تذكر المصادر التي بين أيدينا الكثير من تفاصيلها أو أسبابها أو توقيتها، لكنها حتماً بعد القضاء على تمرد الحكم بن ضبعان الجذامي، وقد تزعمها شيخ كبير السن، والظاهر أنها كانت ثورة محدودة ومحلية، نتج عنها بعض العبث في فلسطين، فلما وصل خبرها إلى المنصور، أرسل إلى واليه على فلسطين(198) يتوعده بالويل وإهدار الدم إن لم يبعث إليه بقائد الثورة، فقبض عليه والي فلسطين وأرسله إلى المنصور، فتدخل حاجب المنصور ووزيره أبو الفضل الربيع بن يونس(199)، الذي كان من أصل فلسطيني، وتشفع له عند المنصور فتم له ذلك، وأمره المنصور بأن يطلق سراحه ويحسن إليه(200).

(197) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص323؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج15، ص10.

(198) لا تعيِّنه المصادر التي تناولت الحادثة، وربما يكون عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام، فقد ولي فلسطين لأبي جعفر، واشتهر بظلمه وعسفه بالناس، وسيتم الحديث عنه في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

(199) **الربيع بن يونس (111-170هـ/ 730- 786م)** : يعود بنسبه إلى أبي فروة كيسان ، وهو من سبي الخليل، مولى عثمان بن عفان، وبذلك يكون فلسطيني للأصل، وقد كان للعائلة الكيسانية في ظل العباسيين ما كان لعائلة روح بن زنباع في عهد الأمويين، تولى الربيع الحجابة للمنصور، ثم وزر له. كان جليلاً نبيلاً منفذاً للأمور مهيباً فصيحاً كافياً حازماً عاقلاً فطناً، خبيراً بالحساب والأعمال، حاذقاً بأمور الملك، فنال الوزراة لعدد من الخلفاء العباسيين وكذلك ذريته من بعده ذلك. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج8، ص414؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص294؛ ابن الطقطقا: الفخري في الآداب السلطانية، ص178؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص335. مصطفى مراد الدباغ: الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، ص184-185.

(200) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص97؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص295.

إن قَبول المنصور شفاعة الربيع بن يونس في هذا الثائر إنما تدل –إلى حد ما– على أن الثورة لم تكن ذات طابع عسكري، ولم يهراق فيها دماء رجال الدولة، وأن المنصور ربما كان يعرف أن ظلماً يمارسه واليه على فلسطين، فلم يبالغ في عقوبة الثائر.

وأثناء فترة خلافته (136–158هـ/ 154–775م) ، قدم المنصور إلى فلسطين مرتين؛ لا تذكر المصادر الكثير عن أخبارهما، وكانت المرة الأولى في العام (141هـ/ 758م) في طريق عودته من رحلة الحج، فزار بيت المقدس وصلى في مسجدها(201)، وعلل المسعودي الزيارة بنذر كان على المنصور(202)، وأثناء زيارته أرسل في طلب والي مصر وأبدله بوال آخر(203).

أما المرة الثانية فكانت بعد ثلاثة عشر عاماً (154هـ/ 787م) صحبه فيها حاجبه الفلسطيني الربيع بن يونس، ومن بيت المقدس وجَّه القائد يزيد بن حاتم إلى إفريقية في جيش من خمسين ألف مقاتل لحرب الخوارج هناك.(204) وبلغت مدة إقامته بفلسطين الشهر(205).

ولا تذكر المصادر أحداثاً سياسية مهمة وقعت في فلسطين خلال خلافة المهدي (158–169هـ/ 775–785م) وابنه الهادي (169–170هـ/ 785–786م) سوى أن المهدي قد أتى إلى بيت المقدس زائراً وصلى فيها في العام (163هـ/ 780م).(206)

(201) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص394؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص27؛ المرعشي: غرر السير، ص338.

(202) مروج الذهب، ج3، ص308.

(203) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص306.

(204) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص506؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص218؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج18، ص85؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج6، ص322.

(205) الدينوري: الأخبار الطوال، ص383.

(206) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج18، ص85؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص264.

أمـا في خلافـة الرشـيد (170-193هـ/ 786-808م)، شـهدت فلسـطين ثـورة في عـام (190هـ/ 805م) قام بها شخص من عبد القيس يدعى سيف بن بكر، فأرسل الرشيد إليه جيشـاً بقيادة محمد بن يزيد بن مزيد الشيباني فقتله عند عين البقر[207] القريبة من مدينة عكا.[208] ولا تذكر المصادر تفاصيل أوفى عن هذه الثورة، ويبدو أنها كانت ثورة محلية محدودة وغير ذات أثر بالغ.

وفي العام التالي (191هـ/ 806م) نشبت ثـورة شـهد جنـوب فلسـطين الجـزء الأكبـر مـن أحداثها، ذلك أن الرشيد عين الحسين بن جميل والياً على مصر، فاشـتد عـلى النـاس في الخـراج، فخرج عليه الناس في منطقة الحوف من الوجه البحري في مصر، وخرج عليهم أبـو النـداء -مـن موالي قبيلة بلي- في أيلة[209]، وكان معه نحو ألف رجل وكان يقطع الطريق بأيلـة وبـدا وشـغب[210] ومدين، وأغار على عدد من القرى في جنوب الشام، وانضم إليه عدد من الثـوار الآخـرين، حتـى بلغوا مبلغاً عظيماً من النهب والقتل، فأرسل هارون الرشـيد يحيـى بـن معـاذ في أمـرهم، فسـار يحيى إلى فلسطين وبعث جيشاً في طلب أبي النداء ومن معه، وكذلك فعل الحسين بن جميـل والي مصر آنذاك، فالتقى الجيشان بأيلة وهزموا أبا النداء ومن معه، وتم القبض على أبي النداء واقتيـد أسيراً إلى الخليفة هارون الرشيد الذي قتله فيما بعد، ولما وصلت أخبار مقتل أبي النداء إلى أهل الحوف تراجعوا عن عصيانهم وأدوا ما عليهم من خراج[211].

(207) عند الطبري (عين النورة)، وما أثبتناه عند الأزدي، وعين النورة غير مذكورة في كتب البلدان، أما عين البقر: عين ماء قرب عكا يزورها المسلمون والمسيحيون واليهود، وفي الروايـات الشـعبية أن بقـراً خـرج منهـا لآدم ليحـرث الأرض. ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص176.

(208) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص677؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص 309.

(209) **أيلة:** كانت مدينة جليلة على ساحل البحر المـالح (الأحمـر)، يجتمـع بهـا حـاج الشـام ومصـر والمغـرب، وبهـا التجارات الكثيرة، وأهلها أخلاط من الناس، وتعرف اليوم بمدينة العقبة، ميناء المملكة الأردنية الهاشمية، ويضاف لها خليج العقبة. اليعقوبي: البلدان، ص129؛ الدباغ: الول العربية وعهودها في فلسطين، ص199.

(210) **بدا وشغب:** واديان من معالم مدينة أيلة ونواحيها، وكان عليهما ضيعة للإمام الزهري. يـاقوت: معجـم البلـدان، ج5، ص88؛ السمعاني: الأنساب، ج3، ص439.

(211) الكندي: الولاة والقضاة، ص143-144؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، 141.

ومن الموضوعية أن نذكر هنا أن هذه الثورة لم تكن ثورة أهل فلسطين، وإن كانت أرضها قد شهدت الجزء الأكبر من أحداثها، بل إن الذي لا شك فيه أن أهلها كانوا أكثر الناس تضرراً من هذه الثورة إذا ما عرفنا أن منطقة النشاط التخريبي وقطع الطريق لجماعة أبي النداء كان في طريق أهل فلسطين إلى المدينة، فحسب ما جاء في معجم البلدان أن «لأهل مصر وفلسطين إذا جاوزوا مدين طريقان إلى المدينة: أحدهم على شغب وبدا، وهما قريتان بالبادية كان بنو مروان أقطعوهما للزهري المحدث، وبها قبره حتى ينتهي إلى المدينة »[212].

آلت الخلافة من بعد الرشيد إلى نجله الأمين، وكانت مدة خلافته (193-198هـ/ 808-813م) مليئة بالاضطرابات ففي أول سنوات خلافته (193هـ/ 808م) أرسل ابن التختاخ[213] واليه على مصر آنذاك أموال الخراج إلى مقر الخلافة في بغداد، فلما صارت الأموال في فلسطين في طريقها إلى بغداد، استولى أهل الرملة على هذه الأموال، فأخذوا منها مقدار عطائهم السنوي كاملاً وأدخلوا الباقي في بيت المال[214].

وتدل الرواية السابقة على أن أهل الديوان في فلسطين لم يكونوا يتقاضون رواتبهم السنوية، لأن العباسيين اتبعوا سياسة تعزيز وجود العناصر الخراسانية على حساب جنود الديوان الذين كانوا في أغلبيتهم الساحقة من القبائل العربية، وخصوصاً في القبائل الشامية التي لم يطمئنوا لولائها أبداً، أما إرجاع الأموال الزائدة عن عطاء الجند إلى بيت المال كان رغبة منهم في عدم إغضاب الخلافة في بغداد في هذه المرحلة[215].

(212) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص88.

(213) **الحسن بن التختاخ:** آخر ولاة مصر في عهد الرشيد (193هـ/ 808م)، وفي بداية عهد الأمين واجه «فتنة عظيمة» في مصر، إذ ثار الجند في وجهه، كما تقاتل الناس في الجامع وغيره، ثم عزله الأمين. الكندي: الولاة والقضاة، ص146.

(214) الكندي: الولاة والقضاة، ص146.

(215) عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص245.

وازدادت الاضطرابات في العام التالي لخلافته حين ظهرت الخلافات مع أخيه المأمون فيما عرف في المصادر الإسلامية باسم «فتنة الأمين والمأمون»، وإن كنا لا نملك الكثير من المعلومات عن دور فلسطين السياسي في هذه المرحلة إلا أننا يمكن الوقوف على بعض الإشارات التي تفيد أن فلسطين عاشت مرحلة الاضطراب، شأن باقي ولايات الخلافة، لدرجة أن ابن التختاخ لما أراد الرجوع إلى بغداد بعد عزله عن ولاية مصر عام (194هـ/ 809م) ، «سار متوجها في طريق الحجاز لفساد طريق الشام»[216]، ومن تداعيات الفتنة على بلاد الشام أن ظهرت زعامات سيطر كل منها على ناحيته[217].

وتأثر بهذه الفتنة واضطراب حبل الأمن فيها، أهل فلسطين بكافة مكوناتهم الإجتماعية، «فكان السكان معهم من السامرة وغيرهم في شدة عظيمة وهائلة، يدخلوا الضياع وينهبوا الغلال والذهب والفضة والنحاس والكسوة»[218]. كما وتأثرت الطائفة السامرية بهذه الفتنة إذ اعتدى عليهم وعلى أماكنهم بعض العصابات التي استغلت جو الفوضى، هدمت بعض الكنائس في القدس ودمر دير مار سابا ودير أيوثيموس في فلسطين، ولم تتوقف هذه الاعتداءات والفوضى إلا بعد أن أرسل الخليفة المأمون قائده القوي عبد الله بن طاهر[219] الذي أوقف الاضطراب وأعاد الأمن إلى المنطقة[220].

(216) الكندي: الولاة والقضاة، ص146.

(217) انظر: عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص246.

(218) أبو الفتح السامري: كتاب التاريخ عن الآباء، ص184.

(219) **عبد الله بن طاهر (182 – 230 هـ = 798 – 844 م):** من أشهر الولاة في العصر العباسي، أصله من خراسان، ولاه المأمون الشام والجزيرة ومصر، حرباً وخراجاً، ثم عاد إلى بغداد فولاه خراسان، وظهرت كفاءته فكانت له طبرستان وكرمان وخراسان والري والسواد وما يتصل بتلك الأطراف، واستمر كذلك إلى أن توفي بنيسابور. البغدادي: تاريخ بغداد، ج9، ص483؛ الزركلي: الأعلام، ج4، ص93.

(220) Theophanes: The chronicle of Theophanes, p.118; Jams A. Montgomery, The Samarians, p.128; Jacob de Hass, History of Palestine, p.159.
وانظر: عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص246.

وتشير الرواية التاريخية أن جميع أجناد الشام خلال الفتنة قد احتشدت في جيش الأمين الذي كان يقوده عبد الملك بن صالح، لكن موقف أهل الشام اختلف حين وجدوا أنفسهم مع الجنود الخراسانيين في عسكر واحد في الرقة، وقد تعرضوا لأذى الخراسانيين، فصاح بهم أحد قادتهم: « إنها الراية السوداء ... اعتزلوا الشر قبل أن يعظم ... داركم داركم، الموت الفلسطيني خير من العيش الجزري» ثم رجع ورجع معه عامة أهل الشام(221).

انتهت فتنة الأمين والمأمون بمقتل الأمين وتولي المأمون للخلافة من بعده، واتسمت خلافة المأمون (198-218هـ/ 813-833م) باستقرار الأوضاع الداخلية وهدوئها، ويذكر بعض الباحثين أنه قد زار بيت المقدس في العام (216هـ/ 831م) أو أوائل العام (217هـ/ 832م)(222) معتمدين على رواية تتحدث عن خروج المأمون إلى جبل الثلج (جبل الشيخ) للتنزه والتصيد أثناء زيارته لدمشق(223). وجبل الثلج المذكور يقع بدمشق وليس بفلسطين(224)، فضلاً عن خلو المصادر المتاحة من ذكر لزيارة المأمون لفلسطين على خلاف الأخبار الواردة في زيارة المنصور والمهدي.

وفي خلافة المعتصم (218-227هـ/ 832-842م) وتحديداً في العام الأخير منها تفجرت من فلسطين واحدة من أعظم ثورات الشام في تلك المرحلة، وبالرغم من أهمية هذه الثورة بما تسلطه من ضوء على أحوال العامة في الشام، إلا أن المصادر لا تزودنا بمعلومات كافية عن حياة قائد الثورة الملقب بالمبرقع اليماني، والمكنى بأبي حرب، وينفرد اليعقوبي بذكر اسمه «تميم اللخمي»(225)، وهذه كلها على غير عادة ما يذكر من الأسماء ذات التأثير في كتب التاريخ والتراجم، مما يدلل على غموض حياة المبرقع قبل الثورة فضلاً عن نجاحه في إخفاء شخصيته.

(221) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص63؛ فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج2، ص165.

(222) انظر: الدباغ: الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، ص 216-217؛ نبيه عاقل: فلسطين من الفتح العربي الإسلامي إلى أواسط القرن 4هـ/ 10م، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج2، ص280.

(223) «كنا مع المأمون في دمشق، فركب يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بني أمية...». الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص200.

(224) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص232.

(225) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص480.

وأقدم الروايات وأشملها في أمر هذه الثورة، نقلها الطبري وتبعته معظم المصادر اللاحقة، فعن السبب المباشر للثورة تذكر الرواية أن بعض الجند أراد النزول في داره وهو غائب عنها وفيها زوجته أو أخته فمانعته ذلك، فضربها بسوط كان معه بذراعها، فأصاب السوط ذراعها فأثر فيها، فلما رجع أبو حرب إلى منزله بكت وشكت إليه ما فعل بها وأرته الأثر الذي بذراعها من ضربه، فأخذ أبو حرب سيفه ومشى إلى الجندي وهو غافل فضربه به حتى قتله ثم هرب وألبس وجهه برقعا كي لا يُعرف.(226)

وعن كيفية تحول الأمر من مجرد حادثة فردية إلى ثورة مؤرقة للمعتصم الذي كان يعاني حينها من مرضه الذي مات فيه، تذكر الروايات أن المبرقع التجأ إلى أحد جبال الأردن مما صعَّب من إمكانية القبض عليه، فصار يدعو الناس وهو مبرقع الوجه غير معروف الشخصية، وأخذ يحرض الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يذكر عيوب السلطان وما يعانيه الناس، واستمر حاله على هذا الأمر حتى استجاب له قوم من الفلاحين، ومن أهالي القرى المجاورة، و«كان يزعم أنه أموي»(227)، فاعتقد الناس وأصحابه أنه هو السفياني(228) «الذي يملك الشام»(229)، وجاء في رواية أنه ادعى النبوة(230). وهي رواية غريبة في ظل تعدد الروايات التي خالفتها.

(226) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص269؛ ابن الأثير: الكامل، ج6، ص69؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج66، ص135-136؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج11، ص117؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص295؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص 270.

(227) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص69.

(228) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص269؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج66، ص135-136؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج11، ص117.

(229) الكتبي: عيون التواريخ، ص 131.

(230) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، 248.

وتتابع رواية الطبري أن المبرقع اتبع سياسة توسعية تدريجية في الدعوة إلى ثورته فبعد أن استجابت له طبقة الفلاحين، تحول في دعوته إلى طبقة «أهل البيوتات من تلك الناحية»، فاستجاب له طائفة من رؤساء القبائل اليمانية منهم ابن بيهس وكان مطاعاً فيهم، وكذلك تبعه اثنان من كبار البيوتات من أهل دمشق(231)، واتبعته عدد من القبائل اليمانية كان منها لخم وجذام وعاملة وبلقين(232).

وحين علم الخليفة المعتصم بخبر الثورة وما آلت إليه، أرسل قائده القوي رجاء بن أيوب الحضاري على رأس جيش قرابة الألف، فلما وصل إلى المبرقع وجد حوله عدداً كبيراً من الأتباع قدرتهم الرواية بمائة ألف، فخاف رجاء خوض المعركة وهو على هذه الحال، فعسكر قبالته وانتظر حتى كان موعد حراثة الأرض وزراعتها، فانصرف من كان مع المبرقع من الفلاحين لإصلاح أرضهم وزراعتها، ولم يبق معه سوى ألف أو ألفين، فتقدم رجاء وقاتله حتى استطاع أن يقوده أسيراً إلى المعتصم في سامراء(233)(234).

وتشير رواية أخرى أن نشاط الثورة كان في الرملة، وأن رجاء بن أيوب الحضاري قد هاجمه في الرملة حيث قتل عشرين ألفاً من أتباعه حتى حمله أسيراً إلى المعتصم(235).

(231)الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص269؛ ابن الأثير: الكامل ، ج6، ص69؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج66، ص135-136؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج11، ص117؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص295؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص 270.

(232) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص480.

(233) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص269؛ ابن الأثير: الكامل ، ج6، ص69؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج66، ص135-136؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج11، ص117؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص295؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص 270.

(234) **سامراء:** مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت، اشتهرت منذ عهد المعتصم حين اتخذها عاصمة للخلافة العباسية بعدما ضاقت بغداد بجنوده الأتراك. ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص173-174.

(235) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص270؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج66، ص137.

وقد ذكر بعض الباحثين أن الثوار قد دمروا أجزاء واسعة من نابلس واعتدوا على معبد الطائفة السامرية، وكذلك على كاهنهم الكبير ففر جريحاً إلى الخليل حيث توفي متأثراً بجراحه، كما تنسب هذه المراجع إلى ثورة المبرقع قيامها بحصار القدس والاعتداء عليها وعلى أهلها من المسلمين والنصارى(236). ويبدو أن بعض العناصر الإجرامية التي التحقت بالثورة من الفلاحين والعامة هم المسئولون عن هذا السلوك الذي يخالف شعار الثائرين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(237).

تعد أحداث وتفصيلات ثورة المبرقع خير دليل على تشابك العوامل والمؤثرات في نشوب أي ثورة، فهي تشير بطريق أو بأخرى إلى تضافر عوامل شتى أثرت في اندلاع واتساع ثورته، وسواء كان اعتقاد الناس بأن المبرقع هو السفياني أو أنه ادعى ذلك، لأمر له دلالة مهمة في البعدين السياسي والديني في هذه الأحداث، إلا أن للثورة أبعاداً أخرى على المستوى الاجتماعي والاقتصادي.

وتلفت ثورة المبرقع الانتباه إلى قضية قديمة جديدة، وهي قضية «السفياني المنتظر»، ويجدر هنا الإشارة إلى نشوء فكرة السفياني حتى تحولت إلى عقيدة خلاص الشام من بني العباس.

فقد قامت الدعوة للسفياني في أيام الأمويين المروانيين، وكانت آنذاك دعوة للفرع السفياني من بني أمية ضد الفرع المرواني، الذي تسلم الخلافة منذ أيام مروان بن الحكم وحرم خالد بن يزيد بن معاوية من الخلافة وأبعده عنها، فمنذ تلك الفترة وُضعت أحاديث تتنبأ بمجيء السفياني على غرار المهدي المنتظر، و«زعموا أنه [أي خالد بن يزيد] هو الذي وضع ذكر السفياني وكثَّره، وأراد أن يكون للناس فيهم طمع، حين غلبه مروان بن الحكم على المُلك، وتزوج أمه»(238).

---

(236) Jams A. Montgomery, The Samarians, p.129; Jacob de Hass, History of Palestine, p.159.

(237) عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص246.

(238) مصعب الزبيري: نسب قريش، ص129.

وبعد سقوط الدولة الأموية أخذت الدعوة للسفياني طابعاً جديداً أوسع وأشمل مما كانت عليه في السابق، فقد صارت دعوةً لبني أمية جميعها لا لفرع من فروع البيت الأموي، إذ وضع الأمويون بعد سقوط دولتهم ملحمة زعموا فيها أنهم يعرفون ما يحدث في المستقبل من الزمان والآتي من الأيام، من ظهور أمرهم ورجوع دولتهم، وظهور السفياني في الوادي اليابس من أرض الشام[239]، ثم أصبحت الدعوة له بمثابة الصيحة السياسية لأهل الشام الذين فقدوا مجدهم السابق وفقدوا كثيراً من امتيازاتهم ونفوذهم، عندما أصبحت بلادهم ولاية عباسية لا غير[240]، ويذكر المسعودي أنه رأى في عام (324هـ/ 936م) بمدينة طبرية «عند بعض موالي بني أمية، ممن ينتحل العلم والأدب ويتحيز إلى العثمانية كتاباً فيه نحو من ثلاثمائة ورقة بخط مجموع مترجم بـ(كتاب البراهين في إمامة الأمويين)، ونشر ما طوي من فضائلهم أبواب مترجمة ودلائل مفصلة»[241].

وإن كانت ثورة أبي العميطر علي بن عبد الله بن يزيد بن معاوية في (195هـ/ 811م) في مدينة دمشق من أشهر هذه الثورات التي اتخذت من عقيدة السفياني شعاراً لها في العصر العباسي الأول[242]، فإن ثورة المبرقع من أوضح وجوه الرفض السياسي للعباسيين من أهل الشام، وتعلقهم بالأمويين، يدلل على ذلك سرعة زعمهم أن المبرقع هو السفياني المنتظر، رغم فشل ثورة أبي العميطر سابقة الذكر.

(239) محمد كرد علي: خطط الشام، ج1 ، ص177.

(240) صالح الحمارنة: ثورة الفلاحين في فلسطين والأردن، الناس والأرض دراسات في تاريخ جنوب بلاد الشام، ص134.

(241) التنبيه والإشراف، ص291.

(242) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص357-358؛ ابن الأثير: الكامل ، ج5، ص377-378؛ وانظر بتوسع: جميل محمود بني سلامة: دمشق في العصر العباسي، ص73-80.

وبغض النظر عن مدى دقة الأعداد التي استجابت لدعوة المبرقع، إلا أنها تشير بطريقة أو بأخرى إلى كثرة الذين كانوا معه ونجاح دعوته في مرحلتها الأولى، كما أن الثورة بشكل عام تسلط الضوء على الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي كان يحياه عرب الشام في ظل العباسيين، إذ عملوا منذ عهد المأمون على إهمال شأن العرب تدريجياً[243]، وهو الأمر الذي دعا ذلك الرجل الشامي أن يتعرض للمأمون قائلاً: «يا أمير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان، فقال: أكثرت علي يا أخا أهل الشام، والله ما أنزلت قيساً عن ظهور الخيل إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد، وأما اليمن، فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط، وأما قضاعة فسادة حرمها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه، وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث اللّه جل وعز نبيه من مضر .. اغرب فعل اللّه بك»[244].

وقد كان عصب الثورة من الفلاحين أبناء القبائل العربية الذين استقروا ببلاد الشام وصاروا أصحاب القرى والعاملين في أراضيها، ووجدوا في هذه الثورة السبيل للتعبير عن غضبهم على قيمة الخراج المطلوبة وطرق تحصيلها، وغضبهم على سلوك المعتصم الذي أسقط العرب من الديوان وقطع أعطياتهم[245].

ولم تحفظ لنا المصادر أحداثاً سياسيةً تذكر في فلسطين خلال خلافة كل من الواثق والمتوكل والمنتصر (227-248هـ/ 842- 862م)، وفي بداية خلافة المستعين (248-252هـ/ 862-866م) ثار بالأردن رجل من قبيلة لخم فتتبعه والي الأردن فهرب وحل مكانه أحد رجاله يعرف بالقطامي وازداد أتباعه حتى أنه جبى الخراج وهزم الجيوش المتتابعة التي أرسلها إليه والي فلسطين، فلم تزل هذه حاله حتى قدم جيش الخليفة ففرق جمعهم ونفاهم عن البلاد[246].

(243) أمينة بيطار: تاريخ العصر العباسي، ص78.

(244) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص144.

(245) صالح الحمارنة: ثورة الفلاحين في فلسطين والأردن، الناس والأرض دراسات في تاريخ جنوب بلاد الشام، ص134.

(246) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص495.

وفي خلافة المعتز (252-255هـ/ 866-869م) وما تلاها من حقب شملت خلافة المهتدي (255-256هـ/ 869-870م) وشطراً من خلافة المعتمد (256-279هـ/ 870-892م)، شهدت فلسطين تمرداً طويلاً مهد لها أن تدخل في مرحلة تاريخية تفصل ارتباطها بالحكم العباسي المباشر، وقد تزعم هذا التمرد عيسى بن شيخ بن سليل الشيباني الذي تولى فلسطين أولى سنوات خلافة المعتز.

والوقوف على هذا التمرد وفهم تطوراته وارتباطه بما قبله وأثره فيما بعده من أحداث، يستدعي أن نرجع إلى الوراء قليلاً، لنتتبع سيرة المعتصم، الذي استكثر من الأتراك، وكان أول من أدخلهم الديوان(247)، حتى أنهم سيطروا على الجيش ومؤسسة الخلافة، وامتد نفوذهم إلى الولايات الإسلامية، إذ أخذ الخلفاء يقطعونهم تلك الولايات مقابل مبالغ معينة يؤدونها لبيت المال، وقد جرت العادة أن يبقى هؤلاء الأتراك بجانب الخليفة ويرسلون من ينوب عنهم في حكم تلك الولايات.(248)

وقد تعاظم نفوذ الأتراك وتدخلهم في الخلافة حتى أنهم قتلوا الخليفة المتوكل، وفي ذلك يقول ابن طقطقا أن الأتراك «استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في يدهم كالأسير، إن شاءوا أبقوه، وإن شاءوا خلعوه، وإن شاءوا قتلوه»(249).

ومن بعد مقتل المتوكل، مرت بسرعة خلافة كل من المنتصر بالله ثم المستعين (247-252هـ/ 861-866م)، وقد ظهر من هؤلاء الأتراك القائد المتنفذ بغا الكبير، الذي قام بتولية عيسى بن شيخ جندي فلسطين والأردن، مقابل مبلغ من المال أو بضمانٍ تم الاتفاق عليه بينهما، لكنه أرسل نائباً له عليهما يسمى أبو المغراء، وذلك في آخر سني المستعين (252هـ/ 866م)(250).

(247) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص 118.

(248) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 123-124؛
Arther Goldschmidt, Jr: Aconcise History of the Middle east, p.128.

(249) الفخري في الآداب السلطانية، ص 243.

(250) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص420؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج2، ص44؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج6، ص193.

فلما بويع للمعتز بالخلافة من العام نفسه، (252هـ/ 866م)، امتنع عيسى بن شيخ في فلسطين عن البيعة له، فأرسل إليه الخليفة قائده التركي المسمى نوشري، وقد كان حينها عاملاً على دمشق، فالتقيا في الأردن، وكانت بينهما حروباً صعبة، أسفرت عن مقتل ابن نوشري، وهرب الجنود عن عيسى بن شيخ فتركوه وحده، فانهزم إلى فلسطين وحمل منها ما استطاع حمله وهرب إلى مصر، فدخل نوشري الرملة.

وبينما عيسى بن شيخ هارباً في مصر قدم إليها رسول الخليفة لأخذ البيعة من والي مصر، فاستغل ابن شيخ هذه المناسبة وبايع هناك، كاعتراف ضمني بخطأ خروجه وتجديد التزامه بالطاعة للخليفة، وفي ذلك الوقت أرسل الخليفة قائده محمد بن المولَّد إلى فلسطين ليستلم إدارتها من نوشري، وقد كانت مغادرة نوشري، فرصة جديدة لعيسى بن شيخ للرجوع إلى فلسطين دون الخوف من انتقام نوشري منه لمقتل ولده، فلما رجع أقام في قصره الواقع بين الرملة ولُد، وإن لم يجر بين والي فلسطين الجديد ابن المولد وابن شيخ معارك إلا أنهما بقيا على جانب من الحذر من بعضهما.(251)

(251) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص500-501.

وحين وقعت المنازعات بين الأتراك في العراق(252)، و«ضعف أمر المعتز، حتى لم يكن له أمر ولا نهي، وانتقضت الأطراف»(253)، استغل ابن شيخ هذا الاضطراب واستولى على دمشق وأعمالها فضلاً عن فلسطين والأردن، وامتنع عن أداء الخراج إلى الخلافة(254)، وازداد تمرده حدة عندما تعرض لأموال الخراج القادمة من مصر إلى العراق والبالغة سبعمائة وخمسون ألف دينار، فاستولى عليها أثناء مرورها بفلسطين، ووزعها على حاشيته وأعوانه وجنوده(255)، وبدأ يوسع من قاعدته، بأن جمع حوله قبائل من العرب مثل ربيعة وكلب، وأنشأ خارج مدينة الرملة حصنا أسماه الحسامي(256)، «فقويت شوكته، فجمع الجموع، وقوي طمعه في التغلب على الشامات بأسرها»(257)، ولما ظهر من قوته ما ذكر سابقاً، أشاعت الناس أنه متغلب على مصر لا محالة وأنه مُجِدٌ في ذلك الأمر.(258)

وعندما بويع للمهتدي بالخلافة في عام (255هـ/ 869م) قام بإعطاء الأمان لجميع الثوار والمتغلبين على الولايات بما فيهم عيسى بن شيخ، وأرسل إليه وفداً يعرض عليه الأمان وشروطه المتمثلة برد أموال مصر التي استولى عليها والأموال التي لم يؤدها سابقاً من خراج فلسطين والولايات المتغلب عليها، وكذلك ترك الولايات المتغلب عليها، فإن وافق على هذه الشروط سلموه العهد، لكن ابن شيخ رفض هذه الشروط متذرعا بأن المال قد استهلك في الإنفاق على الرجال، ورفض هذه الشروط(259).

(252) انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص382.

(253) المصدر نفسه، ج2، ص502.

(254) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص50؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج2، ص44.

(255) الكندي: الولاة والقضاة، ص214.

(256) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص507.

(257) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص50.

(258) الكندي: الولاة والقضاة، ص214؛ البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص50؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج47، ص311.

(259) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص50؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج47، ص312.

وبينما كان وفد الخليفة يحاور عيسى بن شيخ ورد الخبر من العراق بمقتل الخليفة المهتدي ومبايعة الخليفة المعتمد، عام (256هـ/ 870م)، فرفض ابن شيخ مبايعته، فما كان من الوفد إلا أن استخدم المداراة لينجو منه، وذلك بأن سلموه عهده على إرمينية مع بقائه على باقي الولايات، وعاد الوفد إلى العراق، وأخبر الخليفة المعتمد ما كان من أمر ابن شيخ، فكتب المعتمد إلى أحمد بن طولون بأن يستعد للخروج إلى ابن شيخ، فشرع ابن طولون بتجهيز جيشه وإكثار عدده وتحسين عدته، فورد إليه الخبر بأن جيشاً آخر أرسله الخليفة على رأسه القائد التركي أماجور يتوجه إلى ابن شيخ للقضاء عليه، فتريث ابن طولون حتى يرى ما يكون من أمره، فلما اقترب جيش أماجور من دمشق أرسل إليه ابن شيخ جيشاً على رأسه ابنه منصور بن عيسى ليمنعوه من دخول دمشق، لكن الغلبة كانت لجيش أماجور فقُتل منصور ابن عيسى، وقُتل جماعة من قوَّاده، وأسر نائبه، وهزم جيشه، ودخل أماجور دمشق، فلما علم ابن شيخ بمقتل ولده وهزيمة جيشه، «انخزل، وفتَّ ذلك في عضده، وانكسرت نفسه، وضاقت به الشامات»[260]، فخرج من الشام راحلاً عنها سالكاً الطريق الساحلي حتى وصل إلى أرمينية، وذلك في العام (257هـ/ 871م). واستمر هناك واليا عليها حتى توفي في العام (269هـ/ 882م)[261].

يكشف لنا تمرد ابن شيخ في فلسطين والأردن ودمشق الوجه الحقيقي لحالة الضعف التي أصابت الخلفاء في ظل نفوذ الأتراك، إذ استمر تمرده ست سنوات توزعت على عهود ثلاثة من الخلفاء الضعاف، وقد كان تمرده قوياً ومؤثراً، حتى أن المؤرخ ابن شداد قد عده ضمن الأحداث الفاصلة بين الحقب التاريخية في جندي الأردن وفلسطين، وذلك بقوله: «لم يزل الأردن وفلسطين في يد بني أمية ونوابهم إلى أن انقرضت دولتهم، في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وبويع السفاح عبدُ الله بن محمد فهزمه واستولى على بلاد الشام بأسرها في شوال سنة اثنتين وثلاثين، وولَّى فيها من قبله. ولم تزل بلادُ جُنديْ الأردن وفلسطين في يد نواب بني العباس، إلى أن وليها عيسى بن الشيخ»[262].

(260) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص52.

(261) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص507-508؛ البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص51-52؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج47، ص312-313؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص301؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص315.

(262) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص83.

كما أن تمرد ابن شيخ ترك تأثيراً سلبياً على العهود اللاحقة في تاريخ المنطقة، إذ «كانت ثورة ابن شيخ فاتحة سيئة في تاريخ جند فلسطين، لأنها بدأت عهداً من الفتن والصراعات في بلاد الشام بعامة، وفي فلسطين بخاصة، وقد رسم ابن شيخ الخطة المثلى لكل طامح يريد أن يثور على الدولة، وذلك بأن يضع يده على مالية مصر والجيش المصري، وأن يحاول بعد ذلك تحقيق طموحاته بالتغلغل في ديار الشام»[263].

كان انتصار أماجور على ابن شيخ، ومن ثم تقلده الولاية على الشام، فرصة جديدة للاستقرار السياسي في المنطقة، بعد سنوات من القلاقل والاضطرابات التي صاحبت تمرد ابن شيخ والتي أثرت بشكل مباشر على النواحي الاقتصادية والاجتماعية للشام، وبينما كان أماجور يثبت ولايته على الشام، كان على الطرف المصري القائد التركي الطموح أحمد بن طولون، يفكر ويدبر كيف يوسع حدود ولايته لتشمل بلاد الشام.

ولد أحمد بن طولون في عام (220هـ/ 835م)، وكان والده أحد القادة الأتراك في الحضرة العباسية، وابتدأ ابن طولون حياته كأحد المماليك الأتراك الذين اهتم بهم وبتدريبهم الخليفة حسب النظام السائد آنذاك، وتميز ابن طولون بحسن خلقه وكريم شيمه فضلاً عن حبه للعلم وإتقانه للقرآن الكريم، ولما توفي والده، أوكل إليه الخليفة المتوكل ما كان يقوم به والده من مهام، وظهر منه خلال هذه الفترة وما تلاها من سنوات قدرة وشجاعة، أهلته ليكون والياً على الثغور ودمشق حتى نال ثقة القائد التركي بايكباك الذي أرسله والياً على مصر في العام (254هـ/ 868م)[264]، ومنذ أن تولى أمر مصر حتى اهتم بالقضاء على القلاقل والاضطرابات التي كانت سائدة هناك، وحين قرر الخليفة المعتمد التخلص من الوالي المتمرد عيسى بن شيخ، أرسل إلى أحمد بن طولون بتولي هذه المهمة،

(263) إحسان عباس: فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين، ص 9.

(264) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج5، ص 503؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص426؛ البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص33–37؛ ابن الأثير: الكامل، ج6، ص195؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص1–4.

وصرح له باستخدام ما شاء من موارد مصر في سبيل تحقيق هذه الغاية، وأسرع ابن طولون لتقوية جيشه، «فعرض الرجال، وأثبت من يصلح إثباته، واشترى العبيد روما وسوداناً، وجدد آلته وكل ما يحتاج إليه»[265]، غير أن هذا الجيش لم يمض لغايته لأن الخليفة خاف من صعود نجم ابن طولون وتطور نفوذه، فأوقف الخليفة زحف جيش ابن طولون وأرسل أماجور التركي بدلاً عنه، فنجح أماجور بمهمته، وهزم ابن شيخ وتولى أمر الشام من بعده[266].

وإن خسر ابن طولون الفرصة في نيل شرف القضاء على ابن شيخ إلا أنه كسب جيشاً قوياً أهله للتطلع نحو الشام وتحين الفرصة لضمها لمصر، لكن ذلك لم يحدث ليقظة أماجور وتأهبه، واستمر ذلك الطموح مدة عند ابن طولون حتى جاء قدر أماجور فمات في العام (264هـ/ 878م) ونصَّب الأتراك من بعده على الشام ولده علي بن أماجور، وقد كان صبياً حينذاك، فاغتنم ابن طولون الفرصة وأرسل إليه يخبره بنيته ضم بلاد الشام إلى دولته الجديدة[267]، ذاكراً أن «أمير المؤمنين قد قلده الشام كله، مضافاً إلى الثغور الشامية»[268] وطالبه بإقامة الأنزال وتجهيز الميرة لجيشه أثناء مروره بالشام، فما كان من علي إلا أن رحب بذلك.

ودخل ابن طولون الرملة في العام نفسه[269]، فاستقبله والي فلسطين وخليفة أماجور عليها محمد بن رافع وأعلن الولاء والدعاء له، فأقره ابن طولون عليها، واستمر في طريقه نحو دمشق فاستقبله علي بن أماجور أحسن استقبال، وأقام له بها الدعوة[270].

ويذكر ابن الأثير (ت:630هـ/ 1232م) أن الذي استقبل ابن طولون في الرملة هو علي بن أماجور[271]، وظاهر من رواية كل من البلوي (ت:330هـ/ 941م) والكندي (ت:350هـ/ 961م) المثبتة أعلاه أنها أدق من ناحيتين: الأولى، أن أماجور كان يقيم في دمشق، والثانية، مخالفة ابن الأثير في روايته هذه رواية اثنين ممن اختصا بكتابة تاريخ مصر وابن طولون في تلك الفترة، فضلاً عن قربهما الزماني والمكاني من تلك الأحداث.

---

(265) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص 51.

(266) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص507-508؛ البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص51-52؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج47، ص312؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص301؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص315.

(267) ابن الأثير: الكامل،ج6، ص277.

(268) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص92.

(269) الكندي: الولاة والقضاة، ص220.

(270) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص92؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص217-220.

(271) الكامل،ج6، ص277.

وبعد هذا العرض لأهم الأحداث السياسية التي حلت بفلسطين في الفترة التي كانت فيها تابعة لخلفاء بني العباس مباشرة، (132- 264هـ/ 750-878م) أي منذ سقوط الدولة الأموية حتى ضمها ابن طولون لمصر ودخولها حقبة سيطرة الدويلات المستقلة عن الخلافة، وهي فترة قاربت القرن وثلث القرن، نجد أنها اتسمت بتتابع الثوراث والاضطرابات، وعليه يتضح أن فلسطين، كأحد أجناد الشام، لم تكن متصالحة مع الحكم العباسي كما كانت أيام الحكم الأموي، وقد ظلوا متشوقين له، وعبروا عن ذلك بتعلقهم بدعاة السفيانية كلما ظهروا.

وتكشف هذه الأحداث من جهة ثانية عن عجزٍ لدى الخلفاء العباسيين، تمثل في عدم قدرتهم على تعويض أهل فلسطين والشام عن مكانتهم التي فقدوها بزوال الحكم الأموي، سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي.



تاريخ فلسطين في العصر العباسي

## الفصل الثاني

# التنظيمات الإدارية والمالية في فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر

# المبحث الأول
# التقسيمات الإدارية

حضر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الجابية[272]، بعد أن فتح المسلمون بلاد الشام، «فاجتمع إليه المسلمون، ... فجنَّد الأجناد[273]، ومصَّر الأمصار»[274] وجعل أجناد الشام أربعة، هي: جند دمشق، وجند حمص، وجند الأردن، وجند فلسطين[275]، وحسب هذه التقسيمات، فقد توزعت أراضي فلسطين الأولى والثانية والثالثة– حسب تقسيمات العهد البيزنطي[276]– على جندي فلسطين والأردن.[277]

(272) **الجابية:** قرية من أعمال دمشق، ناحية الجولان، وتعد بوابة من بوابات دمشق. ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص91.

(273) **الأجناد:** جمع جند، وهو مقاربة ومطابقة لغوية وتاريخية وجغرافية للمصر أو القُطر، وقد أطلق عليها ذلك لأسباب إدارية وعسكرية، يقول البلاذري: «سميت كل ناحية لها جند يقبضون أطماعهم [رواتبهم] بها جنداً»، وقد اقتصر استخدام هذا المصطلح على بلاد الشام، يقول ياقوت الحموي: ولم يبلغني أنهم استعملوا ذلك في غير أرض الشام«. البلاذري: فتوح البلدان، ص138؛ ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص38؛ حسين عطوان: الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ص22.

(274) أبو زرعة: تاريخ أبي زرعة، ص36.

(275) البلاذري: فتوح البلدان، ص 145.

(276) خضعت فلسطين للحكم البيزنطي منذ القرن الرابع الميلادي حتى الفتح الإسلامي، وجرى تقسيمها في هذا الحكم إلى ثلاثة أقسام؛ فلسطين الأولى: وشملت قيسارية وإيلياء وغزة، وفلسطين الثانية: وشملت بيسان وجدرة وطبرية، وفلسطين الثالثة وضمت بلاد الجنوب وعاصمتها سلع. هنري س. عبودي، معجم الحضارات السامية، ص60–651.

(277) هاني أبو الرب: تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، ص248.

وخلال العهد الأموي، شهدت الحدود بين أجناد بلاد الشام عدة تغييرات، اقتضتها ضرورات السياسة والإدارة، حتى استقر أمر بلاد الشام موزعاً على خمسة أجناد هي: جند فلسطين، وجند الأردن، وجند دمشق، وجند حمص، وجند قِنَّسرين[278]. ولا تشير المصادر الجغرافية والتاريخية إلى تغييرات طرأت على حدود جند فلسطين -على الأقل- حتى منتصف القرن الثالث الهجري، العاشر الميلادي.

## حدود جند فلسطين:

تفيد المصادر الجغرافية أن جند فلسطين، هو أول أجناد الشام من جهة الغرب، ويمتد حده الغربي على ساحل بحر الروم (المتوسط)، بدءاً من الجنوب عند موضع يقال له الشجرتين[279]، التي تبعد اثنا عشر ميلاً[280] جنوبي رفح، حتى اللجون، من أعمال الأردن، شمالاً[281].

(278) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص103؛ حسين عطوان: الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ص22-25.

(279) اليعقوبي: البلدان، ص118.

(280) **الميل:** وحدة قياس للمسافة، وتساوي أربعة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون أصبعاً، ويعادل الأصبع عرض ست حبات شعير، والشعيرة تساوي 6 شعرات من شعر البغل، وعليه، يعادل الميل في النظام المتري الحديث: (4000*24*1.925*6* 0.032 سم) = 1848متراً. ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص36؛ محمد صبحي بن حسن حلاق: الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، ص56، 71.

(281) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص114.

وتبدأ الحدود الشمالية من اللجون في الشمال الغربي حتى بيسان في الشمال الشرقي[282]، وهما بلدتان من أعمال جند الأردن[283].

أما الحدود الجنوبية لجند فلسطين، فتمتد من منطقة الشجرتين الواقعة بين رفح والعريش، حتى أيلة[284]، وهي آخر الحجاز وأول الشام، والواقعة على شعبة بحر الصين[285] أو القلزم[286] أو المالح[287] أو الملح[288] (الأحمر)، وبذلك يكون الحد الجنوبي لجند فلسطين محاذيا لتيه بني إسرائيل (سيناء)[289].

وتنحصر الحدود الشرقية لجند فلسطين بين أيلة في الجنوب، وبيسان في الشمال، لكن المناطق التي تقع شرق الخط الواصل بين هاتين المدينتين محل اختلاف بين المصادر الجغرافية، فالبعض يضيفها إلى جند دمشق وآخرون يضيفونها إلى جند فلسطين.

(282) ابن حوقل: صورة الأرض، ص157؛ البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص162؛ الاصطخري: مسالك الممالك، ص56؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص247؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص225- 226؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص354.

(283) اليعقوبي: البلدان، ص115؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص247.

(284) ابن حوقل: صورة الأرض، ص157؛ الاصطخري: مسالك الممالك، ص56؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص114؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 225-226؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص354.

(285) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص178.

(286) صفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع، ج1، ص138.

(287) ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص27.

(288) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص70.

(289) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 225.

فالبلاذري (ت: 279هـ/ 892م) يذكر في مواضع عدة أن الشراة والبلقاء من أعمال دمشق(290)، وتابعه من جغرافيي القرن الثالث الهجري الموافق التاسع الميلادي: اليعقوبي (ت: 284هـ/ 897م) الذي ذكر أن البلقاء وأريحا والشراة ومآب(291) من جند دمشق(292)، وابن خرداذبة (ت:300هـ/ 912م) الذي عد الشراة وظاهر البلقاء من كور دمشق(293).

بينما تذكر عدد من المصادر اللاحقة لجغرافيين من القرون التالية، كابن حوقل (ت:331هـ/ 942م)، والاصطخري (ت: 346هـ/ 957م)، والبشاري المقدسي ( ت: نحو 380هـ/ 990م)، والإدريسي (ت: ق6هـ/ 12م)، وياقوت الحموي ( ت: 626هـ/ 1229م)، وأبو الفداء (ت: 732هـ/ 1331م)، أن الحدود الشرقية لفلسطين تضم مجموعة من المدن والمناطق والمعالم الطبيعية، أبرزها البحيرة المنتنة (البحر الميت)، وديار قوم لوط، والجبال، ومنطقة الشراة بمدنها وقراها مثل زُغَر (صُغَر)(294) ومآب ومعان وأذرح وتبوك ومدين والحميمة(295).

(290) انظر مثلاً: أنساب الأشراف، ج4، ص100؛ ج8، ص220، ص243.

(291) **مآب:** مدينة في طرف الشام، وتعد من نواحي البلقاء، وهي الآن ضمن المملكة الأردنية. ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص31.

(292) البلدان، ص113-114.

(293) المسالك والممالك، ص77.

(294) **زُغَر:** وترد في بعض المصادر بالصاد (صُغر)، قرية زراعية على طرف البحر الميت، تبعد عن بيت المقدس ثلاثة أيام، وتعرف اليوم بغور الصافي هي على الجانب الجنوبي الشرقي من البحر الميت. ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص143؛ مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ق2، ج8، ص8.

(295) ابن حوقل: صورة الأرض، ص157؛ الاصطخري: مسالك الممالك، ص56؛ البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص142؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص354؛ ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص129؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص226.

وانعكست آثار هذا الاختلاف، على عدد من كتب البلدان، التي اضطربت في تحديد تبعية بعض المناطق، فيذكر الحُميري، عند التعريف بمدينة أذرح، أنها «مدينة في أداني الشام، وقيل بفلسطين»[296]، وامتد أثر هذا الاختلاف إلى تناقض ظاهر عند ياقوت الحموي في معجم البلدان، فهو يذكر في أحد المواضع أن الشراة من أرض البلقاء، وأن البلقاء من كور دمشق[297]، وفي موضع ثان يذكر أن الشراة «كله مضموم إلى جند فلسطين»[298]، وفي موضع آخر يجعله إقليماً منفرداً، فعند تعريفه بمدينة أذرح ينتقد من يقول بتبعيتها لجند فلسطين، ثم يعقب على ذلك بقوله: «وهو غلط منه، وإنما هي في قبلي فلسطين من ناحية الشراة»[299].

ويبدو أن هذا التباين في تعيين الحد الشرقي، ناتج عن التقلبات السياسية وخصوصاً في الحقب اللاحقة لفترة الدراسة، كالفترة الطولونية والإخشيدية ومن ثم الفاطمية[300]، مما جعل الدولة الحاكمة تضم إقليم البلقاء والشراة مرة لجند فلسطين، وحيناً آخر لجند دمشق، أو اعتباره أحياناً أخرى إقليماً مستقلاً حسب ما تقتضيه الحاجة الأمنية لاستقرار المنطقة، حيث امتاز إقليم البلقاء والشراة بموقع يمتد من تخوم الحجاز حتى دمشق شمالاً، مما جعله يحد ثلاثة أجناد هي فلسطين والأردن ودمشق[301].

ولما كان من الصعب على الباحث أن يحدد تبعية البلقاء أثناء فترة الدراسة (132-264هـ/ 750-878م) من خلال المصادر الجغرافية، فإن عدداً من الإشارات والشواهد الواردة في مصادر التاريخ العام، ما تشير إلى استقلال البلقاء كوحدة إدارية يُعيَّن عليها والٍ يتبع الخلافة، وذلك استمراراً لما كان معمولاً به في العهد الأموي، وهو ما يميل إليه الباحث.

(296) الروض المعطار في خبر الأقطار، ص21.

(297) ج1، ص489.

(298) ج4، ص274.

(299) ج1، ص129.

(300) عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص181.

(301) المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص172.

ومن هذه الشواهد التاريخية، ما حدث في نهاية العهد الأموي، عندما اكتشف الخليفة مروان بن محمد أمر الدعوة العباسية أرسل إلى سفيان بن يزيد بن محمد بن عطية السعدي، عامله على البلقاء، يأمره بالقبض على قائد الدعوة إبراهيم الإمام المقيم في الحميمة آنذاك[302].

وبعد أن نجحت الثورة العباسية، وآلت الخلافة لبني العباس، عَيَّن أبو العباس السفاح، عمه صالح بن علي والياً على فلسطين والبلقاء[303]، وفي عهد المنصور (136-158هـ/ 154-775م)، كان للبلقاء أمير يتبع الخليفة مباشرة، وهو محمد بن سليمان بن محمد بن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي[304]، وفي خلافة هارون الرشيد (170-193هـ/ 786-808م)، بعد أن قضى جعفر بن يحيى البرمكي[305] على فتنة العصبية في الشام، فإنه ولى صالح بن سليمان البلقاء وما يليها، وولى عيسى بن العكي باقي الشام[306].

وهذه كلها إشارات تؤيد ما ذهبنا إليه من استقلال منطقة البلقاء، ومعاملتها كوحدة إدارية تتبع مؤسسة الخلافة خلال فترة الدراسة.

وبذلك يتضح أن الحد الشرقي لجند فلسطين يضم تلك القرى والمدن الواقعة على الخط الواصل بين بيسان شمالاً وأيلة جنوباً، مع استقلالية إقليم البلقاء والشراة طيلة فترة الدراسة.

(302) مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية، ص399.

(303) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص372.

(304) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص528؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج29، ص92.

(305) **جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي** (ت:187هـ/ 802م): أصله فارسياً، كان وزير الخليفة هارون الرشيد، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم، ولد ونشأ في بغداد، واستوزره هارون الرشيد، وبلغ عنده مرتبة عالية حتى ألقى إليه أمور الخلافة، فانقادت له الدولة، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة، فيما عرف بنكبة البرامكة، فقتله في مقدمتهم. الإتليدي: إعلام الناس بما وقع للبرامكة من بني العباس، ص72؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج7، ص153؛ الزركلي: الأعلام، ج2، ص130.

(306) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص643؛ ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص37.

### الوحدات الإدارية في جند فلسطين:

قُسِّم جند فلسطين، مثل باقي الأجناد، إلى وحدات إدارية، أطلق على كل وحدة منها اسم «الكورة»، وقد استحدثت هذه التقسيمات في صدر الإسلام بعد الفتح، وفي ذلك يقول البلاذري (ت: 279هـ/ 892م): «وقد اختلفوا في تسمية الأجناد، فقال بعضهم: سمى المسلمون فلسطين جنداً لأنه جمع كُوَراً، وكذلك دمشق، وكذلك الأردن، وكذلك حمص مع قنسرين»(307).

ويتفق عدد من معاجم اللغة العربية على أن الكُورَة (بضم الكاف): الصقع، ويطلق على المدينة، وجمعها (كُوَرٌ)(308)، وعن سبب تسميتها بذلك يذكر ابن فارس «الكُورَةُ: الصُّقْع، لأنَّه يدُور على ما فيه من قُرىً»(309). ويميزها الزبيدي عن غيرها من وحدات إدارية ومدنية بأنها «تقام فيها الحدود ويُقسم فيها الفيءُ والصَّدقاتُ من غير مؤامرة الخليفة»(310) والمقصود في هذا التعريف الولاية أو الجند أو المصر، لأن بعض المصادر تسميه باسم كورة(311)، وفي المعاجم الحديثة، تعرف الكورة بأنها «كالمديرية أو المحافظة في الاصطلاح الحديث»(312).

(307) فتوح البلدان، ص180.

(308) ابن منظور: لسان العرب، مادة (كور)؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص607؛ المقري: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،ج2، ص543.

(309) معجم مقاييس اللغة، ج5 ، ص146.

(310) الزبيدي: تاج العروس، ج14، ص125.

(311) انظر مثلاً «كورة فلسطين»: ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص78؛

(312) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ج1، ص 252.

ويذكر بعض الباحثين أن مصطلح الكورة دخل العربية كتحريف لكلمة (Chora) اليونانية، وهي بمعنى المقاطعة أو الناحية[313]، لكن ما سبق ذكره من بيان أصلها اللغوي يضعف هذا الرأي.

ويعرف ياقوت الحموي الكورة بأنها: «كل صُقْع يشتمل على عدة قرى، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة»[314]، والقصبة هي: «اسم لمدينة الكورة، ويقال كورة كذا قصبتها فلانة، يعني أنها أشهر مدينة بها»[315].

وبناءً على ما سبق يمكن استنتاج تعريف للكورة بأنها قطاع من الولاية أو الجند، لها استقلاليتها الإدارية والتنظيمية، وعلى رأسها مدينة تعرف الكورة باسمها، كما يتبعها القرى المحيطة، وهو ما يمكن تعريفه اليوم بالمحافظة.

وقد استفادت الدولة الإسلامية من نظام الكور، في ضبط عمليات الجباية، وحصرها، فكان نظام الجباية ينطلق من وحدات القرى وعن طريق مجالس القرى أول لجان فيها، كما يفهم من برديات نصتان التي تم اكتشافها في جنوب فلسطين[316].

(313) مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ق2، ج4، ص10.

(314) معجم البلدان، ج1، ص38-39.

(315) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص366.

(316) عبد العزيز الدوري: تنظيمات عمر بن الخطاب (الضرائب في بلاد الشام)، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، ج2، ص459.

ومن خلال بعض النصوص المتفرقة، يمكن القول أنه كان على كل كورة «أمير»، يقوم مقام المحافظ اليوم، ويرتبط بأمير الولاية مباشرة، فقد جاء في ترجمة أبي عمر الصنعاني[317] (ت:181هـ/ 797م) أنه دخل على «أمير عسقلان» بشر بن روح المهلبي[318]، فوعظه[319]، وفي تاريخ أبي الفتح السامري، أن أمير فلسطين وواليها زمن أبو جعفر المنصور (136-158هـ/ 754-775م)، عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام، قد أمر «متولي نابلس» بمضايقة السامرة[320].

***

(317) انظر: المبحث الثاني من الفصل الرابع.

(318) **بشر بن روح المهلبي:** من أهل القرن (2هـ/ 8م)، ليس له ترجمة في المصادر المتاحة، وهو ابن روح بن حاتم الذي ولي فلسطين للرشيد ثم انتقل منها إلى المغرب عام (171هـ/ 787م). ابن الأثير: الكامل، ج5، ص282، 297؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص358؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص84؛ المزي: تهذيب الكمال، ج7، ص76.

(319) المزي: تهذيب الكمال، ج7، ص76.

(320) كتاب التاريخ عن الآباء، ص182.

وعددت المصادر الجغرافية إحدى عشرة كورة في جند فلسطين، هي الرملة وبيت المقدس ولُد وبيت جبرين ويافا وقيسارية ويبنا ونابلس وسبسطية وعسقلان وغزة[321]، بالإضافة لمدينة أيلة على حد الحجاز، وتفصيل ذلك كالتالي:

**كورة الرملة:**

قصبة فلسطين ومدينتها العظمى[322]، قائمة على منطقة سهلية[323]، كان موقعها متميزاً بحيث «خطت في السهل، وقربت من الجبل والبحر»[324]، وبذلك تكون واسطة الجند[325]، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً[326]، ويقع نهر أبي فطرس على بعد اثني عشر ميلاً منها[327]، وقد عدها المسعودي ضمن أعظم سبع مدن أُحدثت في الإسلام[328].

أُنشئت في العهد الأموي على يد سليمان بن عبد الملك حين كان والياً على جند فلسطين، لتصبح فيما بعد عاصمة للجند بدلاً من لُد[329]، وكان أول ما بنى فيها، قصره، ودار الصباغين، ثم شرع في بناء مسجدها الجامع الذي أتمه عمر بن عبد العزيز، وسمح سليمان للناس بأن ينشئوا بيوتهم، وشق لهم قناة مياه تدعى بردة، كما حفر آبار مياه[330]، لطبيعة المنطقة الجافة ولتكون عامل جذب للسكن والاستقرار بها.

(321) عن كور فلسطين وتعدادها، ينظر: اليعقوبي: البلدان، ص 116-117؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص78-79؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص157-159؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص103.

(322) اليعقوبي: البلدان، ص 116.

(323) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص103.

(324) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص164.

(325) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص67.

(326) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص78.

(327) اليعقوبي: البلدان، ص 116.

(328) التنبيه والإشراف، ص311.

(329) اليعقوبي: البلدان، ص116.

(330) اليعقوبي: البلدان، ص 116؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص149؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص102.

ولما سيطر العباسيون على فلسطين، أبقوا الرملة عاصمةً للجند، أما دار الصباغين فآلت لورثة والي فلسطين في عهدي أبي العباس السفاح والمنصور، صالح بن علي بن عبد الله العباسي، ضمن ما تم مصادرته من أموال وأملاك الأمويين، وتابع الخلفاء العباسيون سيرة من سبقهم من بني أمية في الإنفاق على صيانة وتشغيل آبار الرملة وقناتها، فلما تولى المعتصم (218-227هـ/ 832-842م)، دخلت ضمن الثابتة في ديوان بيت المال المركزي، وبذلك صار أمراء فلسطين يديرونها وينفقون عليها دون الحاجة للرجوع إلى الخليفة، بحيث يخصمون نفقاتها من ديوان الجند مباشرة[331].

(331) البلاذري: فتوح البلدان، ص149؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص102.

وكان يتبع كورة الرملة عـدد مـن القـرى والنـواحي والمواضـع، وهـي حسـب مـا تـوفر في المصادر:

أطــرون[332]، ازدود[333][334]، بــــاروذ[335]،

(332) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص218.

(333) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص79. ووردت عند ياقوت باسم يزدود. معجم البلدان، ج5، ص436.

(334) **ازدود أو يزدود:** تبعد عن الرملة (12ميلاً)، تعـرف اليـوم باسـم اسـدود، وهـي مـن قـرى قضـاء غـزة حسـب التقسيمات الإدارية قبل النكبة. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص79؛ مصطفى مراد الدباغ: بلادنـا فلسـطين، ق2، ج4، ص10.

(335) السمعاني: الأنساب، ج1، ص255؛ ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص320.

بركة الخيزران[336]، بشيت[337]، بيت مامين[338]، تل الصافية[339]، مدينة داجون[340]، دبيل[341]، دير البلوط[342]، رمادة[343]،زيلوش[344]، السافرية[345]، سبية[346]، الطواحين[347]، عسكر الرملة[348]، العقر[349]، قلنسوة[350]، قيمون[351]، كفر زنس[352]، مجدليابة[353]، يازور[354].

---

(336) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص402.

(337) السمعاني: الأنساب، ج1، ص362؛ ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص429.

(338) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص522.

(339) المصدر نفسه، ج2، ص42.

(340) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص165؛ السمعاني: الأنساب، ج2، ص435؛ ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص417.

(341) السمعاني: الأنساب، ج2، ص457؛ ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص439.

(342) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج32، ص362؛ ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص502.

(343) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج3، ص105؛ السمعاني: الأنساب، ج3، ص88؛ ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص66.

(344) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص165.

(345) ابن حبان: الثقات، ج5، ص509؛ ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص171.

(346) السمعاني: الأنساب، ج3، ص220؛ ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص187.

(347) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص45.

(348) ابن حبان: الثقات، ج5، ص509؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص128.

(349) السمعاني: الأنساب، ج4، ص216؛ المصدر نفسه، ج4، ص137.

(350) الكندي: الولاة والقضاة، ص98-100؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص392.

(351) ياقوت: معجم البلدان ، ج4، ص424.

(352) المصدر نفسه، ج4، ص469.

(353) المصدر نفسه، ج5، ص57.

(354) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص615.

**كورة إيلياء (بيت المقدس):**

ثاني أكبر كور فلسطين بعد الرملة[355]، وتبعد عنهـا ثمانيـة عشـر مـيلاً شـرقاً[356]، وهـي مدينـة مرتفعة على جبال يُصْعد إليها من كل مكان يقصدها القاصد من فلسطين[357]، وتمتد حـدودها إلى «ما حول إيلياء إلى أربعين ميلاً، ... يدخل في ذلك القصبة ومدنها واثنا عشر ميلاً في البحر وصغر ومآب، وخمسة أميال من البادية، ومن قبل القبلة [الجنوب] إلى ما وراء الكُسيْفة[358] وما يحاذيهـا، ومن قبل الشمال تخوم نابلس»[359].

(355) ابن حوقل: صورة الأرض، ص158.

(356) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص102.

(357) ابن حوقل: صورة الأرض، ص158.

(358) لم أجدها في المصادر الجغرافية المتاحة، وذكر مصطفى مراد الدباغ أنها تبعد 30 كيلومترا للشرق من بئر السبع. بلادنا فلسطين، ق2، ج8، ص8.

(359) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص173.

وقد وصفها المقدسي في القرن (4هـ/ 10م) بأن لها ثمانية أبواب من الحديد، هي باب صِهيون، وباب التيه، وباب البلاط، وباب جب أرميا، وباب سلوان، وباب أريحا، وباب العمود، وباب محراب داوود(360).

(360)البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص167.

ويتبع بيت المقدس عدد كبير من المدن والقرى والمعالم، وهي: أريحا[361]، بركة بني إسرائيل وبركة سليمان وبركة عياض[362]، بيت عنيا[363]، بيت لحم[364]، تقوع[365]،

جبل الخمر[366]، وادي جهنم[367]، حبرون (حَبْرى)[368]، جبل نصرة[369]، حصن العنب[370]، حلحول[371]، حصن الحمراء[372]، بيت خيران[373]،

(361) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص25. ووردت عند ياقوت باسم (ريحاء). معجم البلدان، ج3، ص111.

(362) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص168.

(363) تقع إلى الجنوب من بيت المقدس. انظر:

Bernard The Wise: The Voyage of Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.28.

(364) على بعد ستة أميال جنوب بيت المقدس. ابن حوقل: صورة الأرض، ص158؛ البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص172؛ الاصطخري: مسالك الممالك، ص67؛ البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص289؛ الحميري: الروض المعطار في أخبار الأقطار، ص123.

(365) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص37.

(366) المصدر نفسه، ج2، ص102.

(367) وفيه بساتين وكروم وكنائس ومغارات وصوامع. البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص171.

(368) وقد غلب على اسمها فيما بعد الخليل، وهي إلى الجنوب من بيت المقدس. البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص172؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص159؛ ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص212، 387؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص76.

(369) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص172.

(370) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص265.

(371) المصدر نفسه، ج2، ص290؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص158.

(372) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص301.

(373) السمعاني: الأنساب، ج2، ص429؛ ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص411.

دير شمويل (مار صمويل أو سمويل)[374]، دُورة[375]، رامة[376]، الرميلة[377]، جبل زيتا[378] ويسمى في بعض المصادر (طور زيتا)[379]، جبل الجلجلة[380]، الساهرة[381]، السحيلة[382]،

(374) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص188؛ ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص39.

(375) السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب، ج1، ص95.

(376) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص18.

(377) المصدر نفسه، ج3، ص73.

(378) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص173.

(379) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص48؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص255.

(380) Willibald, The Travels of Willibald, A.D 721-7227, Early Travels in Palestine, p.17-18.

(381) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص172؛ ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص180.

(382) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص195.

سلع[383]، سلوان (عين سلوان)[384]، صدر[385]، صوبا[386]، عابود[387]، العازرية[388]، عاموراء، عاموص[389]، العروب[390]، حصن عفراء[391]، عينون (بيت عينون)[392]، عين يبرود[393]، قريات لوط[394]، الكسيفة[395]، الناصرة[396]، ياقين[397]، مطلون[398].

(383) المصدر نفسه، ج3، ص236.

(384) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص171؛ ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص241.

(385) السمعاني: الأنساب، ج3، ص 527؛ ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص397.

(386) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص432.

(387) المصدر نفسه، ج4، ص64.

(388) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج2، ص75.

(389) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص71.

(390) المصدر نفسه، ج4، ص112.

(391) المصدر نفسه، ج4، ص131.

(392) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص408؛ السمعاني: الأنساب، ج4، ص271؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص180.

(393) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص427.

(394) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص173.

(395) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص173.

(396) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص251؛ ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص111؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص571؛

(397) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص426.

(398) ناصر خسرو: سفر نامة، ص71.

**كورة لُد:**

تقع على بعد ميل شمال الرملة[399]، وهي من المدن القديمة، فأول ذكر لها يعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، في قائمة المدن التي احتلها الفراعنة على يد تحتمس الثالث[400]، وقد كانت مقراً لسليمان بن عبد الملك حين كان والياً على فلسطين[401].

وتشير جملة النصوص التي تحدثت عن «خراب لُد» إلى تراجع دورها الإداري وقلة أعداد سكانها بعد تمصير الرملة، وهذا ظاهر من كتابات البلدانيين والمؤرخين المتعاقبين، يقول اليعقوبي (ت: 284هـ/ 897م): «مدينتها قائمة بحالها إلا أنها خراب»[402] وصنفها البشاري المقدسي ( ت: نحو 380هـ/ 990م) في مرتبة بين المدينة والقرية[403]، واكتفى السمعاني ( ت: 562هـ/ 1167م): بوصفها «موضع بالشام»، ولم يذكر من المنتسبين لها سوى ترجمة واحدة[404]، وقد ترجم لها ياقوت الحموي (ت:626هـ/ 1229م) بأنها: «قرية قرب بيت المقدس»[405].

أما ما ذكره كاتب مادة لُد (Ludd) في موسوعة الإسلام الإنجليزية، بأن بناء الرملة كان سبباً في تدمير (destruction) لُد[406]، فخطأه ظاهر، وهو ترجمة محرفة لما ذكره ياقوت الحموي «وكان ذلك سبب خراب لُد»[407] والخراب هنا بمعنى الخلو من السكان، الذي حدث نتيجة موجة الهجرة إلى الرملة حين سمح لأهلها بالسكن فيها بعد إنشاء مرافقها العامة.

(399) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص176.

(400) M. Sharon: »Ludd«, The Encyclopaedia of Islam, Vo.5, p.798.

(401) يرى الباحث خليل عثامنة أن بيت المقدس كانت على الأقل قبل عام (100هـ/ 718م) العاصمة السياسية والإدارية، مستنداً على كشوف آثارية ونصوص تاريخية. ينظر: فلسطين في خمسة قرون، ص217-219.

(402) اليعقوبي: البلدان، ص116.

(403) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص176.

(404) السمعاني: الأنساب، ج5، ص135.

(405) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص15.

(406) M. Sharon: »Ludd«, The Encyclopedia of Islam, V.5, p.800.

(407) معجم البلدان، ج3، ص69.

ومع أن المصادر المتوفرة لا تذكر قرىً تابعة لها أو من أعمالها، فإنه من المؤكد أنها قد حافظت على مركزها كإحدى الوحدات الإدارية (الكُور) خلال فترة الدراسة، ليس أدل على ذلك من الفلوس التي ضربت بها[408].

## كورة بيت جبرين (جبريل):

تقع بين بيت المقدس وغزة[409]، وهي مدينة سهلية جبلية[410]، يفصل بينها وبين عسقلان وادي النمل[411]، ومن توابعها: أجنادين[412]، البحيرة المنتنة (البحر الميت)[413]، تل الصافية[414]، الداروم[415]، عجلان[416]، عميق[417]، قرتيا[418].

(408) انظر: فلس ضرب عام (146هـ/ 763م) بلُد، وآخر عام (185هـ/ 800م). ناهض عبد الرزاق قيسي: الفلس العربي الإسلامي، ص118.

(409) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص519.

(410) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص174.

(411) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص 346.

(412) ابن حبان: كتاب الثقات، ج2، ص188؛ ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص103.

(413) اليعقوبي: البلدان، ص117.

(414) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص42.

(415) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص174.

(416) البلاذري: فتوح البلدان، ص144؛ ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص101.

(417) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، ص571.

(418) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص320.

### كورة يافا:

مدينة صغيرة تقع على ساحل بحر الروم (المتوسط)، تبعد عن الرملة ثمانية أميال، وكان أهل الرملة يستخدمون ميناءها لسفرهم وترحالهم وتجارتهم الخارجية[419].

ومن توابعها المذكورة في المصادر: حيفا[420]، القصر[421].

### كورة قيسارية:

تقع على البحر (المتوسط)، وهي من أمنع الثغور البحرية على الساحل[422]، كما امتازت بأن «لها رُبَضٌ[423] كبير»[424].

ومن توابعها: أرسوف[425]، قاقون[426]، القصر[427]، كفر سابا[428]، وكفر سلام[429].

(419) اليعقوبي: البلدان، ص117؛ البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص174؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص79.

(420) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص332.

(421) السمعاني: الأنساب، ج4، ص513.

(422) اليعقوبي: البلدان، ص116؛ البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص174.

(423) الرَّبَض: ما حول المدينة، وقيل هو الفَضاءُ حَوْلَ المدينة. ابن منظور: لسان العرب، (مادة ربض).

(424) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص106.

(425) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص151.

(426) بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين التطيلي، ص242.

(427) السمعاني: الأنساب، ج4، ص513.

(428) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص469.

(429) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص177؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص469.

## كورة يُبْنى (يبنا):

المعلومات عنها قليلة، وقد كانت مدينة قديمة على قلعة[430]، فتحت على يد عمرو بن العاص أثناء خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[431]، وصفها ياقوت الحموي بأنها «بليد قرب الرملة»[432]، إذ تبعد عنها نصف مرحلة[433]، ومن معالمها: «قبر يُقال أنه قبر أبي هريرة رضي الله عنه، وقيل: قبر عبد الله بن أبي سرح رضي الله عنه»[434].

ولا تذكر المصادر المتاحة القرى التي كانت تابعة لها، ويبدو أن دورها أخذ في التراجع، حتى وصفها مجير الدين الحنبلي (ت:927هـ/ 1521م) بأنها من أعمال غزة[435].

***

(430) اليعقوبي: البلدان، ص116.

(431) البلاذري: فتوح البلدان، ص144.

(432) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص428.

(433) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص114.

(434) صفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع، ج3، ص1473.

(435) الأنس الجليل، ج1، ص263.

## كورة نابلُس:

كورة واسعة كبيرة، تقع بين جبلين، وهي مستطيلة الشكل، ضيقة العرض، شمال بيت المقدس وتبعد عنها عشرة فراسخ[436][437].

ومن أعمالها: بُلاطة[438] بيت ماما[439]، جمَّاعيل[440]، جينين[441]، سَيْلون[442]، عسكر الزيتون[443]، عورتا[444]، قراوى بني حسان[445]، قوفيل (تعرف بقرية القضاة)[446]، مردا[447]، ياسوف[448].

---

(436) **الفرسخ:** وحدة قياس للمسافات الطويلة، ويعادل ثلاثة أميال، وسبق بيان مقدار الميل (انظر: هامش الصفحة الثانية من هذا المبحث)، وبذلك يكون الفرسخ (3* 1848متر)= 5545متراً، أي 5.545 كيلومتر. ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص36؛ محمد صبحي حلاق: الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان، ص64.

(437) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص248.

(438) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص110؛ ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص478.

(439) البلاذري: فتوح البلدان، ص163.

(440) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص159؛ صفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع، ج1، ص345.

(441) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص202.

(442) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص110؛ ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص299.

(443) السمعاني: الأنساب، ج2، ص278؛ صفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع، ج2، ص940.

(444) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص110 ؛ ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص167.

(445) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص319.

(446) المصدر نفسه، ج4، ص414.

(447) المصدر نفسه، ج5، ص104.

(448) المصدر نفسه، ج5، ص425.

**كورة سبسطية:**

آخر كورة في شمال فلسطين، تمتد حدودها من كورة نابلس في الجنوب إلى الخط الفاصل بين جندي الأردن وفلسطين في الشمال[449]، بينها وبين بيت المقدس يومان[450].

ورغم أن اليعقوبي وغيره من الجغرافيين يعدونها كورة قائمة بذاتها[451]، إلا أنه –وفي المصدر نفسه– يضيفها إلى كورة نابلس[452]، وتابعه في ذلك ياقوت الحموي[453]، ومجير الدين الحنبلي[454].

ولا تذكر المصادر المتاحة أي من القرى التابعة لها.

(449) هاني أبو الرب: تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، ص255.

(450) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص184.

(451) ينظر: اليعقوبي: البلدان، ص 116–117؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص78–79؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص157–159؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص103.

(452) ينظر: اليعقوبي: البلدان، ص 117.

(453) معجم البلدان، ج3، ص184.

(454) الأنس الجليل، ج2، ص62.

## كورة عسقلان

تقع على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين[455]، وتبعد عن الرملة ستة فراسخ[456]، كان بها ميناء وصف بالرديء[457]، وتعد من الثغور المهمة إذ كان يرابط بها العلماء والمجاهدون[458].

من توابعها: سناجية[459]، بيت جَرْحة[460]، حبلة[461]، حتاوة[462]، حندر (حُنْدُرة)[463]، سجلين[464]، ديماس[465]، عجس[466]، فربيا[467]، المأزمين[468]، مسكة[469].

***

(455) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص122.

(456) الحميري: الروض المعطار، ص420.

(457) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص174.

(458) البغدادي: مراصد الاطلاع، ج2، ص940.

(459) ابن حبان: الثقات، ج4، ص255؛ السمعاني: الأنساب، ج3، ص312؛ ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص259.

(460) السمعاني: الأنساب، ج2، 43؛ ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص124.

(461) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص214.

(462) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص217.

(463) السمعاني: الأنساب، ج2، 278؛ ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص310.

(464) السمعاني: الأنساب، ج3، 227.

(465) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص544.

(466) السمعاني: الأنساب، ج4، 159.

(467) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص246.

(468) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص40.

(469) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص128.

## كورة غزة:

وكانت كورة كبيرة على جادة مصر، وطرف البادية، وقرب البحر(المتوسط)[470]. وتبعد عن عسقلان أربعة فراسخ[471]، وصفها برنارد الحكيم (Bernard The Wise) حين مر بها عام (253هـ/ 867م)، بأنها «غنية جداً بكل شيء»[472].

(470) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص174.

(471) الحميري: الروض المعطار، ص420.

(472) The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.26.

ومن توابعها: رفح وتبعد عنها ستة عشر ميلاً، تخا[473]، سرية[474]، داثن[475]، الداروم، عبسان[476]، عجلان[477]، بيت طل[478]، ميماس[479]، مغار[480]، قرى النقب: الخلوص، سبيطة، عبدة، نصتان[481].

### مدينة أيلة:

وكانت فترة الدراسة مدينة جليلة عامرة[482]، على طرف شعبة القلزم[483] (الأحمر)، وهي أول حد الحجاز، وتبعد عن بيت المقدس ست مراحل[484]، وبها يجتمع حاج الشام، وحاج مصر والمغرب[485]، ويتبع المدينة عدد من القرى والضياع، مثل: حقل[486]، بدا وشغب[487].



(473) السمعاني: الأنساب، ج1، ص449.

(474) ابن حبان: الثقات، ج5، ص198.

(475) البلاذري: فتوح البلدان، ص117.

(476) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص130.

(477) ابن حبان: الثقات، ج3، ص211؛ السمعاني: الأنساب، ج3، 345.

(478) ابن حبان: الثقات، ج5، ص490؛ السمعاني: الأنساب، ج4، ص71.

(479) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص174.

(480) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص160.

(481) ورد ذكرها في البرديات المكتشفة في نصتان. هاني أبو الرب: تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، ص255، نقلاً عن: Kraemer, Excavations at Nessana, vol. 3, p 180, 189, 194.

(482) اليعقوبي: البلدان، ص129.

(483) صفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع، ج1، ص138.

(484) **المرحلة:** المسافة التي يقطعها السائر في نحو يوم، وتكون في العادة بين منزلتين. ابن منظور: لسان العرب، (مادة رحل)؛ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، ص335.

(485) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص70؛ صفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع، ج1، ص138.

(486) السمعاني: الأنساب، ج2، ص241؛ المزي: تهذيب الكمال، ج15، ص193.

(487) وهما واديان منها، وعليهما ضيعة. السمعاني: الأنساب، ج3، ص439.

# المبحث الثاني
# التنظيمات الإدارية

استطاع العباسيون أن يفرضوا سيطرتهم على بلاد الشام، بعد عدد من المذابح والتنكيل نال الأمويين وأنصارهم، وقد شهدت فلسطين واحدة منها اصطلح عليها مذبحة أبي فطرس[488]، ثم باشروا بعدها في تنظيم أحوال أجنادها، لإحكام السيطرة وضمان الاستقرار، مستفيدين من أنظمة إدارية مجربة ورثوها عن سلفهم من الأمويين، ومستعينين بأنصارهم المؤمنين بمبادىء دعوتهم، الذين تميزت أعداد منهم في مجالات الإدارة والقيادة.

ويرى بعض الباحثين أن النظام الإداري الذي جرى عليه العباسيون هو في جوهره نظام الأمويين، إذ استمرت النظم الأموية في الضرائب والإدارة المحلية والجيش والدواوين في العهد العباسي، إلا أن النظام الإداري الجديد لم يكن قائماً على أساس التفريق في الجنس، أو على أساس التنافر بين طبقات الأمة المختلفة[489].

ومما تميزت به الإدارة العباسية على صعيد الخلافة المركزية، الاستناد إلى الوزارة، وهي مؤسسة أدخلها العباسيون، باختيارهم أبا سلمة الخلال كأول وزير لهم[490]، وإن لم تتضح صورتها في عهد أبي سلمة، إلا أنها وصلت قمة التطور في أواخر العصر العباسي[491].

ولأن المصادر قدمت معلومات غير وافية عن طبيعة وآليات التنظيمات الإدارية المتبعة في جند فلسطين، كان على الباحث أن يجمع الإشارات المتناثرة في تلك المصادر، ويحاول من خلالها أن يرسم الخطوط العريضة لها.

(488) انظر: المبحث الثاني من الفصل الأول.

(489) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص179؛ عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص39؛ حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص146.

(490) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص293.

(491) حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص146.

وتعددت الوظائف الإدارية المحلية، وكان على رأسها إمارة الجند (الولاية)، والقضاء، والحسبة، والديوان، والشرطة، والبريد.

**أولاً: إمارة الجند (الولاية).**

أولى الخلفاء العباسيون اهتماماً كبيراً في اختيار الأمراء على الأقاليم، فاختاروهم ممن يثقون بهم، نظراً لعدم استقرار أوضاع بلاد الشام وتتالي الثورات والانتفاضات فيها، مما اضطرهم لتسخير قسم من طاقتهم للسيطرة على الأمن وتهدئة الأحوال.(492)

وكانت المهام الملقاة على الأمير عديدة، منها: العناية بالجيوش وأرزاقهم، والنظر في الأحكام وتعيين القضاة، وجباية الخراج وقبض الصدقات، وإقامة الحدود، والإمامة في الجماعات والجمع، وكذلك تسيير الحجيج من ولايته ومن مر بها من غير أهلها، ويعاونه في ذلك العمال على النواحي والمهمات.(493)

وقد حافظ الخلفاء العباسيون على كتابة العهود للأمراء، كما كانت العادة زمن الأمويين، وتضمنت تلك العهود الحقوق والواجبات المستحقة على الأمير والرعية كل تجاه الآخر، وهو ما يمكن أن يطلق عليه اليوم مصطلح «الوصف الوظيفي»، وربما كان كل أمير يقرأ عهده على أهل ولايته، دل على ذلك ما نقله الجهشياري من قول إبراهيم بن أبي عبلة(494)، للخليفة المنصور يصف ظلم والي فلسطين عبد الوهاب بن إبراهيم: «يا أمير المؤمنين، قد قرأت عهود الخلفاء الذين من ولد عبد الملك إليك، فما سمعت عهداً قط أجمع من عهد قرأه علينا عبد الوهاب منك؛ ثم عمد إلى جميع ما أمرته به فاجتنبه، وإلى جميع ما نهيته عنه فارتكبه»(495).

وفيما يلي، جدول ولاة جند فلسطين، الذي أحصى فيه الباحث ما توفر من بيانات ومعلومات، يمكن من خلالها تحديد ملامح الإدارة العباسية في جند فلسطين في الفترة الممتدة من بداية سيطرة العباسيين حتى انتقال السلطة إلى أحمد بن طولون (132-264هـ/ 750-878م).

(492) أمينة البيطار: النظم الإدارية في بلاد الشام(132 – 358هـ/ 750 – 969 م)، مجلة البحث التاريخي، ع2.

(493) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص40.

(494) ستأتي ترجمته وافية في المبحث الثاني من الفصل الرابع.

(495) الوزراء والكتاب، ص137.

## جدول (1.2)

## أمراء (ولاة) جند فلسطين (132-264هـ/ 750-878م).

| الخليفة | الأمير (الوالي) | نسبه | ملاحظات |
| --- | --- | --- | --- |
| أبو العباس السفاح | عبد الله بن علي | عباسي | عم أبي العباس، وقد عينه على جميع أجناد الشام عام (132هـ/ 750م)[496]. |
| | صالح بن علي بن عبد الله بن عباس (ت:152هـ/ 769م) | عباسي | عم أبي العباس، ولايته الأولى: بعد أن كان والياً على مصر، أتاه كتاب أبي العباس فانتقل إلى فلسطين في (شعبان 133هـ/ مارس 751م)، واستمر حتى (135هـ/ 752م).[497] |
| المنصور | العباس بن محمد بن علي | عباسي | أخو المنصور، وقد ولاه المنصور الشام كلها[498]، |
| | صالح بن علي بن عبد الله بن عباس (ت: 152هـ/ 769م) | عباسي | ولايته الثانية: قدم إلى فلسطين (137هـ/ 154م) والياً عليها وعلى الشام بعد القضاء على تمرد الحكم بن ضبعان[499]، واستمر كذلك حتى أمره المنصور بغزو الروم (138هـ/ 155م).[500] وقد «جمعت له مصر وفلسطين وإفريقية»[501] |

(496) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص365.

(497) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص367، 470، 472؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص100-101؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص304؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص324.

(498) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص205؛ الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ق1، ص211.

(499) انظر: المبحث الثالث من الفصل الأول من الرسالة.

(500) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص390؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص100-101؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص331.

(501) القضاعي: تاريخ القضاعي (كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف)، ص395.

| | | | |
|---|---|---|---|
| | محمد بن الأشعث | خزاعي | أحد قواد العباسيين، ولاه المنصور البلقاء وفلسطين.(502) |
| | عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام | عباسي | ابن أخي المنصور، وقد ولاه فلسطين، ولم يكن محمود الولاية.(503) |
| | العباس بن محمد | عباسي | أخو المنصور، ولاية ثانية، اختاره ممثلا أهل فلسطين(504). |
| | عبد الصمد بن علي | عباسي | عم المنصور(505). |
| المهدي | نصر بن محمد بن الأشعث (ت: 164 هـ/ 781م) | خزاعي | أثناء ولايته على فلسطين، قبض على عبد الله بن مروان بن محمد (ابن آخر خلفاء بني أمية) عام (161هـ/ 777م)، وقد تولى السند بعد فلسطين.(506) |
| | إبراهيم بن صالح بن علي | عباسي | من وجوه بني العباس، عزله المهدي ثم رده.(507) |

(502) الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ق1، ص215.

(503) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص384؛ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص99؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج11، ص17؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج37، ص303؛ الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ق1، ص216؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج19، ص193.

(504) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج37، ص302.

(505) ابن قتيبة: المعارف، ص210.

(506) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص165؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص76؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج33، ص37؛ نفسه: ج38، ص120.

(507) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص568؛ ابن الأثير: الكامل،ج5، ص245؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص83.

| | | | |
|---|---|---|---|
| الهادي | إبراهيم بن صالح بن علي | عباسي | ولاه الهادي إلى جانب فلسطين: دمشق والأردن وقبرص والجزيرة.(508) |
| الرشيد | روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب | أزدي | كان على فلسطين حتى انتقل منها إلى المغرب والياً (171هـ/ 787م)(509) |
| | موسى بن عيسى | عباسي | كان على الشام.(510) |
| | موسى بن يحيى البرمكي | فارسي | أرسله الرشيد أميراً على الشام بأسره للقضاء على فتنة أبي الهيذام (176هـ/ 792).(511) |
| | جعفر بن يحيى البرمكي | فارسي | ولاه الرشيد الشام عام (178هـ/ 794) ودخلها عام (180هـ/ 796م) «فأصلح الشام وتألف أهله»(512). |
| | صالح بن سليمان | عباسي | ولاه جعفر بن يحيى البلقاء وما يليها.(513) |
| | عيسى بن العكي | | استخلفه جعفر بن يحيى على الشام(514). |

(508) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج6، ص446؛ المقريزي: المقفى الكبير، ج1، ص179.

(509) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص282؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص358؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص84؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص227.

(510) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص633؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج61، ص233.

(511) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص633؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج61، ص233؛ ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص37؛ الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ق1، ص231.

(512) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص633؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص289؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج61، ص234؛ ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص37.

(513) الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ق1، ص216.

(514) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص643؛ ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص37.

| | | | |
|---|---|---|---|
| | هرثمة بن أعين | | أحد أمراء الرشيد وخواص قواده، أرسله الرشيد من فلسطين إلى مصر للقضاء على فتنة الحوفية (187هـ/ 802)، وولاه عليها.[515] |
| | يحيى بن معاذ | | ولاه الرشيد الشام حين خرج فيها أبو النداء (191هـ/ 806)[516]. |
| | عبد الملك بن صالح بن علي | عباسي | ولاه الرشيد الشام والجزيرة عام (194هـ/ 809).[517] |
| الأمين | عبد الملك بن صالح بن علي | عباسي | أخرجه الأمين من سجن والده الرشيد، وولاه الشام وغيرها.[518] |
| المأمون | طاهر بن الحسين | خزاعي | من قواد المأمون الكبار، ولاه الجزيرة والشام ومصر[519]. |
| | إسحاق بن الرشيد (المعتصم) | عباسي | أخو المأمون، ولاه الشام[520] |

(515) ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص35؛ ابن الأثير: الكامل، ج2، ص30؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص220؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص88.

(516) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص3؛ ابن الأثير: الكامل، ج2، ص30.

(517) الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ق1، ص236.

(518) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص434؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص61.

(519) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص455.

(520) الأزدي: تاريخ الموصل، ص412.

| | | | |
|---|---|---|---|
| | سعيد بن السرح | كناني | نقش اسمه على فلوس ضربت في الرملة (200هـ/ 815م)، و(205هـ/ 820م)[521]، ليس له ذكر في المصادر المتاحة سوى ما ذكره اليعقوبي، أنه كان من أهل فلسطين وأقام باليمن ثم عزله الأمين، فخرج منها بأموال عظام حتى صار إلى فلسطين[522]. |
| | عبد الله بن طاهر بن الحسين | خزاعي | جمع له الشام كله والجزيرة ومصر عام (206هـ/ 821م) خلفاً لأبيه[523]. |
| | صالح بن يحيى | من الموالي | مولى الخليفة المأمون، كان والياً في عامي (216-217هـ/ 830-831م) على الأقل[524]. |
| | منصور بن المهدي | عباسي | ابن المهدي الخليفة العباسي.[525] |
| المعتصم | أشناس | تركي | ولاه الشام والجزيرة ومصر[526]. |
| الواثق | أشناس | تركي | ولاه ما كان عليه في عهد المعتصم، وأضاف إليه المغرب[527]. |

(521) انظر: ناهض القيسي: الفلس العربي الإسلامي، ص113، 114.

(522) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص456؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص 163.

(523) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص456؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص 163.

(524) لم أجده في المصادر المدونة، وقد نقش اسمه على الصفائح النحاسية بقبة الصخرة عام (216هـ/ 830م) إثر ترميمات أجراها المأمون (انظر: المبحث الثالث من الفصل الرابع)، وعلى فلس ضرب في بيت المقدس عام (217هـ/ 831م). محمد أحمد عبد الله يوسف: بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، ص120. ناهض عبد الرزاق القيسي: الفلس العربي الإسلامي، ص117.

(525) ابن قتيبة: المعارف، ص214؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج4، ص373.

(526) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص633؛ الأزدي: تاريخ الموصل، ص289؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج61، ص234؛ ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص42.

(527) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج4، ص1919.

| | | | |
|---|---|---|---|
| المتوكل | إبراهيم بن المتوكل (المؤيد) | عباسي | أقطعه والده حمص ودمشق وفلسطين.[528] |
| المنتصر | -- | | |
| المستعين | بغا الصغير، المعروف بالشرابي | تركي | أحد قواد المتوكل. تولى فلسطين في (249هـ/ 863م)[529] |
| | عيسى بن الشيخ بن سليل | شيباني | في البداية، عام (251هـ/ 865م) أرسل خليفته أبو المغراء[530]. |
| المعتز | عيسى بن الشيخ بن سليل | شيباني | امتنع عن البيعة، عام (252هـ/ 866م)[531]. |
| | النوشري | تركي | أرسله الخليفة للقضاء على تمرد ابن شيخ، فأتم ذلك وتولى فلسطين عام (252هـ/ 866م)[532]. |
| | محمد بن المولد | عربي | استلمها من نوشري بأمر الخليفة عام (252هـ/ 866م).[533] |
| | عيسى بن الشيخ بن سليل | شيباني | تغلب على دمشق والأردن وفلسطين(252هـ/ 866م)[534]. |

(528) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص633؛ ابن الأثير: الكامل، ج6، ص105؛ ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج8، ص؛ 3762؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص275.

(529) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص359؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج10، ص327؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص284.

(530) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص420.

(531) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص500.

(532) المصدر نفسه، ج2، ص500.

(533) المصدر نفسه ، ج2، ص500.

(534) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص50؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج2، ص44.

| | | | |
|---|---|---|---|
| المهتدي | عيسى بن الشيخ بن سليل | شيباني | تولاها في (255هـ/ 869م) بعد أمان الخليفة لجميع المتغلبين على الولايات[535]. |
| المعتمد | أماجور | تركي | تغلب على ابن شيخ وتولى الشام كله.[536] |
| | محمد بن رافع | عربي | تولى فلسطين نيابة عن أماجور.[537] |
| | أحمد بن طولون | تركي | ضمها مع باقي الشام إلى دولته عام (264هـ/ 878م)[538]. |

وبناء على المعلومات والإشارات الواردة في الجدول السابق، يمكن تسجيل جملة من السمات التي ميزت إدارة جند فلسطين، خلال فترة الدراسة، وقد كانت كالتالي:

**أولاً:** دلت الفلوس المسكوكة خلال فترة الدراسة أن اللقب المستعمل للقائم على أمر فلسطين هو الأمير، وليس الوالي أو العامل[539].

**ثانياً:** لم تسند إمارة فلسطين خلال تلك الفترة لأي من أبنائها، على عكس كثير من الحالات السابقة في العصر الأموي، إذ تقلدها عدد من زعماء القبائل الفلسطينية النافذة مثل قبائل جذام وكلب وكندة وكنانة وطيئ وعاملة[540]، وهو أمر يدل على حالة من عدم الثقة صاحبت فترة حكم العباسيين المباشر لفلسطين.

(535) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص50؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج47، ص312؛ ولتفصيل ذلك، انظر: المبحث الثالث من الفصل الأول.

(536) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص507-508؛ البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص51-52؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج47، ص312؛ ابن خلدون: العبر، ج3، ص301؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص315.

(537) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص92؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص219.

(538) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص435.

(539) انظر: فلس ضرب الرملة عام 200، 205 هـ. ناهض القيسي: الفلس العربي الإسلامي، ص113، 114.

(540) خليل عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص187.

**ثالثاً:** ولّى العباسيون إمارة جند فلسطين لمجموعة من القادة الذين كانوا من صلب البيت العباسي، وقد كان هذا واضحاً فترة أبي العباس، وخليفته المنصور، والمهدي، وبعض من تبعهم، وهو ما أشار إليه اليعقوبي بقوله: «وولى أبو جعفر أهل بيته البلدان»،[541] ويعود ذلك إلى صعوبة المرحلة الأولى من خلافتهم، التي أتت بعد انقلاب مسلح على الأمويين، فهي تحتاج إلى من يكون مضمون الولاء للبيت الحاكم.

ويرى بعض الباحثين أن ذلك ناتج عن كون أولئك الأمراء «رعاة يمسكون خيوط الدعوة والاتصال بالنقباء»[542]. كما أن ذلك لم يمنع من إسناد الإمارة لعدد من كبار رجال الدولة والدعوة العباسية مثل محمد بن الأشعث، وعبد الله بن طاهر.

**رابعاً:** كانت إمارة فلسطين في بداية العصر العباسي جزءاً من الولاية العامة لعبد الله بن علي على الشام، ثم استقلت بوالٍ من البيت نفسه، ودلت الإشارات المتتالية على أن الحالة الأمنية كانت معياراً أساسياً لجعل فلسطين ضمن ولاية عامة للشام، أو يكون لها أمير يتبع الخليفة مباشرة، ونرى هذا واضحاً فور السيطرة العباسية، وبعد تمرد عبد الله بن علي بالشام وطلبه الخلافة لنفسه، وأثناء فتن الشام وخروج أبي النداء في عهد الرشيد، وبعد فتنة الأمين والمأمون، وتمرد عيسى بن شيخ، وفق ما هو مبين في الجدول.

(541) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص384.

(542) إبراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص219.

**خامساً:** كما سجل شكل آخر للإمارة في جند فلسطين، يتمثل في إضافة جند أو أكثر من أجناد الشام لأميرها، وربما أُضيف إليه ولايات أخرى من خارج الشام، مثل صالح بن علي الذي «جمعت له مصر وفلسطين وإفريقية»[543]، ومحمد بن الأشعث الذي ولاه المنصور البلقاء وفلسطين.[544] وكذلك إبراهيم بن صالح بن علي، ولاه الهادي إلى جانب فلسطين: دمشق والأردن وقبرص والجزيرة.[545] وغيرهما ممن أثبت في الجدول عاليه.

**سادساً:** وحين كانت فلسطين تحت الولاية العامة لإسحق بن الرشيد (المعتصم) أثناء خلافة أخيه المأمون، أو غيره من أبناء الخلفاء، لم يكونوا ليباشروها بأنفسهم، إنما كان الواحد منهم يرسل لكل جند أو أكثر من ينوب عنه في ولايته، ولا تسعفنا المصادر بنوابهم على فلسطين، لكن الوارد أن «إسحق بن يحيى ولي دمشق من قبل المعتصم في خلافة المأمون»[546].

**سابعاً:** يلاحظ بروز الدور التركي في إمارة الأقاليم منذ عهد المعتصم(218-227هـ/ 832-842م)، الذي ولى القادة الأتراك، الشام والجزيرة ومصر، وقد كانوا بدورهم يرسلون من يدير تلك الولايات والأجناد باسمهم، ويبقون هم بجوار الخليفة[547]، ولا تتوفر معلومات كثيرة عمن أرسلوه ليتولى إمارة فلسطين باسمهم، وترد إشارة عند الطبري أن القائد التركي بغا، عقد لعيسى بن شيخ على فلسطين مقابل «أربعين ألف دينار على ذلك، أو ضمنها إليه»[548].

(543) القضاعي: تاريخ القضاعي (كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف)، ص395.

(544) الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ق1، ص215.

(545) المقريزي: المقفى الكبير، ج1، ص179.

(546) الصفدي: تحفة الألباب، ص274.

(547) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص123.

(548) تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص420.

وقد ارتبط فساد الأمراء بظهور نظام الضمان، وهو يتمثل في أن يفرض على الوالي مبلغ معين من المال يدفعه سنوياً إلى بيت المال المركزي، مقابل أن يتولى هو قبض الخراج والجزية وسائر الضرائب. وأن ينفق ما ينفقه كما يشاء، وفي ذلك ما فيه من الضرر على الولاية، فضلاً لمخالفته الشرع[549].

**ثامناً:** شهد جند فلسطين في تلك الفترة، بعض الولاة الذين أساءوا استخدام السلطة، واشتهر منهم عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام، الذي «عسف أهلها»[550]، و«خربها... ولم تحمد ولايته»[551]، وعندما وصل خبر ظلمه إلى الخليفة، أرسل إليه المنصور يطلب منه توجيه اثنين من علماء فلسطين هما إبراهيم بن أبي عبلة، وابن مخمر الكناني، فدعاهما عبد الوهاب، «فغداهما، ثم غلفهما بالغالية[552] بيده، ثم قرأ عليهما كتاب المنصور، وأشخصهما إليه، فلما قدما، ودخلا على المنصور أدنى مجالسهما، ورفعهما، وقال: يا ابن أبي عبلة، كيف تركت البلد؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لقد قرأت العهود مذ زمن الوليد بن عبد الملك، فما سمعت عهداً أحسن من عهد عهدته إلى عبد الوهاب، لكنه عمد إلى جميع ما أمرته به فاجتنبه، وإلى جميع ما نهيته عنه فارتكبه»[553].

وعندما سأل المنصورُ ابن مخمر عن حال أهل فلسطين مع واليهم، «اخرج له طائراً من كمه، قد نتفه حتى لم تبق عليه ريشة واحدة، فقال له: فارقت البلد، يا أمير المؤمنين، وقد نتفه ابن أخيك، حتى تركه كما تركت هذا الطائر؛ فأظهر إنكاراً شديداً وعزله»[554].

---

(549) أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، ص186.

(550) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص99.

(551) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج37، ص303.

(552) غلفه بالغالية: أي طيب لحيته بها، والغالية ضرب مركب من الطيب، أول من سماها بذلك معاوية بن أبي سفيان. العسكري: الأوائل، ص238؛ ابن منظور: لسان العرب، (مادة غلف).

(553) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج37، ص302.

(554) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص99.

وفي هذه الرواية، دليل على اهتمام المنصور بمتابعة أمراء الولايات والأجناد، وأحوالها، وهي علامة في سجل كفاءته الإدارية.

**تاسعاً:** لم تُظهر الإشارات أن أهل فلسطين اختاروا من يكون والياً عليهم فترة الدراسة سوى العباس بن محمد، من البيت العباسي، وذلك بعد طلب المنصور ابن أبي عبلة وابن مخمر الكناني ليصفا له ظلم وعسف عبد الوهاب بن إبراهيم، فيشير ابن عساكر أنه لما راعه ما سمعه منهما «قال: ماله قبحه الله؟، قد عزلته فاختاروا من أحببتم، فاختاروا العباس بن محمد، فولاه عليهم»[555].

ويبدو أن عاملين قد أثرا بشكل مباشر في اختيارهما للعباس بن محمد، أحدهما: أنه من البيت العباسي فهو أخو الخليفة، فلم يعدلا عن غيره نظراً لفهمهما ضمناً سياسة العباسيين في اختيار الولاة، أما السبب الآخر، لسيرته الحسنة السابقة مع أهل الشام، قبل عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام، إذ «كان جواداً ممدَّحاً»[556].

(555) تاريخ دمشق، ج37، ص302.

(556) الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ص211.

## ثانياً: القضاء

عرَّف ابن خلدون القضاء بأنه «منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة»[557]، ولذلك أولى المسلمون اهتماماً بالغاً به لاعتباره من «الخطط الدينية الشرعية، من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة»[558]. وقد باشر الرسول ﷺ القضاء بنفسه، وأرسل بعض أصحابه قضاة خارج المدينة[559].

وقد وضع الفقهاء جملة من الشروط التي يتوجب توافرها في القاضي، تمثلت في الذكورة والبلوغ، والعقل، والحرية، والإسلام، والعدالة، وسلامة الحواس، والعلم بالأحكام الشرعية أصولها وفروعها[560].

وكان الصحابي الجليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه (ت: 34هـ/ 654م)، أول من ولي قضاء فلسطين في الإسلام بعهد من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه[561]، وأحصى بعض الباحثين خمسة من الذين تولوا القضاء في فلسطين في العهد الأموي[562]، وكان الولاة في أغلب الأحيان هم الذين يولون القضاة ويرتبون لهم أرزاقهم[563].

(557) المقدمة، ص220.

(558) المصدر نفسه، ص219.

(559) عبد الكريم زيدان: نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، ص13.

(560) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص88-89.

(561) أبو زرعة الدمشقي: تاريخ أبي زرعة، ص52؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، ص159؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص625؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص261.

(562) انظر: خليل عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص208؛ هاني أبو الرب: تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، ص268.

(563) نبيه عاقل: فلسطين من الفتح العربي الإسلامي إلى أواسط القرن الرابع الهجري، الموسوعة الفلسطينية، ق2، ج2، ص304.

وفي العهد العباسي، كانت العناية بالقضاء جزءًا من سياسة الدولة التي «ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك»[564]، وعليه، فإن «شعائر الدين فيهم معظمة»[565]. وحرصاً على دعم المظهر الديني لخلافتهم، عمل الخلفاء العباسيون على زيادة الإشراف على التطبيق والتنفيذ للقضاء، ومن ذلك أن جعل أبو جعفر المنصور تعيين القضاة في الأقاليم المختلفة مرتبطاً بالخلافة بعد أن كان هذا الأمر متروكاً في العهد الأموي للولاة، وقصد المنصور من هذه الخطوة، إحكام المركزية وتوطيدها، ولمراقبة كفايات الولاة والقضاة[566].

وتعددت الإشارات الدالة على اهتمام العباسيين بالقضاء، منها ما أوصى به طاهر بن الحسين[567] ابنه عبد الله بن طاهر[568]، لما ولاه المأمون مصر والشام والرقة، عام (206هـ/ 821م) في رسالة طويلة جاء فيها: «وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية وتؤمن السبل، وينتصف المظلوم، وتأخذ الناس حقوقها وتحسن المعيشة، ويؤدى حق الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة، ويقيم الدين، ويجري السنن والشرائع في مجاريها»[569].

(564) ابن الطقطقا: الفخري في الآداب السلطانية، ص140.

(565) المصدر نفسه، ص150.

(566) حسين فلاح الكساسبة: السلطة القضائية في العصر العباسي الأول، ص69.

(567) **طاهر بن الحسين (ت:207هـ/ 822م)**، كان والي خراسان، وبلغ عند المأمون مرتبة عالية بعد أن وجهه إلى بغداد لمحاربة أخيه الأمين فظفر به طاهر وقتله، ولقبه المأمون ذا اليمينين، وكان شجاعاً مهيباً كريماً ممدَّحاً، وكان مع فرط شجاعته عالماً خطيباً مفوهاً بليغاً شاعراً، بلغ أعلى الرتب. البغدادي: تاريخ بغداد، ج9، ص353؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص108-109.

(568) انظر ترجمته في المبحث الثالث من الفصل الأول.

(569) ابن خلدون: المقدمة، ص308.

وكان القاضي يقضي باجتهاده لا بمذهب معين، ولذلك كانت الحادثة يقضي فيها قاض في بلد برأي، وقاض آخر برأي آخر، إذ لا قانون للقضاء قد أقرته الدولة، وكذلك لم يكن القاضي مقيداً بمذهب فقهي معين، فعملية تكون المذاهب بدأت خلال فترة الدراسة، وفي ذلك يقول أبو طالب المكي (ت: 386هـ/ 996م): «الكتب والمجموعات محدثة، والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس وانتحاء قوله والحكاية له في كل شيء والتفقه على مذهبه محدث، لم يكن الناس قديماً على ذلك في القرن الأول والثاني»[570].

وعند تشكل المذاهب، لم يكن الأمر قاصراً على المذاهب الأربعة الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، بل كانت مذاهب كثيرة غيرها، لم يقل بعضها في القيمة والقوة عنها، مثل مذهب الحسن البصري، ومذهب الأوزاعي، ومذهب سفيان الثوري، ومذهب الليث بن سعد، ومذهب سفيان بن عيينة، وغيرها[571]. فكان قاضي فلسطين دحيم (ت:245هـ/ 859م) ينتحل في الفقه مذهب الأوزاعي[572].

وعن مهام القاضي، فإنما كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط، ثم أضيف لهم بعد ذلك أمور أخرى على التدريج بحسب اشتغال الخلفاء بالسياسة الكبرى. واستقر منصب القضاء آخر الأمر على أنه يجمع إليه، مع الفصل بين الخصوم، استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين، بالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفه، وفي وصايا المسلمين وأوقافهم، وتزويج الأيامى عند فقد الأولياء[573].

(570) قوت القلوب، ج1، ص272.

(571) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج2، ص 173.

(572) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص265.

(573) ابن خلدون: المقدمة، ص221.

ولوجود طائفة من أهل الذمة في فلسطين، فإنهم لم يمنعوا من رفع قضاياهم إلى القضاء الذي تعينه الدولة، إن أراد أحدهم ذلك، أما إذا كان أحد المتخاصمين مسلماً فلا بد من التقاضي عند قاضٍ مسلم، وإذا كانت بين ذميين من دينين مختلفين، أحدهما نصراني والآخر يهودي، فإن الشرع لا يتعرض لهما إلا في حال تعذر الاتفاق بين الفريقين على قاضي[574].

والمعلومات عن قضاة فلسطين خلال فترة الدراسة شحيحة للغاية، ولم يقف الباحث إلا على اثنين منهم، وهما: محمد بن الحارث بن النعمان الإيادي، الذي كان يتولى قضاء فلسطين في عهد المعتصم (218-227هـ/ 832-842م)، وأتى ذكره في الموضعين مع ترجمة قاضي مصر المعاصر له محمد بن الحارث الشهير بمحمد بن أبي الليث، ذلك أنهما توافقا في الاسم الأول واسم الأب، والنسب وكان الكتاب إذا ورد من العراق قال كل واحد منهما: الكتاب لي، فانفرد محمد بن أبي الليث بكنية أبيه ليتميز عن قاضي فلسطين[575].

والقاضي الآخر، هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو الأموي، الملقب بدحيم بن اليتيم، من موالي بني أمية (ت:245هـ/ 859م)، كان ثقة في الحديث، معدود في الطبقة العاشرة منهم، وروى عنه جماعة من أئمة الحديث، منهم محمد بن إسماعيل البخاري، بلغ من علمه أن يصبح «أحد حفاظ الأئمة... ويعتمد عليه في تعديل شيوخ الشام وجرحهم»[576].

(574) فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج2، ص169.

(575) الكندي: الولاة والقضاة، ص449؛ ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص403.

(576) أبو يعلى الخليلي: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ج1، ص450.

ورغم أنه من قضاة العباسيين إلا أنه كان شديد الميل إلى بني أمية، مما حدا بشاعر من أهل طبرية أن يعرِّض به وبميله للأمويين(577)، حتى يعزله الخليفة عن القضاء، لكنه أخفق في تحقيق هدفه.

وقد ولي القضاء بسائر مدن فلسطين والأردن، وكان ينتحل مذهب الإمام الأوزاعي، ولما ورد عليه كتاب الخليفة المتوكل بتوليته قضاء مصر، شرع بالتجهز إليها، فمات قبل أن يخرج من فلسطين، في رمضان من عام (245هـ/ 859م)(578).

ومن خلال ما توفر من سيرة القاضيين السابقين، يمكن ملاحظة مجموعة من الإضاءات على نظام القضاء في ذلك العصر، وهي:

أ. استمرار تعيين القضاة من قبل الخلفاء.

ب. استمرار المراسلات بين الخليفة والقضاة في الأمصار والأجناد.

ت. تعددت مذاهب القضاة، فلم يكن هناك مذهب فقهي موحد متبع في جميع أرجاء الخلافة.

ث. تولية القضاء بعض علماء الحديث، وليس الفقه فحسب.

ج. ربما ضم إلى قاضي فلسطين غيرها من الأجناد.

ح. كما أن الولاء للأمويين لم يكن سبباً مانعاً لتولية الكفاءات القضاء، وربما يكون ذلك لاستقرار الدولة العباسية وتوطيد حكمها.

(577) انظر القصيدة عند ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج54، ص75.

(578) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص266؛ وكيع: أخبار القضاة، ج3، ص241؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص457-458؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج54، ص75؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص265؛ المزي: تهذيب الكمال، ج16، ص500؛ ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص123، 212؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص292.

خ.

ويبدو أن القضاء في فلسطين في عهد الخليفة المهتدي (255-256هـ/ 869-870م) كان معطلاً، أو لم تكن أحكامه نافذة، وربما يكون ذلك مصاحباً لمرحلة الاضطراب التي سببها تمرد عيسى بن شيخ في فلسطين والشام، إذ تشير الرواية أن رجلاً من أهل الرملة قدم إلى الخليفة المهتدي يتظلم فأنصفه، فاستخفه الفرح حتى غشي عليه، فلما أفاق قال له المتهدي: «كان الواجب أن ننصفك في بلدك، فإذا لم نطق ذلك، فنعطيك ما أنفقت في طريقك، وكان أنفق عشرين ديناراً، فأمر له بخمسين ديناراً، واستحله من تأخر حقه»[579].

## ثالثاً: البريد

والبريد كلمة فارسية معناها البغل، وأَصلها (برده دم) أَي محذوف الذَّنب، لأَن بغال البريد كانت محذوفة الأَذناب، كالعلامة لها، فأُعربت وخُفِّفت، ثمّ سُمي الرسول الذي يركبه بريداً.[580]

وكان المقصود بالبريد في البداية، المسافة بين كل محطة بريد وأخرى،[581] لكن مع التطور الطاريء عليه، وتنظيمه، اختلف عن المعنى الأول للمصطلح، إذ يكشف لنا ابن الطقطقا عن حقيقة البريد ومعناه في إدارة الدولة الإسلامية بقوله: «البريد أن يُجعل خيل مضمرات في عدة أماكن. فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب فرسه ركب غيره فرساً مستريحاً. وكذلك يفعل في المكان الآخر والآخر حتى يصل بسرعة.»[582]

وأثرت عدة عوامل على المسافة بين محطة البريد والأخرى، منها بعد الماء، أو الأنس بقرية تكون بجوار مركز البريد[583].

(579) العسكري: الأوائل، ص206-207.

(580) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص41؛ مرتضى الزبيدي: تاج العروس، ج7، ص418.

(581) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص 239.

(582) الفخري في الآداب السلطانية، ص 39.

(583) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص 239.

وكان البريد في الدولة الإسلامية واسطة العلاقة بين الخليفة والولاة، ينقل أوامر الخلفاء إلى ولاتهم وأخبار الولاة والأقاليم إلى الخلفاء، وكان أصحاب البريد رقباء أو مفتشين من قبل الدولة، يرفعون التقارير عن أحوال الجند أو المال أو غير ذلك من أحوال المملكة(584).

ويعد معاوية بن أبي سفيان أول من وضع البريد ونظمه في الدولة الإسلامية(585)، واستمر البريد في العهد العباسي يتوسع ويزداد تنظيمه حتى قطعه بني بويه حين تسلطهم على الخلافة ليخفوا عن الخليفة أخبارهم وتحركاتهم(586).

وتعددت الإشارات الدالة على العمل بنظام البريد في فلسطين وغيرها منذ بدايات العصر العباسي، وهو خلاف ما ذكره ابن فضل العمري عن تعطل البريد زمن الخلفاء الأوائل من بني العباس، حين «ملك السفاح ثم المنصور ثم المهدي والبريد لا يشد له سرج، ولا يلجم له دابة»(587). ومنها، حرص المنصور على صاحب بريد يكتب له أخبار عماله على وجه صحيح وصادق، عاداً إياه من «أركان الدولة»(588). وكان المنصور يجلس بعد صلاة العشاء «فينظر فيما ورد من كتب الثغور والأطراف والآفاق»(589)، وكان على بريده في مصر والشام والجزيرة مولاه طريف(590). كما أشار لذلك الجاحظ (ت:255هـ/ 869م) بقوله: «كان أكثر الأمور عنده معرفة أحوال الناس، حتى عرف الولي من العدو والمداجي من المسالم، فساس الرعية ولِبَسها، وهو من معرفتها على مثل وضح النهار»(591).

(584) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، ص230.

(585) العسكري: الأوائل، ص237؛ ابن الطقطقا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 39.

(586) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص 239.

(587) المصدر نفسه، ص240.

(588) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص520؛ ابن الأثير: الكامل، ج5، ص220.

(589) ابن الأثير: الكامل، ج5، ص221.

(590) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص68.

(591) التاج في أخلاق الملوك، ص169.

ولا تزودنا المصادر باسم أي ممن تولى إدارة البريد في فلسطين خلال فترة الدراسة، لكن من المؤكد أن هذه الوظيفة كانت قائمة، بدليل وصول أخبار عسف واليها عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام إلى المنصور، وطلب المنصور منه بتوجيه اثنين من علمائها إليه[592]، والمراسلات بين الخليفة المعتصم وقضاته في مصر وفلسطين[593].

وحفظت لنا المصادر الجغرافية، محطات البريد في جند فلسطين والمسافات بينها، والطرق المؤدية إليها من حاضرة الخلافة، وكذلك المحطات المارة بها في الطريق إلى غيرها من الأجناد والأمصار في مصر وإفريقية.[594]

## رابعاً: الوظائف أخرى.

وتعددت تلك الوظائف التي كانت قائمة في جند فلسطين فترة الدراسة، مثل صاحب الشرطة، والشرطة، والحسبة، والعمال على المدن، لكن المصادر لم تزودنا بمعلومات عنها على وجه الخصوص في فلسطين، وإنما ذكرت بعض الإضاءات عنها في بعض أجناد الشام أو مصر، وبالضرورة يكون لها نظائر في جند فلسطين[595].

(592) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج37، ص302.

(593) الكندي: الولاة والقضاة، ص449؛ ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص403.

(594) ينظر: ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص78-79؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص157-159.

(595) ينظر مثلاً: الكندي، الولاة والقضاة، ص 101، 102؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج60، ص352، ج7، ص8.

# المبحث الثالث
# التنظيمات المالية

ساهمت مجموعة من المؤسسات والتنظيمات المالية في إدارة جند فلسطين بشكل فاعل خلال فترة الدراسة، إلى جانب المؤسسات الإدارية، التي تناولتها الدراسة في المبحث السابق، ويمكن الوقوف على أهمها وأشهرها كالتالي:

**أولاً: بيت المال.**

وقد كان ركن التنظيمات المالية وعمادها في الولايات والأجناد، فضلاً عن حاضرة الخلافة، والبحث في بيت المال يشمل النظر في كل ما يتعلق بالأموال من خراج وصدقة وأعشار وأخماس وجزية وغير ذلك، ويختص بيت المال «بكل مالٍ استحقه المسلمون ولم يتعين مالكه منهم فهو من حقوق بيت المال. ... وكل حق وجب صرفه في مصالح المسلمين فهو حق على بيت المال»[596].

واتسعت موارد بيت المال في العصر العباسي لتشمل أحد عشر فرعاً من الجبايات هي: الصدقة والزكاة، والخراج، والجزية، والمكوس، وضرائب الملاحات والأسماك، وأعشار السفن، وأخماس المعادن، والمراصد (الجمارك)، وغلة دار الضرب، والمستغلات، وضرائب الصناعة[597].

(596) أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، ص186؛ الماوردي: الأحكام السلطانية، ص277-278.

(597) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج2، ص70.

وارتبط ذكر بيت المال في فلسطين بنهاية الحكم الأموي على فلسطين (132هـ/ 750م) حين تمرد عامل بيت المال هناك، الحكم بن ضبعان الجذامي، على مروان بن محمد أثناء مروره بها فاراً من ملاحقة عبد الله بن علي العباسي[598]. وهي تدل على مكانة رفيعة للعامل على بيت المال تؤهله التمرد على الخليفة ومنعه المال.

ولم تبين المصادر معلومات وافية عن بيت المال في فلسطين فترة الدراسة، لكنها أكدت وجوده، وكان بيت المال يعلق بجامع القصبة على أعمدة[599].

ففي أولى سنوات خلافة الأمين (193-198هـ/ 808-813م) التي اتسمت بالفتن والاضطرابات، أرسل والي مصر ابن التختاخ أموال الخراج إلى مقر الخلافة في بغداد، فلما صارت في فلسطين عبر طريقها إلى بغداد، استولى أهل الرملة على هذه الأموال، فأخذوا منها مقدار عطائهم السنوي كاملاً، وأدخلوا الباقي في بيت المال[600].

(598) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص354.

(599) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص182.

(600) الكندي: الولاة والقضاة، ص146.

ونقل برنارد الحكيم (Bernard The Wise) الذي زار فلسطين عـام (253هـ/ 867م)، أن التجار كانوا يدفعون دينارين سنوياً نظير التجارة في سوق بيت المقدس[601]. ونوَّه البشاري المقدسي عن ضريبة تؤخذ من فنادق المدينة[602]، وهذه كلها إشارات على وجود مؤسسة بيت المال وفاعليتها في جند فلسطين.

ولم تحفظ لنا المصادر مقدار الارتفاع[603] السنوي، من جند فلسطين، خلال فترة الدراسة، إلا بعض القوائم لسنوات متباعدة في مصادر عدة، وهي كالتالي:

---

(601) Bernard The Wise: The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.26.

(602) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص189.

(603) **الارتفاع:** عامة المال الذي يتحصل لـديوان بيت المـال، وبالنسبة للمحاصيل، هـو تقـدير قيمتهـا ومقـدارها بالتخمين. محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ص40.

**جدول (2.2) ارتفاع جند فلسطين (132-264هـ/ 750-878م)**

| القائمة | العهد | العام | الارتفاع من العين (النقد) | مواد أخرى |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| الجهشياري | الرشيد | بين (170-193هـ / 786-808م) | 320 ألف دينار | 300 ألف رطل[604] من الزبيب (من الشام كله)[605] |
| قدامة | المأمون | (204هـ/ 209م) | 195 ألف دينار[606] | |
| ابن خلدون | المأمون | على الأرجح أنها بين (205-210هـ/ 820-825م)[607] | 310 ألف دينار | 300 ألف رطل زيت[608] |
| قدامة | المعتصم | (225هـ/ 840م) | 259 ألف دينار[609] | |

(604) **الرطل:** معيار يوزن به ويكال، وهو يختلف باختلاف أعراف الأمصار والأزمان، وإذا أطلق فالمراد به الرطل البغدادي، ومقداره (128) أو (130) درهم، والدرهم (2.3328) جرام، وعليه يكون الرطل 303 جراماً تقريباً. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج7، ص49؛ علي جمعة: المكاييل والأوزان الشرعية، ص29؛ محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ص250؛ محمد صبحي بن حسن حلاق: الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، ص

(605) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص234.

(606) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص 178.

(607) حسب تقدير جرجي زيدان في: تاريخ التمدن الإسلامي، ج2، ص49.

(608) ابن خلدون: المقدمة، ص181.

(609) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص184.

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ابن خرداذبة | | منتصف (ق3هـ/ 9م) [610] | 500 ألف دينار [611] | |

ومما ينبغي ملاحظته، أن المقادير المذكورة في القوائم السابقة، ليست جميع ما تم جبايته من الجند، إنما هي صوافي ما تحصل منها في الأقاليم بعد دفع عطاء الجند ونفقات الجباية وإصلاح الري، ونحو ذلك من نفقات الأقاليم[612]، وفي فلسطين، كان الإنفاق على تشغيل وصيانة آبار الرملة وقناتها يحتاج إلى مؤامرة[613] من الخلفاء واحد بعد الآخر، فلما تولى المعتصم (218-227هـ/ 832-842م)، «أسجل بتل النفقة سجلاً، فانقطع الاستئمار»، وصارت من ضمن النفقات الجارية التي يحتسب بها الأمراء[614].

ومن خلال القوائم السابقة، يلاحظ أن الارتفاع الذي أثبته قدامة في أوائل عهد المأمون (198-218هـ/ 813-833م)، أقل بكثير من الارتفاع الذي أثبته الجهشياري في عهد الرشيد (170-193هـ/ 786-808م)، وهو يشير بوضوح إلى أثر الفتنة بين الأمين والمأمون واستمرار أثرها بعد ذلك بسنوات.

(610) حسب تقدير جرجي زيدان، انظر: تاريخ التمدن الإسلامي، ج2، ص49.

(611) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص79؛ البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص189 (نقلاً عن ابن خرداذبة).

(612) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج1، ص209؛ جرجي زيدان: التمدن الإسلامي، ج2، ص54.

(613) **المؤامرة (الاستئمار):** في عرف الدواوين المالية، عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة عن النفقات المقررة، ويوقع الخليفة في آخره بإجازة ذلك. الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص38.

(614) البلاذري: فتوح البلدان، ص149؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص102.

ويذكر قدامة بن جعفر، أن قوائم السنوات السابقة للفتنة مفقودة، لأنها أحرقت أثناء الفتنة[615]، وهو ما دفع الباحث نبيه عاقل للتقليل من مصداقية القوائم السابقة لقائمة قدامة (204هـ/ 209م)[616]، لكن إفصاح الجهشياري عن مصدره، يضفي عليها مزيداً من المصداقية والوثوقية، فهو يقول: «وجدت في كتاب عمله أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب، في أخبار خلفاء بني العباس، بخط أبي الفضل، يقول: أنفذ إلي أبو القاسم جعفر بن محمد بن حفص رقعة، انتسخها -من دواوين الخراج- الكاتب، ذكر... »[617]، كما أن مصدر الجهشياري هو نفسه مصدر قائمة ابن خلدون عن الارتفاع في عصر المأمون[618].

وتدل القائمة الثانية التي يقدمها ابن خلدون على تعافي أجناد الشام وفلسطين وزيادتها بنسبة قاربت الثلث، لتعود وتعادل قيمة الارتفاع في عهد الرشيد (قائمة الجهشياري).

وتكشف قائمة قدامة الثانية في عهد المعتصم (218-227هـ/ 832-842م) عن انخفاض في قيمة ارتفاع فلسطين، ولعل ذلك عائد إلى تدخل سلبي من الأتراك الذين استكثر منهم المعتصم.

أما القائمة الأخيرة التي قدمها ابن خرداذبة، فهي تظهر ارتفاعاً كبيراً جداً (500 ألف) وهو يعني ضعف ما كان يجبى من فلسطين في عهد المعتصم، مما يدل على مدى الظلم والعسف الذي كان يمارسه الجباة، وهي علامات واضحة على فساد نظام الضمان أو الالتزام الذي اتبع في أواخر فترة الدراسة.

(615) الخراج وصناعة الكتابة، ص 162.

(616) فلسطين من الفتح العربي الإسلامي إلى أواسط القرن الرابع الهجري، الموسوعة الفلسطينية، ق2، ج2، ،ص 311.

(617) الوزراء والكتاب، ص227.

(618) المقدمة، ص179.

**ثانياً: الخراج.**

يُفهم من مجموع النصوص الفقهية التي تحدثت عن الخراج أنه أحد أصناف الضرائب (الجبايات) التي كانت تحصلها الدولة عن الأرض الزراعية، وتختص بالأراضي التي فتحها المسلمون صلحاً، يزرعها أهلها ويؤدون عنها الخراج، سواء أسلموا بعد الصلح أم بقوا على دينهم[619]. أما مقداره؛ «فمعتبر بما تحتمله الأرض»[620].

وعليه، فإن غالبية أرض فلسطين كان عليها الخراج، لأن معظمها فتح صلحاً، فقد فتح عمرو بن العاص غزة وسبسطية ونابلس، «وأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم، على أن الجزية في رقابهم والخراج في أرضهم»، ثم فتح مدينة لد وأرضها، ثم يبنى، وعمواس، وبيت جبرين، ويافا، ورفح على مثل ذلك، وطلب أهل إيلياء (بيت المقدس) من أبي عبيدة «الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم»[621].

وإلى جانب ذلك تم إعفاء أهل السامرة من الخراج، نظير ما قدموه للمسلمين من خدمات أثناء الفتوحات، إذ كانوا عيوناً وأدلاء، واستمر العمل بهذا الأمر طيلة فترة الخلفاء الراشدين، ومعاوية بن أبي سفيان، حتى أوقفه يزيد بن معاوية[622].

(619) ينظر: أبو يوسف: الخراج، ص23؛ يحيى بن آدم: كتاب الخراج، ص63؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص209؛ الماوردي: الأحكام السلطانية، ص186-187؛ ابن رجب الحنبلي: الاستخراج لأحكام الخراج، ص19-20.

(620) أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، ص165.

(621) البلاذري: فتوح البلدان، ص144؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص299-300؛ وانظر: الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص32.

(622) البلاذري: فتوح البلدان، ص162.

واستمر الأمويون على نهج الخلفاء الراشدين بخصوص تنظيم الخراج في الشام، مع إجراء بعض التعديلات الجديدة مثل ما قام به عبد الملك بن مروان من إعادة مسح أراضي الشام والجزيرة وإعادة تقدير قيم الخراج عليها(623).

أما في العصر العباسي، فشهد جند فلسطين سلسلة من الأحداث والإجراءات المتعلقة بالخراج، وربما يكون أولها ما يتضح من ثورة ذلك الشيخ الكبير في فلسطين في عهد المنصور(136-158هـ/ 754-775م)، ويبدو من قول وزير المنصور الربيع بن يونس على لسان ذلك الثائر، أن السبب يتعلق بالتنظيمات المالية وسلوك الوالي تجاه الأهالي، إذ قال:

**العبد عبدكم والمال مالكم فهل عذابك عني اليوم مصروف؟**(624)

ويبدو أن سياسة المنصور المالية تجاه الأقاليم الشامية كانت تعتمد تهميشها، وتخفيض الإنفاق على مرافقها، يتضح ذلك من مراجعة رسالة ابن المقفع (ت:142هـ759م) للمنصور، التي يصف فيها أحوال أهل الشام في عهده: «حرموا كما كانوا يحرمون الناس، وجعل فيئهم إلى غيرهم كما كان فيئ غيرهم إليهم، ونحوا عن المنابر والمجالس والأعمال كما كانوا ينحون عن ذلك من لا يجهلون فضله في السابقة والمواضع ومنعت منهم المرافق كما كانوا يمنعون الناس أن ينالوا معهم أكلة من الطعام الذي يصنعه أمراؤهم للعامة، فإن رغب أمير المؤمنين لنفسه عن هذه السيرة وما أشبهها فلم يعارض ما عاب، ولم يمثل ما سخط، كان العدل أن يقتصر بهم على فيئهم فيجعل ما خرج من كور الشام فضلاً عن النفقات»(625).

وقد وردت إشارات تفيد بجعل العباسيين إدارة مركزية خاصة بخراج بلاد الشام وأجنادها في أول عهدهم(626).

(623) أبو يوسف: الخراج، ص41.

(624) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص99؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص295.

(625) رسالة في الصحابة، رسائل البلغاء، ص127.

(626) خليفة: تاريخ خليفة، ص436؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص594.

ومن الإجراءات التي أحدثها العباسيون على أنظمة الخراج في فلسطين، ما حدث في أول عهد الرشيد (170-193هـ/ 786-808م)، حين ترك أصحاب الضياع في فلسطين ضياعهم، فما كان من الرشيد إلا أن أرسل قائده هرثمة بن أعين لعمارتها وزراعتها، الذي بدوره «دعا قوما من مزارعيها وأكرتها» إلى الرجوع إلى تلك الأراضي والضياع مقابل أن تخفف عنهم الدولة الخراج وأن تلين معاملتهم، فعاد قسم منهم أطلق عليهم في الدواوين الرسمية «أصحاب التخافيف»، ثم رجع قوم آخرون فردت عليهم أرضهم وفق الشرط السابقة، فأطلق عليهم «أصحاب الردود»[627].

واعتقد بعض الباحثين خطأً أن سبب هجر الضياع هو أن الدولة قد فرضت عليهم خراجاً مجحفاً[628]. لكن البلاذري - في موضع غير قريب من الرواية السابقة- بين أن السبب يعود إلى «طاعون جارف ربما أتى على جميع أهل البيت فخربت أرضهم وتعطلت، فوكل السلطان بها من عمرها وتألف الأكرة والمزارعين إليها فصارت ضياعا للخلافة»[629].

(627) البلاذري: فتوح البلدان، ص149-150.

(628) انظر مثلاً: غيداء خزنة كاتبي: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الممارسة والنظرية، ص206.

(629) البلاذري: فتوح البلدان، ص163.

ومن المعلوم حرص الخليفة هارون الرشيد على تنظيم أمور الخراج وضبط الجبايات، وهـو الذي طلب من القاضي أبو يوسف وضع كتاب جـامع «يعمـل بـه في جبايـة الخـراج والعشـور والصدقات والجوالي[630]، وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به، وإنما أراد بـذلك رفـع الظلم عن رعيته، والصلاح لأمرهم»[631]. وقد أصبح هذا الكتاب مرجعـاً فقهيـا وإداريـاً في إدارة وتنظيم الخراج.

واهتم المأمون بتخفيف وطأة الخراج بدوافع سياسية، مثل ما فعله قائـده ومبعوثـه إلى الشـام عبد الله بن طاهر بعد موجة الفتن والقلاقل، في العام (210هـ/ 825م)[632] حين «سـار يسـتقري الشام بلداً بلداً، ...، ونظر في مصالح البلدان، وحط عن بعضها الخراج»[633].

وفي عام (218هـ/ 833م) أرسل المأمون إلى ولاته في أجناد الشـام وفلسـطين يطلـب مـنهم توصية عمال الخراج «بحسن السيرة، وتخفيف المؤونة، وكف الأذى»[634].

وشهدت فلسطين ثورة عظيمة في نهاية عهد المعتصم، وتحديداً عام (227هـ/ 842م) قادها المبرقع اليماني[635]، كان عصبها الفلاحون الذين قدرتهم بعض الروايات بمائة ألف[636]، ولاشـك أن العدد الكبير من الفلاحين المشاركين في هذه الثورة يدل على تظلمهم من سـلوك وإجـراءات الدولة تجاه المطلوب منهم توفيره من أموال الخراج وغيره.

(630) **الجوالي**: جمع جالية، وأصلها الجماعة التي تفارق وطنها وتنزل وطنا آخر، ومنه قيل لأهل الذمة الـذين أجلاهـم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن جزيرة العرب ثم نقلت هذه اللفظة إلى الجزية التي أخذت منهم، ثـم اسـتعملت في كل جزية تؤخذ وإن لم يكن صاحبها جلا عن وطنه. أبو يوسف: الخراج، ص3 (هامش التحقيق).

(631) أبو يوسف: الخراج، ص3.

(632) عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص207.

(633) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص460.

(634) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص194-195.

(635) انظر تفاصيل الثورة ونهايتها في الفصل الأول من الرسالة.

(636) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص269؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص84؛ ابن الجـوزي: المنـتظم، ج11، ص118؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص324.

ومن منطلق اهتمام العباسيين بالخراج وجبايته، عملوا على تنظيمه وترتيبه، فكان هناك ديوان الخراج المركزي في العاصمة، يتولى الإشراف على دواوين الخراج الموجودة في الأقاليم، إذ كان في كل إقليم من أقاليم الدولة ديوان خراج خاص به يقوم مقام خزانة الدولة ضمن الإقليم(637).

وكان على رأس ديوان الخراج المحلي موظف يسمى عامل الخراج(638) أو صاحب الخراج لأنه يختص بحمل خراج الولاية إلى خزانة الدولة والإنفاق عليها مما يحصله من الأموال(639)، يعاونه عدد من الموظفين منهم المسَّاح والقسَّام(640)، والكاتب الذي يلزمه أن يكون «عالماً بالزرع والمساحة»(641)، فضلاً عن الجهبذ الخبير بالنقود(642).

(637) غيداء خزنة كاتبي: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الممارسة والنظرية، ص261.

(638) أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، ص173.

(639) أمينة بيطار: النظم الإدارية في بلاد الشام (132 – 358هـ/ 750 – 969 م)، مجلة البحث التاريخي، ع2.

(640) أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، ص173.

(641) البطليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ج1، ص144.

(642) CL. Cahen: Kharadj, The Encyclopedia of Islam, vol.3, p.1032.

ولم تقدم المصادر المتاحة، معلومات كافية عن من شغل هذه الوظائف في فلسطين فترة الدراسة، سوى أن أحمد بن المدبِّر[643] قد تولى خراج فلسطين بتكليف من الخليفة المهتدي (255-256هـ/ 869-870م)[644]. وتوسعت صلاحياته ليتولى خراج الشامات كلها في عهد الخليفة المعتمد بالله (256-279هـ/ 870-892م)[645].

ولم تحدد المصادر قيمة الخراج في فلسطين، أو كيفية حسابه خلال فترة الدراسة، سوى الإشارة الواردة عند البلاذري عن تخفيف المتوكل قيمة الخراج عن أهل بيت ماما السامرة[646]. ومن المؤكد أن طبيعة الأرض الزراعية التي ميزت الساحل وأجزاء واسعة من جند فلسطين تجعل من الخراج النصيب الأكبر من قيمة ارتفاع فلسطين المذكور سابقاً.

## ثالثاً: الجزية:

والجزية ضريبة مفروضة على رؤوس أهل الذمة، وتفرض مرة واحدة كل سنة قمرية، وهي مشتقة من الجزاء؛ أي جزاء على أمان المسلمين لهم، ومتى أدوها كان يلتزم لهم ولي الأمر بحقين: أحدهما الكف عنهم، والثاني الحماية[647].

(643) **أحمد ابن المدبّر (ت:270هـ/ 883م):** أبو الحسن الكاتب، كان على خراج مصر أثناء عصيان ابن شيخ في فلسطين (انظر: المبحث الثالث من الفصل الأول)، وقد جرت بينه وبين أحمد بن طولون منافسات انتهت بقتله أو حبسه حتى الموت في سجن ابن طولون، وهو أخو إبراهيم بن المدبر الذي كان وزيراً للمعتمد. الكندي: الولاة والقضاة، ص214؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص121؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص125-126.

(644) المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص177.

(645) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص509.

(646) البلاذري: فتوح البلدان، ص163.

(647) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص185،181.

وتؤخذ الجزية من الرجال البالغين الأحرار العقلاء، فلا تؤخذ من النساء أو الصبيان أو العبيد أو المجانين، واستُثني كذلك من الجزية غير القادرين على أدائها من كبار السن والزمنى والعجزة والرهبان والعميان، ومن جرى مجراهم من أهل الذمة[648]. وفي ذلك كتب عمر بن الخطاب في أهل الذمة: «من لم يطق منهم فخففوا عنه، ومن عجز فأعينوه»[649].

واختلفت مقادير الجزية باختلاف الأمصار وقدرة أهل الذمة على الأداء، والنقود المستخدمة، فكانت جزية ذمة أهل الشام من العين (الذهب)، وقسمت إلى ثلاث طبقات حسب قدرة كل طبقة ودخلها خلال العام؛ فالطبقة العليا: أربعة دنانير، والطبقة الوسطى: ديناران، والطبقة الثالثة (الدون): دينار[650].

وتوضح هذه المعايير والاستثناءات عدة حقائق، أهمها سعي الدولة الإسلامية منذ صدرها الأول على تخفيف التكاليف المالية عن أهل الذمة، والحقيقة الثانية أن الجزية لم تشكل نسبة كبيرة من قيمة جباية بيت المال.

ويبدو أنه لم يكن هناك عامل مختص بالجزية، بل هي من ضمن اختصاصات عامل الخراج، فقد أفاد القاضي أبو يوسف عن أموال الجزية، «يحملها ولاة الخراج مع الخراج إلى بيت المال»[651].

(648) أبو يوسف: الخراج، ص122-123؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص225؛ الماوردي: الأحكام السلطانية، ص184-185.

(649) ابن منظور: تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص83.

(650) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص225.

(651) أبو يوسف: الخراج، ص124.

وشدد القاضي أبو يوسف (ت:183هـ/ 799م)، في كتابه الموجه للخليفة هارون الرشيد على ضرورة الرفق في تحصيل الجزية، «فلا يضرب أحد من أهل الذمة في استيدائهم الجزية؛ ولا يقاموا في الشمس ولا غيرها، ولا يجعل عليهم في أبدانهم شيء من المكاره، ولكن يرفق بهم»[652].

وفرضت الجزية على بعض أهل الذمة من فلسطين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، حين صالحه أهل أيلة، الواقعة على حدود الحجاز، على جزية قدرها ثلاثمائة دينار، وذلك بعد غزوة تبوك في عام (9هـ/ 630)[653].

وفي المرحلة التالية، فتح عمرو بن العاص غزة وسبسطية ونابلس، «وأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم، على أن الجزية في رقابهم والخراج في أرضهم»، ثم فتح مدينة لد وأرضها، ثم يبنى، وعمواس، وبيت جبرين، ويافا، ورفح على مثل ذلك، وطلب أهل إيلياء (بيت المقدس) من أبي عبيدة «الأمان والصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام من أداء الجزية والخراج والدخول فيما دخل فيه نظراؤهم»[654].

وامتازت بعض الفئات من أهل الذمة في فلسطين بالعفو من الجزية، مثل السامرة، نظير ما قدموه للمسلمين من خدمات أثناء الفتوحات، إذ كانوا عيوناً وأدلاء، فصالحهم أبو عبيدة بن الجراح على ذلك واستمر العمل بهذا الاتفاق، حتى أوقفه يزيد بن معاوية[655].

(652) المصدر نفسه، ص123.

(653) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج1، ص290؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص71؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص185؛ ابن حبات: الثقات،ج2، ص94؛ ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص292.

(654) البلاذري: فتوح البلدان، ص144؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص299-300.

(655) البلاذري: فتوح البلدان، ص162.

وفي عام (246هـ/ 860م) خفف الخليفة المتوكل الجزية عن السامرة في قرية بيت ماما من كورة نابلس، بعد أن اشتكوا له عجزهم عن أدائها، وقرية بيت ماما هي واحدة من الضياع التي هجرها أصحابها في أول عهد الرشيد (170-193هـ/ 786-808م) بعد أن أصاب فلسطين وباء الطاعون[656].

ومن الفئات الأخرى التي أُسْقطت عنها الجزية، خدم المسجد الأقصى من النصارى، الذين كلفوا بخدمته لعمل الحصر، وكنسها، وتنظيف الصهاريج وقنوات المياه المؤدية إليها، وكذلك جماعة من اليهود الذين أوكلت لهم أعمال النظافة، وتجهيز الزجاج للقناديل والأقداح وغيرها، وأسقطت الجزية كذلك عن جماعة من الذين كانوا يقومون على أمر المصابيح. وظل هذا الإعفاء لهم ولذرياتهم منذ عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ( 65-86هـ/ 685-705م)، واستمروا على هذا الأمر فترة الدراسة والفترات اللاحقة، لكن بدون اليهود الذين تم الاستغناء عنهم منذ عهد عمر بن العزيز (99-101 هـ/ 718-720م)[657].

ولا تزودنا المصادر بمعلومات أوفى عن إجراءات الولاة والعمال تجاه أهل الذمة في فلسطين، لكن الملاحظ أن عهد المنصور (136هـ-158هـ/ 754-775م) كان قاسياً من ناحية الضرائب والجبايات، فقد تحدثت بعض المصادر السريانية عن زيادة في الضرائب مثل ميخائيل السوري[658]، كما أشار ثيوفانس إلى أنه المنصور زاد من الجزية على النصارى، وفرضها على الرهبان والمقيمين في الكنائس[659]، الذين يبدو أنهم لم يكونوا يؤدونها من قبل.

(656) البلاذري: فتوح البلدان، ص163؛ ياقوت: معجم البلدان،ج1، ص522.

(657) الشهاب المقدسي: مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ص176؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص281.

(658) عبد العزيز الدوري: القدس في الفترة الإسلامية الأولى، أوراق في التاريخ العربي الإسلامي، ص161.

(659) Theophanes: The chronicle of Theophanes, p.119.

وتحدث المنبجي في رواية غريبة أن المنصور حين قدومه إلى بيت المقدس في الزيارة الثانية (154هـ/ 770م)، «عسف الناس جميعاً، وألزمهم نوائباً وكلفاً لم يتقدمه فيها أحد من الملوك، وضيق عليهم تضييقاً شديداً، حتى لم يبق إنسان من صانع، ولا طواف ولا حمال ولا حفار قبور ولا فلاح ولا متصدق، ولا صنف من صنوف الناس حتى ألزمهم الخراج وأخذ أموالهم، واشتد بالناس البلاء وبلغ الجهد حتى أن بعضهم حفر القبور واخذ الجيف وطحنها وأكلها، وذبحت الكلاب وشويت وبيعت في الأسواق، ومن تمام المكروه عليهم أن خرجت لهم طواعين»[660].

وإن كان من الواضح المبالغة في الرواية، مما يقلل من صدقيتها، إلا أن ذلك لا ينفي أن يكون المنصور قد زاد في الضرائب والجبايات بشكل أثقل أهالي الخلافة جميعاً، وهو أمر أكدته المصادر الإسلامية، فقد ذكر اليعقوبي أن المنصور «أخذ أموال الناس حتى ما ترك عند أحد فضلاً، وكان مبلغ ما أخذ لهم ثمانمائة ألف ألف درهم»[661].

## رابعاً: النقود ودار الضرب

لم يكن للمسلمين في بداية دولتهم، نقود خاصة بهم، أو مسكوكات موروثة، وإنما كانوا يتعاملون بالدنانير الرومية (البيزنطية)[662]، والدراهم الفارسية (الساسانية)[663].

(660) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص129–130.

(661) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص387.

(662) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 167.

(663) ابن خلدون: العبر، ج1، ص261؛ المقريزي: النقود القديمة الإسلامية، رسائل المقريزي، ص157؛ وانظر: جواد العلي: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج16، ص357؛ إبراهيم القاسم رحاحلة، النقود ودور الضرب في الإسلام، ص38.

وفي العام (76هـ/ 695م)، وضمن حركة التعريب التي قادها الخليفة عبد الملك بن مروان، ضربت في عهده أول الدنانير والدراهم العربية الخالصة، ونقش عليها[664] الشهادتان، وكانت خالية من الشارات النصرانية، والصور الآدمية[665]. وحافظ الأمويون على العيار وتشددوا فيه[666].

وكانت المؤسسة الوحيدة المخولة بضرب النقود هي دار الضرب، وكانت العقوبة الأليمة تقع على من خالف ذلك[667]، ويتولى أمر دار الضرب «ناظر دار الضرب»[668]، ويعاونه مراقب على المعيار[669]، ويقوم بالمهام التنفيذية مجموعة من الضرابين[670]، ومراقب عليهم[671]. وإلى جانب الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، ضربت الفلوس النحاسية أو البرونزية، التي كانت شائعة في القرون الأولى من التاريخ الإسلامي[672].

(664) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج5، ص229؛ العسكري: الأوائل، ص254؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص576.

(665) إبراهيم القاسم رحاحلة، النقود ودور الضرب في الإسلام، ص38.

(666) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 167.

(667) العسكري: الأوائل، ص254-255.

(668) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج21، ص54.

(669) ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص112.

(670)العسكري: الأوائل، ص255؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج41، ص452.

(671) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج41، ص452.

(672) A. L.Udovitch: Fals, Encyclopadia of Islam, vol.2, p.768 .

ولأهمية دار الضرب، وما يتطلبه الأمر من أمانة، كان الخليفة يعين ناظر دار الضرب بنفسه، فقد ولى المنصورُ عالم الحديث ربيع بن حظيان الملقب «ربيع الحديث»، دار الضرب بدمشق(673).

وحين آلت الخلافة للعباسيين، ضرب أبو العباس السفاح الدراهم بالأنبار(674)، «وعملها على نقش الدنانير»(675)، لكن ذلك لم يكن يعني انتهاء النقود الأموية، فقد كانت «الهبيرية والخالدية واليوسفية(676) أجود نقود بني أمية(677)، «وكان المنصور لا يأخذ في الخراج من الدراهم غيرها»(678).

واستمر الخلفاء العباسيون بمباشرة عيار الدراهم والدنانير بأنفسهم، فلما ولي هارون الرشيد «ترفَّع عن مباشرة العيار بنفسه»(679).

---

(673) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج32، ص305.

(674) **الأنبار:** مدينة عراقية على الفرات غرب بغداد، فتحها خالد بن الوليد عام (12هـ/ 633م)، جددها أبو العباس السفاح، وبنى بها قصوراً وأقام بها حتى موته عام (136هـ/ 754م). ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص257.

(675) المقريزي: النقود القديمة الإسلامية، ص165.

(676) **الهبيرية والخالدية واليوسفية:** ثلاثة أجيال من النقود العراقية، نسبت إلى ولاة العراق الذين ضربت النقود بإشرافهم على عيارها، وهم على التوالي: عمر ابن هبيرة، خالد بن عبد الله القسري، يوسف بن عمر. ابن قتيبة: المعارف، ص، ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 167؛ المقريزي: النقود القديمة الإسلامية، رسائل المقريزي، ص164.

(677) ابن الأثير: الكامل، ج4، ص 167.

(678) أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، ص181.

(679) المقريزي: النقود القديمة الإسلامية، ص165.

وفي عهد المأمون (198-218هـ/ 813-833م)، كتب اسم «القدس» على النقود بـدلاً مـن اسمها القديم «إيليا» وهو من التغيرات المهمة الطارئة على النقود في ذلك العهد[680].

وبعد مقتل المتوكل، وتغلب الموالي من الأتراك أصاب الأقاليم الاضـطراب، «فقـوى عامـل كـل جهة على ما يليه، وكثرت النفقات وقلت المجابي بتغلب الولاة على الأطراف، وحدثت بدع كثيرة مـن جملتها غش الدراهم»[681]. وهو ينسحب على فلسطين التي شهدت اضطرابات سياسـية في تلـك الفتـرة كما مر في الفصل الأول من الدراسة.

ولما قدم المنصور عام (141هـ/ 758م) لزيارة بيـت المقـدس، طلـب منـه أهلهـا إصـلاح المسجد الأقصى من الأضرار التي لحقت به نتيجة زلـزال عـام (130هــ/ 748م)، «فقـال: مـا عندي شيء من المال، ثم أمر بقلع الصفائح الذهب والفضة التي كانت عـلى الأبـواب، فقلعـت وضربت دنانير ودراهم، أنفقت عليه حتى فرغ»[682].

(680) سليم عرفات المبيض: النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية، ص157.

(681) المقريزي: النقود القديمة الإسلامية، ص166.

(682) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل، ج1، ص281.

ويبدو من نصوص متفرقة في المصادر، أن الدنانير كانت أساساً لتعاملات الفلسطينيين المالية المهمة، مثل ارتفاع بيت المال[683]، والخراج[684] والجزية[685] وضرائب التجارة السنوية[686]، كما أن والد المحدث الفلسطيني أبو عمير بن النحاس الرملي، استقرض دنانير للمحدث الوليد بن مسلم، ليحج من الرملة، عام (194هـ/ 810م) [687]. وتعود ندرة الدراهم في فلسطين، لأنها كانت تتبع في نظامها النقدي قاعدة الذهب، حين الفتح، وقد بقيت واقعة تحت تأثيرها لمدة طويلة، استمرت حتى فترة متأخرة جداً من القرن الثالث الهجري، إذ من المؤكد أن أول ضرب مؤكد للدراهم العباسية من ضرب فلسطين ظهر عام (293هـ/ 905م)[688]. وهو ما أشار إليه الجاحظ (ت:255هـ/ 869م) بأن «الشامات وأشباهها، الدينار والدرهم بها عزيزان»[689].

وكانت دور الضرب في فلسطين – فترة الدراسة- مقتصرة على ضرب الفلوس النحاسية، أما ما تحتاجه من دنانير ذهبية ودراهم فضية فكانت تأتيها مركزياً من الخلافة، وهذا الأمر لم يرد صريحاً في نصوص المصادر، لكنه استنتاج بعض الباحثين[690].

(683) ينظر: جدول ارتفاع جند فلسطين من هذا المبحث.

(684) البلاذري: فتوح البلدان، ص163.

(685) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص225.

(686) Bernard The Wise: The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.26.

(687) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج19، ص225.

(688) يوسف سعيد النتشة: سكة فلسطين منذ قيام العباسيين حتى استقلال الطولونيين، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين»، ج2 (جغرافية فلسطين وحضارتها)، ص539-540.

(689) البلدان، ص503.

(690) يوسف سعيد النتشة: سكة فلسطين منذ قيام العباسيين حتى استقلال الطولونيين، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين»، ج2 (جغرافية فلسطين وحضارتها)، ص542.

ورغم زيادة دور ضرب الفلوس في العهد العباسي، حيث بلغت -وفق ما أمكن حصره- ثلاثة وثمانين داراً، بينما أحصي في عهد الأمويين ثلاثة وخمسين[691]، إلا أن فلوس فلسطين العباسية أقل بكثير من نظيرتها الأموية، وربما يكون السبب في ذلك تراجع الدور السياسي للشام بشكل عام في ظل انتقال عاصمة الخلافة منها إلى العراق[692].

وقد نشر د. ناهض عبد الرزاق القيسي، في كتابه الفلس العربي الإسلامي، نقلاً عن بعض المجموعات، اثنين وعشرين فلساً غطت فترة الدراسة. ومن نماذج الفلوس المنشورة:

(1) **فلس ضرب الرملة عام (200هـ/ 815م)**[693]

| | |
|---|---|
| | لا إله إلا |
| **مركز الوجه:** | الله وحده |
| | لا شريك له |
| **الطـــوق:** | بسم الله مما أمر به الأمير سعيد بن السرح |
| | محمد |
| **مركز الظهر:** | رسول |
| | الله |
| **الطـــوق:** | ضرب هذا الفلس بالرملة على يدي أبي الريان |

(691) A. L.Udovitch: Fals, Encyclopedia of Islam, vol.2, p.769.

(692) يوسف سعيد النتشة: سكة فلسطين منذ قيام العباسيين حتى استقلال الطولونيين، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين»، ج2 (جغرافية فلسطين وحضارتها)، ص540.

(693) ص113.

(2) **فلس ضرب بيت المقدس عام (217هـ/ 832م)**[694].

| | |
|---|---|
| | لا إله إلا |
| **مركز الوجه:** | الله وحده |
| | لا شريك له |
| | محمد |
| **مركز الظهر:** | رسول |
| | الله |
| | صالح |
| **الطـــوق:** | بسم الله ضرب هذا الفلس بالقدس |

ومن خلال الفلوس المنشورة، يمكن الحصول على معلومات فريدة، منها وجود دور ضـرب في كل من الرملة[695]، وبيت المقدس، ولد، وغزة، وعسقلان، وقيسارية[696]، حيـث نقـش اسـمها على الفلوس ضمن جملة «ضرب هذا الفلس في ...»، وعليه نستنتج وجود دور ضـرب أخـرى في باقي الكور.

وحملت الفلوس المنشورة معلومات فريدة عن أسـماء نظـار دور الضـرب مثـل أبـي الريـان (200هـ/ 815م)، وحارا دينار (205هـ/ 820م)[697].

(694) ص117.

(695) يذكر د. القيسي أن الرملة هي رام الله، وهذا خطأ بيِّن، فالمدينتان مختلفتان صقعاً ووضعاً.

(696) ينظر: ناهض عبد الرزاق القيسي: الفلس العربي الإسلامي، ص112-119.

(697) المرجع نفسه، ص113.

وبذلك يتضح دور التنظيمات المالية في حفظ الاستقرار الاقتصادي، وصيانة الحقوق العامة، فضلاً عن تحقيق العدالة الاجتماعية، وما كان الظلم يقع لولا مخالفة الجهات التنفيذية لتلك الأنظمة.



تاريخ فلسطين في العصر العباسي

## الفصل الثالث

# المجتمع والاقتصاد في فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر

# المبحث الأول
# عناصر السكان

تميز المجتمع الفلسطيني عبر تاريخه، بتنوع وتعدد عناصره، وانقسم السكان فترة الدراسة من حيث العرق إلى فئتين؛ أكثرية من العرب وأقلية من العجم[698]، أو ما تسميهم بعض المصادر بالنبط أو الأنباط[699]، وهم من السكان المحليين الذين كانوا يتكلمون خليطاً من اللغات واللهجات السريانية والآرامية[700]. وتحدث اليعقوبي عن وجود هؤلاء العجم في كل من الرملة ونابلس[701].

أما من حيث الدين، فكانت الأغلبية السكانية من المسلمين، وأقلية من أهل الذمة تمثلت في النصارى واليهود والسامرة، ولم يكن في فلسطين مجوساً أو صابئة[702]، ويمكن الوقوف على تفصيل ذلك بالشكل التالي:

(698) اليعقوبي: البلدان، ص 116.

(699) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص150؛ ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص279؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص355.

(700) محمد عيسى صالحية: القدس في صدر الإسلام، القدس عبر العصور (تحرير: زيدان كفافي وآخرون)، ص57.

(701) البلدان، ص 116.

(702) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص179.

**أولاً: المسلمون.**

ووفقاً للمصادر، فإنهم خلال فترة الدراسة، كانوا من الفئات التالية:

**أ. العرب.**

وهم من نسل القبائل العربية التي كانت تعيش في فلسطين قبل الفتح الإسلامي وأسلمت بعده، أو تلك التي قدمت إلى فلسطين ضمن جيوش الفتح واستقرت بها، أو قدمت عبر موجات الهجرة التلقائية والرسمية التي تدفقت على الشام خلال العقود الأولى من صدر الإسلام[703].

وفي ظل خلو المصادر من إشارات عن حركة هجرة عربية، واسعة ومنظمة، نحو فلسطين خلال فترة الدراسة، يمكن القول بعدم حدوث تغير جوهري في البنية السكانية عما كانت عليه في صدر الإسلام.

ويمكن الوقوف على أهم القبائل العربية التي شكلت الأغلبية السكانية في فلسطين فترة الدراسة، وتحديد أماكن استقرارها كالتالي:

(703) عن القبائل العربية التي استقرت في الشام قبل الفتح وبعده ومواطنها ومواقفها، انظر: محمد عزب دسوقي: القبائل العربية في بلاد الشام، ص25-60، 123-204.

(1) **لخم:** يمانية، استقرت في أماكن متفرقة من فلسطين، وأكثرها بين الرملة وحدود مصر، كما استقرت في القرى المحيطة بالرملة وفيما بينها وبين نابلس، كما استقروا في منطقة زُغَر.[704]، ووردت إشارات عن سكنى جماعات منهم في غزة[705]، والمغار من قرى فلسطين الجنوبية[706].

(2) **جذام:** يمانية، وكانت مع لخم تشكل أكثرية العرب في الشام وفلسطين، كان لهم وجود قوي في غزة، حتى أنها عرفت بهم، فوصفت بأنها «موضع بديار جذام»[707]، وممن سكنها من جذام، بنو أسلم[708]. وكان عامة أهل بيت جبرين من جذام[709]. وقد استقصى الباحث مصطفى مراد الدباغ أماكن الجذاميين، ثم ذكر «وهكذا نرى أن بني جذام نزلوا فلسطين واستقروا فيها من أقصاها إلى أقصاها»[710].

(704) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص130، 131.

(705) ابن حبان: الثقات، ج5، ص198.

(706) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص130؛ ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص160.

(707) البكري: معجم ما استعجم، ج3، ص997؛ الحميري: الروض المعطار، ص428.

(708) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص15.

(709) اليعقوبي: البلدان، ص117.

(710) القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين، ص114.

(3) **عاملة:** يمانية، وكانت من القبائل العربية الكبيرة التي سكنت فلسطين قبل الإسلام[711]، وحافظت على موقعها بعد الفتح[712]، وانتقلت إلى جبال الجليل الشمالية، وعرفت باسمهم منطقة جبل عاملة[713]. كان منهم واليها ثعلبة بن سلامة العاملي، الذي ولي الأردن لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ورافقه في دخوله فلسطين، حين مطاردته من العباسيين عام (132هـ/ 750م)[714].

(4) **بنو كندة:** يمانية وكندة هو ثور بن عفير بن عدي، ابن أخي لخم وجذام[715]، استقروا في أجزاء مختلفة من فلسطين[716].

(5) **طيء:** يمانية، وقد استقروا بعد الفتح في جنوب فلسطين[717]، فكانت منهم بنو الثِّعل ومساكنهم في عبسان من داروم غزة[718]، وكذلك من بطونها جرم التي سكنت غزة والداروم والخليل[719].

ومن القبائل اليمانية الأخرى كلب وخثعم والأزد الذين سكنوا أواسط فلسطين[720]، أما القين، وغسان وسليح وهمدان وبنو الأشعر وحمير ومذحج وعك، قد استقرت هي وبطونها على امتداد مدن وقرى فلسطين[721].

---

(711) محمد عزب دسوقي: القبائل العربية في بلاد الشام، ص189.
(712) اليعقوبي: البلدان، ص117.
(713) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص129؛ القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص111.
(714) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص354.
(715) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ج2، ص425.
(716) اليعقوبي: البلدان، ص117.
(717) محمد عزب دسوقي: القبائل العربية في بلاد الشام، ص188.
(718) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص130، 131.
(719) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص15.
(720) نبيه عاقل: فلسطين من الفتح العربي إلى أواسط القرن الرابع الهجري، الموسوعة الفلسطينية، ق2، ج2، ص296.
(721) عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص49-67.

واشتهرت من القبائل القيسية في فلسطين كنانة[722]، وكانت ديارهم مجاورة لديار لخم في القرى حول الرملة[723] مثل السافرية[724]، وسكن بعض منهم بيت المقدس، مثل الصحابي واثلة بن الأسقع[725]، وسكنوا على امتداد المسافة بين الرملة ونابلس، «ولهم أيضاً ما جاز تبوك إلى زغر والبحيرة الميتة»[726]. ومن القبائل القيسية الأخرى التي سكنت فلسطين، بنو سليم وبنو مرة، وبنو عبس، وربيعة، وقريش[727].

أما الأنصار، فقد استقر معظمهم في بيت المقدس، وفي عام (130هـ/ 748م)، ضرب بلاد الشام زلزلة عنيفة، تركزت في المناطق الساحلية[728]، أدت لقتل الآلاف، وتهدمت بسببها الكثير من الكنائس والأديرة المحيطة ببيت المقدس[729]، وتوفي فيها كثير ممن كان في بيت المقدس «من الأنصار وغيرهم»، وطالت الزلزلة أولاد الصحابي شداد بن أوس (ت: 64هـ/ 683م)، فتهدم المنزل الذي كان فيه ابنه محمد بن شداد على كل من كان فيه من أهله وولده فتوفوا جميعا، وسلِم هو بعد أن فقد رجله تحت الردم، وكان أبناء شداد يحتفظون بزوج من نعال النبي صلى الله عليه وسلم، ورثوها عن أبيهم، فلما قدم الخليفة العباسي المهدي إلى بيت المقدس عام (163هـ/ 779م)، قابلته أخت محمد، خزرج بنت شداد، وأعطته أحد زوجي النعل التي كانت أخذتها من أخيها محمد بعد إصابته وموت أبنائه، فأكرمها المهدي وأعطى أبناءها من الضياع، وأجرى عليهم العطاء، وأرسل إلى محمد بن شداد، فأكد صدق خبر النعل، وعندما طلب منه المهدي زوج النعل الأخرى، بكى محمد بن شداد واسترحمه وناشده بقرابته من رسول الله صلى الله عليه و سلم ألا يسلبه هذه الكرامة، فرقَّ له المهدي وأبقاها عنده[730].

(722) اليعقوبي: البلدان، ص117.

(723) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص131.

(724) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص171.

(725) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص407.

(726) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص131.

(727) عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص32-39.

(728) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص105-106.

(729) Theophanes: The chronicle of Theophanes, p.112.

(730) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج22، ص409-410.

وإن كان خضوع فلسطين للعباسيين لم يغير من واقع البنية السكانية وتوزيعها، وبقيت الأكثرية للقبائل اليمانية، التي حافظت على مكانتها بالتوالد، إلا أنه ومن خلال دراسة التاريخ السياسي والإداري لهذه المرحلة[731]، يمكن ملاحظة تراجع الدور الذي لعبه عرب فلسطين في هذه المستويات مقارنة بالعصر الأموي[732]، وذلك كأحد نتائج سياسة الإهمال التي انتهجها العباسيون تجاه بلاد الشام بشكل عام، ويمكن تدعيم هذه الملاحظة بإعادة قراءة جدول ولاة جند فلسطين الذي كاد يخلو من أي فلسطيني[733]، سوى سعيد بن السرح الكناني الذي كان تعيينه على فلسطين جزء من الفتنة الدائرة بين الأخوين الأمين والمأمون، فقد كان والياً على اليمن ثم عزله الأمين، فخرج منها إلى فلسطين فاتخذ الدور والضياع[734]. فعينه المأمون والياً عليها، وقد نقش اسمه على فلوس ضربت في الرملة عامي (200هـ/ 815م)، و(205هـ/ 820م)[735].

وكان أكثر المتضررين من سياسة العباسيين تلك، القبائل اليمانية، التي فقدت مركزها بادىء الأمر لسيطرة العباسيين على فلسطين وتولية أمرها لأفراد البيت العباسي فقط، ثم فقدت الأمل في عودة قريبة إلى الصدارة في أوائل عهد الخليفة المنصور (136-158هـ/ 154-775م)، لما فشل تمرد القائد اليماني الحكم بن ضبعان في فلسطين، حين كان أحد قادة ثورة عبد الله بن علي العباسي في بلاد الشام، وانتهى الأمر بقتل الحكم[736] وثلاثة آلاف من أصحابه[737].

(731) ينظر: الفصل الأول والثاني من الدراسة.

(732) حول دور أهل فلسطين في الحياة السياسة في العهد الأموي، ينظر: هاني أبو الرب، تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، ص316-335.

(733) انظر: المبحث الثاني من الفصل الثاني من الدراسة.

(734) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص456؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص 163.

(735) انظر: ناهض القيسي: الفلس العربي الإسلامي، ص113، 114.

(736) البلاذري: أنساب الأشراف، ج9، ص323؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج15، ص10.

(737) الكندي: الولاة والقضاة، ص 103-104؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص331-332؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص306.

وبعد ما يقارب القرن من تمرد الحكم، أثناء خلافة المعتصم (218-227هـ/ 832-842م) وتحديداً في العام الأخير منها، قامت في فلسطين ثورة قادها أحد اليمانية عُرف بأبي حرب المبرقع، لكن اليمانية لم تسارع للانضمام للثورة، إلا بعد أن كبرت وقويت، يقول الطبري: «لما كثرت غاشيته وتباعه من هذه الطبقة من الناس [أي من الفلاحين والحراثين]، دعا أهل البيوتات من أهل تلك الناحية فاستجاب له منهم جماعة من رؤساء اليمانية»[738][739].

ويبدو أن سياسة الإهمال التي انتهجها العباسيون كان لها كبير الأثر في تقليل حدة الفتن القبلية، إذ كادت الفرص تنعدم التي من الممكن أن تثير التنافس بينهم، فقلت الإشارات الواردة عن فتن بين القبائل، سوى ما أشار إليه اليعقوبي بإيجاز ضمن حوادث عام (257هـ/ 870م) من فتنة بين اليمانية أنفسهم، حيث «وقعت عصبية بفلسطين بين لخم وجذام أخذت من الفريقين»[740].

**ب. الموالي.**

وهم أفراد وجماعات نسبت لغيرها من القبائل والأفراد، وكانوا ينتسبون إليهم بعد عتقهم من العبودية، أو تحريرهم من الأسر، أو يكونوا ضعافاً فيعقدون ولاءهم لمن هو أقوى منهم من القبائل فيتمتعون بالحماية والجوار[741]، وممن عُدَّ من الموالي، المسلمون من غير العرب الذين كانوا في فلسطين قبل الفتح وتحالفوا مع القبائل العربية لتثبيت مكانتهم في المحيط الاجتماعي، فكانوا يوالونهم ويتعاونون معهم، ويعدون أنفسهم جزءاً منهم[742].

(738) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص269.

(739) لتفاصيل أوفى عن تمرد الحكم وثورة أبي حرب، انظر: المبحث الثالث من الفصل الأول من الدراسة.

(740) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص509.

(741) ابن خلدون: المقدمة، ص135؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، ص366.

(742) مصطفى مراد الدباغ: الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، ص146.

وقد خلَّف عهد بني أمية وغيرهم من القبائل، مجموعات من الموالي، وكان موالي بني أمية محل إعجاب لدى العباسيين، واعتبرهم الخليفة المهدي مما تفوق به الأمويون عليهم[743].

ومن موالي الأمويين الذين انتشروا في فلسطين في العصر العباسي، أبو يزيد يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي (ت:152هـ/ 768م)، «نسبوه في موالي بني أمية»، وابن أخيه عنبسة بن خالد بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي (ت: 197هـ/ 812م)، وهما من علماء الحديث في أيلة[744].

وقد مر ذكر جندَي فلسطين والأردن، عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو الأموي (ت:245هـ/ 859م)، الملقب بدحيم بن اليتيم، وهو من موالي بني أمية[745].

وكان من الموالي، عالم الحديث عثمان بن عطاء الخراساني (ت:155هـ/ 771م)، مولى آل المهلب بن أبي صفرة[746]، واشتهر منهم الفقيه والمحدث ضُمرة بن ربيعة (ت:202هـ/ 817م)، «مولى آل عتبة بن ربيعة»[747]، وعالم الحديث آدم بن إياس العسقلاني (ت:220هـ/ 835م) كان مولى لبني تميم[748].

وكان هناك موالي الإسلام مثل بني نبه والأزرق من الروم، وبني روبيل من اليهود، وهم «من عجم الشام ممن كان رغب في الإسلام من قبل اليرموك، ومن أهل قيسارية وغيرهم»[749]، وبعد إسلامهم شاركوا في فتح مصر، مع عمرو بن العاص[750].

(743) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج2، ص247؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص173؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص283.

(744) السمعاني: الأنساب، ج1، ص237-238.

(745) ينظر ترجمته في: ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص266؛ وكيع: أخبار القضاة، ج3، ص241؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص457-458؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج54، ص75؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص265؛ المزي: تهذيب الكمال، ج16، ص500؛ ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص123، 212؛ أبو يعلى الخليلي: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ج1، ص450؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص292.

(746) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج38، ص447.

(747) المصدر نفسه، ج24، ص404، 414.

(748) المزي: تهذيب الكمال، ج2، ص301.

(749) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص298.

(750) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص146.

وقد تزايد الموالي بشكل ملحوظ في العصر العباسي، واحتوت الجيوش العباسية أعداداً كبيرة منهم، واستقروا في مختلف أنحاء بلاد الشام، وكان لتكليف العباسيين للموالي في إدارة الأمور في بلاد الشام أثراً كبيراً في تزايد أعدادهم[751]، وبرز منهم منذ عهد المعتصم (218-227هـ/ 832-842م)، الأتراك؛ الذين أصبحوا كبار الإداريين، وتملكوا المنازل والضياع[752].

وانخرط الموالي في المجتمع، رغم عدم خلو الأمر من نظرة انتقاص لهم، إذ لم يعدوا عرباً خلصاء[753]، فعندما زار أبو جعفر المنصور بيت المقدس في عام (141هـ/ 785م)، وقابله هناك العالم الليث بن سعد (ت: 175هـ/ 791م)، أعجب المنصور بما رأى من شدة ذكائه، فعرض عليه أن يوليه إمارة مصر، فاعتذر الليث متعللاً بضعفه، وأنه «رجل من الموالي»[754].

وكان من الموالي التجار والكتاب والفلاحون والصناع والعمَّال، ومنهم من برز في الجيش وفي العلوم الإسلامية والعربية وسواها، وقد انتسب بعضهم إلى القبائل التي والاها فصار يسمى بالطائي والشيباني والتميمي إلى آخر ذلك بالولاء[755].

(751) نبيه عاقل: فلسطين من الفتح العربي إلى أواسط القرن الرابع الهجري، الموسوعة الفلسطينية، ق2، ج2، ص299.

(752) إحسان عباس: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، ص134.

(753) ابن خلدون: المقدمة، ص135-136.

(754) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص308.

(755) مصطفى مراد الدباغ: الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، ص146.

**ج. الوافدون من الزهاد والمرابطين والعلماء.**

شهدت فترة الدراسة قدوم عدد كبير من المسلمين الوافدين إلى فلسطين وبيت المقدس للاستقرار بها، والعيش فيها، وقد تنوعت أصنافهم وغاياتهم، فكان منهم الزهاد والمتصوفة، الذين تضافرت عوامل عدة شجعت على قدومهم إلى فلسطين، منها: عظيم أجر الصلاة في المسجد الأقصى، وانتشار أحاديث فضائل الشام بالعموم وفلسطين والأقصى على الخصوص، ومن هذه الأحاديث، قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا»[756].

ويبدو أن رغبتهم في فلسطين ليكونوا الأقرب إلى الخلاص من الدنيا وفتنها، ففي الحديث أنها ستكون أرضاً للمحشر والمنشر[757]، وتعددت وانتشرت الأحاديث التي ترغب في الإقامة في بيت المقدس وقرب المسجد الأقصى لدرجة أن بعضها جعلت من يدفن في بيت المقدس فكأنما دفن في السماء وغيرها الكثير الذي يعلي من شأن الإقامة ويضمن للمقيم فيها الرزق والشهادة فضلاً عن دخول الجنة[758]. وقد أحصى أحد الباحثين ستة من الكتب التي أُلفت في فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى خلال فترة الدراسة، وخصوصاً في القرن (3هـ/ 9م)[759].

(756) البخاري: الجامع الصحيح، ج3، ص43؛ مسلم: صحيح مسلم، ج4، ص126؛ ابن حنبل: المسند، ج12، ص116.

(757) ابن حنبل: المسند، ج45، ص597.

(758) انظر: ابن الجوزي: تاريخ بيت المقدس، ص65.

للمزيد حول مكانة فلسطين ومقدساتها عند المسلمين، ينظر: الضياء المقدسي: فضائل بيت المقدس، ص39-96؛ الشهاب المقدسي: مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ص65-105؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص226-240.

(759) شهاب الله بهادر: معجم ما ألف في فضل وتاريخ المسجد الأقصى، ص19 وما بعدها.

وقدم العابد المجاهد إبراهيم بن أدهم (ت:161هـ/ 778م)، إلى فلسطين من بلخ بعد أن كان من أمرائها، قدم فلسطين ، وطاف مدنها طلباً للحلال، يبحث عن قوت يومه، فأقام بعكا وعسقلان وغيرها من مدن وثغور الشام[760]، وكان «مرابطاً غازياً يصبر على الجهد الجهيد والفقر الشديد»[761].

كما كان لتعدد مواضع الثغور والرباط، أثر واضح في جلب أعداد كبيرة من المتطوعة للمرابطة في الثغور البحرية، مثل: قيسارية وأرسوف ويافا عسقلان وغزة[762]، وشجع على هذه الحركة ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة من فضل المرابطة في هذه الثغور، حتى أن بعضها ذكر مواضع وثغور محددة، ونقل ابن الفقيه (ت: نحو 340هـ/ 951م)، عن عمر بن الخطاب قوله: «لولا أن تعطَّل الثغور وتضيق عسقلان بأهلها لأخبرتكم بما فيها من فضل»[763].

وكذلك وفد إلى فلسطين واستقر بها عدد كبير من العلماء يطلبون العلم ويعلمون الناس والطلبة، وهو ما سيتضح في الفصل التالي.

وفي تلخيص للحالة الدينية لأهل فلسطين ذكر البشاري المقدسي أن «مذاهبهم مستقيمة، أهل جماعة وسنة»[764].

(760) أبو نعيم: حلية الأولياء، ج7، ص368 وما بعدها.

(761) ابن حبان: الثقات، ج6، ص24.

(762) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص255؛ قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص188؛ وعن الرباط في عسقلان ينظر: البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص940.

(763) مختصر كتاب البلدان، ص103.

(764) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص179.

ومن خلال العرض السابق، نكون قد وقفنا على غالبية العناصر العربية وغير العربية التي كونت الأغلبية السكانية من المسلمين خلال فترة الدراسة، وتبيَّن استمرار جاذبية العامل الديني ودوره في جذب عناصر جديدة إلى المجتمع، رغم ما طرأ من تغير في نظام الحكم، واختلاف في المكانة السياسية، وبعد عن حاضرة الخلافة.

### ثانياً: أهل الذمة:

تألف أهل الذمة في فلسطين من ثلاث مجموعات دينية، هي النصارى والسامرة واليهود، ولم يكن في فلسطين مجوساً أو صابئة[765]، وتفصيل الحديث عنها كالتالي:

#### أ. النصارى.

بعد أن أتم المسلمون الفتح، «انتهى العهد الوحيد الذي كان فيه النصارى أكثرية ساحقة في فلسطين، كما تعرّب نصارى فلسطين مع مرور الزمن»[766]. وهو خلاف ما يذكره الباحث خليل عثامنة، متابعاً في ذلك فيليب حتي، ببقاء النصارى غالبية سكانية طوال القرون الثلاثة التي أعقبت الفتح[767].

ويمكن القول أن أعداد النصارى بدأت في التناقص نتيجة تضافر عدة عوامل، منها:

(1) إسلام معظم القبائل العربية التي كانت مقيمة قبل الفتح[768].

(2) إسلام بعض القبائل والجماعات غير العربية كبني الأزرق وبني نبه[769].

(765) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص179.

(766) Kildani, Modern Christianity in the Holy Land, p.4.

(767) فلسطين في خمسة قرون، ص143.

(768) محمد عزب دسوقي: القبائل العربية في بلاد الشام، ص160.

(769) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص146؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج1، ص298.

(3) كما ساهم في ذلك مقتل وهروب[770] وجلاء أعداد كبيرة من الجاليات والحاميات الرومية (البيزنطية) بعد الفتح، كما نصت اتفاقيات الصلح، ومنها العهدة العمرية التي جاء فيها «وعليهم [أي أهل إيلياء] أن يخرجوا منها الروم واللصوت [اللصوص]، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن»[771].

وفي ذلك يقول الأب د. حنا كلداني: «من الثابت أنه بعد الفتح العربي تمّ جلاء العنصر البيزنطي من فلسطين، إلا أنه لا يجوز المبالغة في ذلك، فقد احتفظت فلسطين بعدد من سكانها اليونانيين في المدن الساحلية»[772].

(4) ومن العوامل المهمة التي أدت لتناقص أعداد النصارى، تتابع هجرة القبائل العربية المسلمة من الجزيرة، كذلك موجات إسلام واسعة لاحقة، مثل إسلام كثير من نصارى بيت المقدس أثناء خلافة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/ 717-720م)[773].

ويمكن الوقوف على العناصر غير العربية التي شكلت طائفة النصارى، من اللغات التي كانت تقرأ بها مزاميرهم، فحسب المصادر النصرانية المعاصرة لفترة الدراسة، فإن النساك الذين عاشوا في الصوامع على جبل الزيتون (طور زيتا)، كان منهم أحد عشر فرداً مهمتهم قراءة المزامير باليونانية، وستة لقراءتها بالسريانية، وخمسة باللاتينية، وأربعة بالجرجانية، واثنان بالأرمنية، وواحد بالعربية[774].

وذكر برنارد الحكيم (Bernard The Wise) الذي زار فلسطين عام (253هـ/ 867م)، وجود دير باسم القديس جورج[775]، في مدينة لُد (Diospolis)[776]، وقد كان المشرف على بناء الرملة في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك كاتب نصراني من أهل لُد[777].

(770) الواقدي: فتوح الشام، ج1، ص17، 19؛ المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص 28، 45،29، 53.

(771) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2، ص449.

(772) Kildani, Modern Christianity in the Holy Land, p.6.

(773) هاني أبو الرب: تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، ص207.

(774) S.D. Goitien: Al-Kuds – history, Encyclopedia of Islam, vol.5, p.726.

(775) The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.26.

(776) Willibald, The Travels of Willibald, A.D 721-7227, Early Travels in Palestine, p.20.

(777) البلاذري: فتوح البلدان، ص 149.

وقد أسهب برنارد الحكيم في وصف كنائس القدس، متحدثاً عن أربع كنائس مرتبطات ببعض تم بناؤها تبعاً للجهات الأربع(778)، وتحدث عن كنيسة القديس سيمون المقامة على جبل صهيون، وبقربها كنيسة أخرى باتجاه الشرق، وعلى الجبل المجاور لقرية بيت عينا من أعمال بيت المقدس، أقيم دير وفيه الكنيسة التي بها قبر لازورس(779). أما ويلبالد (Willibald) الذي زار فلسطين في الفترة (103-108هـ/ 721-727م)، فذكر عددا أكثر من الكنائس في بيت المقدس، في وادي جهنم وعلى جبل طورزيتا، وأخرى على جبل الجلجلة(780).

وفي بيت لحم، وُصفت كنيسة القديسة مريم بأنها «كبيرة جداً» ووصف سرداباً فيها(781)، وقد وصفها البشاري المقدسي (ت: نحو 380هـ/ 990م) بأنه «ليس بالكورة مثلها»(782)، وهي تعرف اليوم باسم كنيسة المهد(783). وعلى بعد ميل من بيت لحم كان دير الرعاة المقدسين(784).

وكان في قيسارية كنيسة، وحشد من النصارى(785). وفي غيرها من المدن الساحلية تواجد أعداد من النصارى في غزة وميناءها ميماس، وكذلك عسقلان(786).

وفي تقرير عن المعاهد الدينية في الأرض المقدسة يعود تاريخه إلى عهد هارون الرشيد (170-193هـ/ 786-808م)، ذكر فيه أنه يوجد في الناصرة دير واثنا عشرة راهباً، وعلى بعد ميل منها دير وكنيسة فيهما ثماني راهبات(787).

---

(778) The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.26.

(779) Ibid., p.28.

(780) Travels of Willibald, Early Travels in Palestine, p.17-18.

(781) The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.29.

(782) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص172.

(783) Gil, A history of Palestine, 634-1099, p.446.

(784) The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.29.

(785) Willibald, The Travels of Willibald, Early Travels in Palestine, p.17.

(786) Gil, A history of Palestine, 634-1099, p.446.

(787) القس أسعد منصور: تاريخ الناصرة، ص40-41.

ومما يجدر ملاحظته، أن كثرة الكنائس التي ظلت قائمة، لا يعني أغلبية سكانية لأهلها، إنما هي من بقايا العهد البيزنطي(788)، ويظهر ذلك جلياً في الأسماء والأحداث التي ارتبطت بها، والواردة في رحلتي ويلبالد وبرنارد الحكيم سابقة الذكر.

وظل النصارى يمارسون شعائرهم وطقوسهم الخاصة بهم طوال فترة الدراسة، ومنها تعيين بطريركاً لكرسي بيت المقدس، كما يظهر من مواضع عدة في تاريخ ابن البطريق(789).

وقد تعددت مذاهب نصارى الشام، واشتهر بينهم مذهبا اليعاقبة (Jacobites) والملكانية (The Orthodox Chalcedonian). وقد اختلفوا حول طبيعة المسيح بين اللاهوت والناسوت أي الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، فكان اليعاقبة من القائلين باتحاد الطبيعتين(790)، وكان أغلب نصارى فلسطين من اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح، على خلاف الملكانية التي اتبعت كنيسة القسطنطينية(791)، وتعد ملكانية فلسطين رغم صغرها من أكبر الطوائف الملكانية في الشام(792)، وقد كانت هذه الطوائف في حالة من العداء والكراهية لبعضهم، وعدت كل طائفة مخالفيها من الهراطقة المبتدعة(793).

(788) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص19.

(789) التاريخ المجموع، ص49، 54، 60، 61، 62،

(790) نقولا زيادة: فلسطين من الإسكندر إلى الفتح العربي الإسلامي، الموسوعة الفلسطينية، مج2، ص212.

(791) إحسان عباس: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، ص132؛ خليل عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص131؛ Kildani, Modern Christianity in the Holy Land, p.4.

(792) إحسان عباس: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، ص132.

(793) يعقوب الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ص117.

### ب. السامرة.

لقد اهتمت المصادر العربية بتوفير معلومات عنهم، وإجمالاً لهذه المعلومات، فإن السامرة إحدى طوائف اليهود، وبعض اليهود يعدهم مبتدعة أو كفاراً[794]، ويتميزون بأن لهم اعتقادات وطقوس دينية واجتماعية تخالف سائر اليهود[795].

وتتخذ السامرة من جبل جرزيم (كريزيم)[796] أو (غريزيم)[797] بنابلس قبلة لها[798]، وتعتقد أن نابلس هي بيت المقدس[799].

وعن تواجدهم وأعدادهم فترة الدراسة، فقد كان مركزهم الأساسي وأكثر تواجدهم في نابلس، حتى عدتها بعض المصادر «مدينة السامرية»[800]، وذكر على وجه التحديد في قرية بيت ماما[801].

(794) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص110.

(795) الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص217-218.

(796) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص459.

(797) الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص218.

(798) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص110.

(799) المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص59؛ الاصطخري: مسالك الممالك، ص58.

(800) اليعقوبي: البلدان، ص116؛ الاصطخري: مسالك الممالك، ص58؛ المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص 58-59؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص159؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص200.

(801) البلاذري: فتوح البلدان، ص163.

ومن أماكن تواجدهم الأخرى يُبنا والرملة، ويفهم من نص اليعقوبي أنهم كانوا وحدهم المسموح لهم من أهل الذمة العيش في الرملة في (ق 2هـ/ 9م)، إذ ذكر أن الرملة «ذمتها سامرة» ولم يعدد معهم أحد من أهل الذمة[802]، أما ابن حوقل (ت:331هـ/ 942م)، فعند حديثه عن جند فلسطين لم يذكر من تعداد أهل الذمة فيه سوى أن في الرملة نحو خمسمائة سامري[803].

وأورد المسعودي أن في عام (332هـ/ 943م)، كان السامرة يسكنون «في قرى متفرقة، مثل القرية المعروفة بعارا، وهي بين الرملة وطبرية، وغيرها من القرى إلى مدينة نابلس»[804]. وقد وافقه البشاري المقدسي، فذكر أن تواجد السامرة في فلسطين ويمتد حتى طبرية من جند الأردن[805].

وذكر بنيامين التطيلي (ت:569هـ/ 1173م) أثناء زيارته لفلسطين، أنه كان في قيسارية نحو مئتين من السامرة،[806] أما في عسقلان فكانوا نحو ثلاثمائة[807]. ويبدو أن إقامتهم في عسقلان كانت بعد القرن الثالث، فاليعقوبي الذي عدد أماكن تواجدهم في كل من نابلس والرملة ويبنا، لم يذكر لهم وجوداً فيها[808]، ومن المحتمل أن تكون طائفة سامرية في قيسارية أثناء فترة الدراسة كامتداد لوجودهم بها قبل الفتح الإسلامي[809].

---

(802) البلدان، ص116.

(803) صورة الأرض، ص159.

(804) مروج الذهب، ج1، ص59.

(805) أحسن التقاسيم، ص179.

(806) رحلة بنيامين التطيلي، ص242.

(807) المصدر نفسه، ص261

(808) البلدان، ص116.

(809) البلاذري: فتوح البلدان، ص 147.

أما مذاهبهم، فوفق المصادر الإسلامية، هم صنفان مختلفان؛ أحدهم يقال له الكوشان (Kushanians)، والآخر الدوستان (Dustanians)[810]، وإن كانت المصادر المتاحة لا تبين سبب هذه التسميات، إلا أنها تفرق بينهما بأن الكوشانية يقرون بالآخرة وأن الثواب والعقاب فيها، أما الدوستانية فتعتقد أن الثواب والعقاب في الدنيا، فضلاً عن اختلافات أخرى في الأحكام والشرائع[811].

وفي فترة الدراسة وقع خلاف كبير بين الطائفة السامرية، وكان سبب ذلك أنهم اختلفوا على التقويم وتحديد موعد صيامهم، فانقسموا إلى قسمين، ثم حكَّموا بينهم مجموعة منهم رجحت صواب تقويم على آخر، وبذلك انتهى الخلاف بينهم[812].

**ج. اليهود.**

والمعلومات عن أعداهم وأماكنهم فترة الدراسة شحيحة للغاية، ويبدو أن أعدادهم في هذه الفترة كانت قليلة جداً، مقارنة بالسامرة، إذ ندر ذكرهم في المصادر المتاحة، وذلك أنهم كانوا منبوذين ومشتتين قبل الفتح الإسلامي، وقد نُقل عن المؤرخ اليهودي شاهين مكاريوس قوله: «إلى هنا ينتهي تأريخ الإسرائيليين كأمة، فإنهم بعد خراب أورشليم تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقي من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها أو نزلوا فيها ...وإن الرومانيين حظروا عليهم دخول أورشليم»[813].

(810) المصدر نفسه، ص163؛ المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص59؛ وانظر: التنبيه والإشراف، ص182.

(811) الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص217-218؛ وانظر:

Jams A. Montgomery, The Samarians, p.258.

(812) أبو الفتح السامري: كتاب التاريخ عن الآباء، ص183.

(813) محمود بن عبد الرحمن قدح: موجز تاريخ اليهود، مجلة الجامعة الإسلامية، ع107، ص260.

وأقرب الإحصاءات لفترة الدراسة عن أعداد اليهود ذكرها الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي (ت:569هـ/ 1173م) أثناء زيارته لفلسطين، فجميع ما عدده من يهود في مدن جند فلسطين يقل عن ألف شخص، كان توزيعهم كالتالي: الرملة (300)[814]، قيسارية (نحو200)[815]، بيت المقدس (200)[816]، عسقلان (200) من الرابيِّين أو الربَّانيين و(40) من القرائيين[817]. وتواجد أعداد قليلة جداً منهم كصباغين في كل من بيت لحم (أحد عشرة يهودياً)، وبيت جبرين (ثلاثة يهود)[818]، وفي لُد (يهودي واحد)[819]، وكذلك يافا (يهودي واحد)، ونوبا (يهودي واحد)[820].

وعليه يمكن التأكيد أن اليهود وخلال فترة الدراسة، كانوا أقل بكثير من الأعداد التي قدمها بنيامين التطيلي (ت:569هـ/ 1173)، التي من المفترض أنها نتيجة أكثر من ثلاثة قرون من التكاثر والتوالد، كما يمكن الاستنتاج أن تواجدهم الضعيف كان في قيسارية وبيت المقدس وعسقلان، فأما الرملة فكانت «ذمتها سامرة» خلال (ق3هـ/ 9م)[821].

(814) رحلة بنيامين التطيلي، ص261.

(815) ص242.

(816) ص248.

(817) ص262.

(818) ص 256.

(819) ص242.

(820) ص261.

(821) اليعقوبي: البلدان، ص116.

أما في بيت لحم وبيت جبرين ولد ويافة، فلا تدل أعدادهم ومهنتهم الموحَّدة كصباغين، على تواجدهم كفئات مستقرة أو طائفة دينية، وربما يكونوا انتقلوا من مدن أخرى وأقاموا مؤقتاً بهـذه المدن للعمل كصباغين، وقد ذكـر البشـاري المقدسـي قبـل بنيـامين التطـيلي بقـرنين، أن أكثـر الصباغين والدباغين في فلسطين من اليهود(822).

ولا تحفـل المصـادر بكثيـر أخبـار عـن اليهـود فتـرة الدراسـة، سـوى أنـه في حـوالي عـام (183هـ/ 800م) انتقل المجلس اليهودي الأعـلى المعـروف باسـم يشـيفا (Yeshiva) والـذي يرأسـه الغـاؤون (Gaon)، الـذي يماثـل البطـرك عنـد النصـارى، انتقـل مـن طبريـة إلى بيـت المقدس(823).

(822) أحسن التقاسيم، ص183.

S.D. Goitien: Al-Kuds – history, Encyclopedia of Islam, vol.5, p.726.(823)

أما مذاهبهم، فكان معظم يهود فلسطين على مذهب الرابيين (Rabbanites)(824)، واليهود الرابيون هم الذين لا يتقيدون بالعمل بالنصوص التوراتية، ويتبعون آراء الأحبار في أحكامهم(825).

وفي أوائل العهد العباسي، وتحديداً في خلافة أبي جعفر المنصور (136-158هـ/ 754-775م)، نشأت في العراق فرقة العنانية، على يد عنان بن داود رأس الجالوت (Exilarch)(826)(827)، وترجع بعض الروايات تأسيس العنانية إلى فشل عنان في الوصول إلى رئاسة الجالوت، بعد أن عُين أخوه في هذا المنصب بدلاً منه(828)، وهي الرواية التي تشكك في صحتها بعض المراجع اليهودية(829).

وذكر المقريزي في مخالفته لليهود سبباً آخر يبدو أنه الأقرب للصواب، وهو أن عنان كان من علماء يهود الشرق، وقدم إلى بغداد في عهد المنصور فوجد اختلافاً كبيراً بين ماعنده وعندهم ، «فتجرّد لخلافهم وطعن عليهم في دينهم، وازدرى بهم»(830).

(824) Gil, A history of Palestine, 634-1099, p.446.

(825) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج4، ص382.

(826) Leon Nemoy: Anan Ben David, Encyclopaedia Judaica, vol. 2, p.127; Gil, A history of Palestine, 634-1099, p778.

(827) **رأس الجالوت (Exilarch):** لقب رئيس الطائفة اليهودية في العراق قبل الفتح الإسلامي وبعده، وكلمة رأس الجالوت، هي اللفظ العربي للكلمة الأرامية ريش جالوتا (resh galuta) والتي تعني رئيس المنفى. Jacob Neusner: Exilarch Encyclopaedia Judaica, vol. 6, p.600

(828) يوسف رزق الله غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص104؛ Gil, A history of Palestine, 634-1099, p779.

(829) Lasker and Citonne : Karaites, Encyclopaedia Judaica,vol. 11, p.787.

(830) المواعظ والاعتبار، ج3، ص250.

وقد عرفت العنانية فيما بعد باسم القرائيين (Karaites)، وقد دعت إلى التمسك بالشريعة المكتوبة وحدها، ورفضت التلمود، وكانوا من المتشددين في ذلك[831]، أما ما ذكر في بعض الكتب والمراجع العربية والأجنبية من حدوث موجة هجرة للعنانية نحو فلسطين في أواخر القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي[832]، فهي معتمدة على مصادر متأخرة من القرائين، ولا تستحق التصديق، وربما انتقل بعض الأفراد من القرائين إليها أواخر فترة الدراسة في منتصف القرن الثالث للهجرة، بما يوافق الثلث الثاني من القرن التاسع[833].

لكن المؤكد أن نفوذ رئيس الطائفة في فلسطين لم يكن واسعاً كما في العراق، وأن فرقة القرائين لم تلق ترحيباً من اليهود هناك، حيث سافر هارون بن مئير رئيس طائفة الربانية في فلسطين (قبل: 338هـ/ 950م)[834] إلى العراق، «وجدَّ لدى الربانيين ليسعوا بما لديهم من الوسائل في دار الخلافة انتصاراً لفرقتهم»[835]. وتميز يهود فلسطين عن غيرهم من اليهود بأن «زعموا أن العزير ابن الله تعالى، وأنكر أكثر اليهود هذا القول»[836].

ونخلص من هذا إلى عدم حدوث تغير في أعداد السكان اليهود طيلة فترة الدراسة، وأنهم كانوا طائفة غير مؤثرة في غيرهم من طوائف اليهود المشتتين. وأن معظمهم كان من الرابيين.

وبعد هذا العرض، فقد باتت عناصر المجتمع الفلسطيني خلال فترة الدراسة واضحة، وتبين أيضاً التنوع العرقي والديني لمجموع السكان، مع محافظة المسلمين على أكثريتهم التي استمدوها من العرب، وأن اليهود كانوا أقل أهل الذمة عدداً وأثراً في المجتمع.

---

(831) Lasker and Citonne : Karaites, Encyclopaedia Judaica,vol. 11, p.787.

وانظر، عبد المجيد همو: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، ص111-113.

(832) يوسف رزق الله غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص104؛

; Albert M. Hyamson, Palestine, the Rebirth of an Ancient People, p.16

Lasker and Citonne : Karaites, Encyclopaedia Judaica,vol. 11, p.787.

(833) Eliyahu Ashtor and others: Jerusalim – Arab period, Encyclopaedia Judaica,vol. 11, p.156.

(834) Ibid,vol. 11, p.156.

(835) يوسف رزق الله غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص105.

(836) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج4، ص386.

# المبحث الثاني
# الأحوال العامة للمجتمع

### الكوارث الطبيعية وأثرها على المجتمع.

أصيبت فلسطين بعدد من الكوارث الطبيعية خلال فترة الدراسة، مما كان لـه الأثَّـر الواضـح على المجتمع في كافة النواحي، وتمثلت هذه الكوارث خلال فترة الدراسة بالزلازل والأوبئة.

وربمـا تكـون أول كـوارث هـذه الفتـرة، قـد حـدث في عهـد الخليفـة المنصـور (136-158هـ/ 154-775م)، حيث انفرد المؤرخ البيزنطـي ثيوفـانس (Theophanes)، بالحـديث عن زلزال قـوي ضـرب فلسـطين في (14 شـوال 139هــ/ 9 مـارس 757م)[837]، ولم يفصـل في أحداث هذا الزلزال أو نتائجه.

ومع أن هذا الزلزال وصف بأنه «ليس بالصغير»، يبـدو أنـه كـان بعيـداً عـن بيـت المقـدس، ففضلاً عن عدم ذكر المصادر الإسلامية له، فإن أهل بيت المقـدس طلبـوا مـن المنصـور أثنـاء زيارته الأولى لها في عام (141هـ/ 758م)، أن يصلح لهم المسجد الأقصى من أثـر زلـزال عـام (130هـ/ 747م)[838][839]، ولم يذكروا الزلزال الذي ذكره ثيوفانس (Theophanes).

---

(837) Theophanes: The chronicle of Theophanes, p.133.

(838) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، 281؛ الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص176.

(839) للمزيد حول زلزال عام (130هـ/ 747م)، ينظر: المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص105-106؛ ابـن عساكر: تاريخ دمشق، ج22، ص407-410؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج8، ص29؛ خالد الخالـدي: الـزلازل في بلاد الشام (القرن1-13هــ/ 7-19م)، مجلـة الجامعـة الإسـلامية، سلسـلة الدراسـات الإنسـانية، مـج13، ع1، ص71؛
Theophanes: The chronicle of Theophanes, p.112.

وحل بفلسطين زلزال ثان، أثناء خلافة المهدي في العام (158هـ/ 775م)[840]، وتأثرت به بيت المقدس، فتهدمت أجزاء من المسجد الأقصى، والإصلاحات التي أجريت في عهد المنصور، ويبدو أنه كان عنيفاً مما أدى لمقتل كثير من سكان بيت المقدس، وبالتالي أثر على عدد المصلين في المسجد الأقصى في حينه، فحين قدم الخليفة المهدي، لزيارة بيت المقدس في عام (163هـ/ 779م)، رأى أن المسجد قد «خلا من الرجال»[841].

ومن شدة الزلزال سقط جميع الجزء المسقوف من المسجد الأقصى، حتى قدر مستشارو الخليفة المهدي أن جميع ما في بيت المال لا يكفي لإعادته كما كان[842]، كما تأثرت كنيسة القيامة بهذا الزلزال[843]، ولا شك أن هذا الزلزال قد أثر على السكان بشكل أو بآخر.

ومن أشكال الكوارث الطبيعية التي حلت بأهل فلسطين، ما ذكره البلاذري عن «طاعون جارف» حدث في أول عهد الرشيد (170-193هـ/ 786-808م)، «ربما أتى على جميع أهل البيت»، وكان من نتائجه الأخرى أن تعطلت الأرض وتوقفت المزارع، لعدم وجود من يزرعها، فبعث الرشيد أحد قواده، وهو هرثمة بن أعين الذي استأجر المزارعين لفلاحتها وعمارتها، ونقلت ملكيتها إلى الدولة[844].

وتحدث أحد المصادر السامرية، عن غزو موجة من الجراد قبل خلافة الأمين (193هـ/ 809م)، «غطى وجه الأرض من البحر وإلى الأردن، وأكل كل ما على الأرض من خضير وعشب، ولم يبق شيء على وجه الأرض، وبقيت الأرض خالية»[845].

(840) عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص119.

(841) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، 281؛ الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص176.

(842) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص168.

(843) نعمان محمود جبران: القدس في العصرين العباسي والفاطمي، القدس عبر العصور، ص115.

(844) فتوح البلدان، ص163.

(845) أبو الفتح السامري: التاريخ عن الآباء، ص184.

وفي عهد المأمون (198-218هـ/ 813-833م)، اجتاحت أسراب الجراد فلسطين، فأصاب الناس الجوع الشديد، ومات كثير من الناس، وترك السكان بيت المقدس، ولم يبق فيها من المسلمين إلا النفر القليل، مما شجع بطرك كنيسة القيامة على اغتنام فرصة غياب المسلمين عن المدينة ليزيد في حجم قبة كنيسة القيامة خلسة(846). ولم يكن الأمر مقتصراً على بيت المقدس، فقد مات في هذا البلاء كاهن كبير من السامرة، وغيره من علمائهم وأئمتهم، وكان الناس لا تنفك عن حفر القبور على الطرق لدفن الموتى بشكل جماعات(847).

وهذه الأوبئة تعد قليلة في فترة الدراسة إذا ما قورنت بالعهد الأموي، فقد أحصى أحد الباحثين سبعة طواعين أصابت فلسطين في صدر الإسلام(848)، وهذا ما لاحظه الخليفة المنصور في أوائل العهد العباسي، حين قال لأحد قادة الشام مفتخراً: «ألا تحمدون الله تعالى إذ رفع عنكم الطاعون في ولايتنا!»(849).

ومن الكوارث التي كانت تصيب السكان والممتلكات: الحرائق الهائلة؛ ففي عام (237هـ/ 851م)، شبت النيران في مدينة عسقلان، «فأحرقت البيوت والبيادر وهرب الناس، ولم تزل تحرق إلى ثلث الليل»، ولا تفصل المصادر في سببها(850).

وقد كان أثر هذه الكوارث والأوبئة، يمتد إلى قطاعات واسعة من الفئات المجتمعية والأنشطة الاقتصادية التي ارتبطت بهذه الفئات.

(846) ابن البطريق: التاريخ المجموع، ص55.

(847) أبو الفتح السامري: التاريخ عن الآباء، ص185.

(848) هاني أبو الرب: تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، ص199-200.

(849) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص246.

(850) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج17، ص23؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص290.

## علاقة أهل الذمة بالمجتمع والسلطة:

يمكن القول أن العلاقات التي ربطت بين أبناء المجتمع، مسلمين وأهل ذمة، كانت في غالب وقتها تتسم بالإيجابية التي اقتضت حالة من العيش المشترك، والسلم المجتمعي على قاعدة الحقوق والواجبات.

وأبرز ما يؤكد القول السابق خلال فترة الدراسة، شهادةُ معاينةٍ قدمها برنارد الحكيم (Bernard The Wise)، كفقرة ختامية لتقرير زيارته لفلسطين عام (253هـ/ 867م)، يقول فيها: «إن المسيحيين والوثنيين [يقصد المسلمين] في سلام تام، وإذا مات جملي أو حماري الذي يحمل أمتعتي، وذهبت لبلد آخر لأحضر دابة غيرها، فإنني سأجد أمتعتي في مكانها لم تمسها يد. يقتضي قانون الأمن العام أنه إن وُجد أي مسافر غريب بدون ما يثبت شخصيته كرسالة أو علامة من ملك أو أمير، يوضع في السجن حتى يتبين أنه ليس بجاسوس»[851].

ويفهم من بعض الإشارات الواردة في سيرة إبراهيم بن أدهم (ت:161هـ/ 778م) حين إقامته بفلسطين، أن العلاقات بين المسلمين والنصارى كانت هادئة وتعاونية، فهو ينظر بستاناً لنصراني في عسقلان، وزوجة هذا النصراني تعرف مسبقاً عن زهده وورعه[852]، مما يدلل على علاقة مستقرة، يتبادل فيها المجتمع المعلومات بسلاسة.

وقد أولى الخلفاء العباسيون اهتماماً بالنصارى وقضاياهم[853]، وحين زار المهدي بيت المقدس عام (163هـ/ 779م)، فإنه استمع لشكوى راهبين من كنيسة القيامة، ضد بُطرك القدس إيليا الثاني، فعزله المهدي، وحين تبين للخليفة الهدف من وراء الشكوى، وهو طموح أحد الراهبين في تولي المنصب بدلاً من البطرك المشتكى عليه، أعاده المهدي لمنصبه، وظل عليه حتى توفي[854].

(851) The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.30.

(852) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج7، ص372.

(853) للتفصيل في ذلك، انظر: جان موريس فوييه: أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ص43 وما بعدها.

(854) نعمان محمود جبران: القدس في العصرين العباسي والفاطمي، القدس عبر العصور، ص112.

وفي عام (216هـ/ 831م)، سمح المأمون للنصارى بزعامة البطـرك باسـيليوس (Basilius) بإجراء بعض الإصلاحات في كنيسة القيامة التي تأثرت ببعض الزلازل(855).

وفي عهد المتوكل، وتحديداً عام (246هـ/ 861م) رفع سـامرة قريـة بيـت مامـا، مـن كـورة نابلس، يشكون ضعفهم وعجزهم عن أداء الجزية على خمسة دنـانير، فخففهـا عـنهم وصـارت ثلاثة دنانير(856).

ووفـق المصـادر النصـرانية، ففـي أواخـر فتـرة الدراسـة، (بعـد 256هــ/ 869م)، كـان ثيودوسيوس (Theodosius) قد أقيم بطركاً للقدس، وأثنى على المسلمين لسماحهم للنصـارى ببناء الكنائس وممارسة شعائرهم الدينية دون ضغوط أو تضييقات(857).

وكان لنصارى بيت المقدس علاقات حسنة مع الإمبراطـور شـارلمان(858)(Charlemagne) (ت:198هـ/ 814م)، نالوا من خلالها الهبات المالية(859)، كما أنه أسس في بيت المقـدس نـزلاً للحجاج الأوربيين، ومكتبة وعدداً من بيوت الرهبان(860). وذكرت بعض المراجع أنه بنـى أيضـاً كنيسة العذراء التي يقوم على آثارها في هذا العصر كنيسة الدباغة(861)، واستمر هذا التقليد حتـى في عهد ابنه وخليفته لويس (Louis) الذي أمر أن تدفع كل ولاية من مملكته ديناراً لتلبية احتياجات نصارى القدس(862).

---

(855) المصدر نفسه، ص115.

(856) البلاذري: فتوح البلدان، ص163.

(857) S.D. Goitien: Al-Kuds – history, Encyclopedia of Islam, vol.5, p.727.

(858) **شارلمان** (Charlemagne): (124- 198هــ/ 742-814م)، أعظم ملوك أوربا في العصور الوسطى، مـن الأسرة الكارولينية، كان ملكاً على الفرنجة عام (150هـ/ 768م) ، وبعد سنتين من حكمـه عينتـه الكنيسـة ليكـون إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، وقد عمل جاهداً لجعل أوربا الغربيـة تحـت عقيـدة وحكـم موحـدين. توينبي: قصة الحضارة، ج14، ص229-230.

(859) أينهارد: سيرة شارلمان، ص140.

(860) Bernard The Wise: The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.26.

(861) حنا عبد الله جقمان: جولة في تاريخ بيت لحم، ج1، ص130؛ عمر الصـالح البرغـوثي، خليـل طـوطح: تـاريخ فلسطين، ص131.

(862) S.D. Goitien: Al-Kuds – history, Encyclopedia of Islam, vol.5, p.726.

أما ما يذكر من سفارات وصلات جرت بين الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان تُوِّجت بإرسال هدايا قيمة ومفاتيح كنيسة القيامة والقبر المقدس إلى شارلمان، وأن الرشيد أوكل إليه أمر حماية الأماكن المقدسة في بيت المقدس[863]، فهي وفق ما ذكره عدد من الباحثين المحققين عرباً وأوربيين، لا تعدو أن تكون «أسطورة» مقدوحٌ في صحتها وفي مصدرها، كونها مما انفردت به ثلاثة من المصادر اللاتينية التي يعتريها الضعف والخلل، ولم تذكرها المصادر العربية والسريانية والبيزنطية واللاتينية الأخرى، فضلاً عن كونها تخالف روح ذلك العصر[864].

وقد لخص المؤرخ عبد العزيز الدوري، طعن الباحثين والمحققين في هذه المصادر، بأن المصدر الأول وهو كتاب «الأخبار الملكية» فمقتضب، ولا يساعد على تعيين الصلات، بينما قصد أينهارد في كتابه «سيرة شارلمان» تفخيم سيده ورفع اسمه، وفي الكتاب أخطاء كثيرة ولا يعتمد عليه. أما المصدر الثالث، وهو رواية الراهب سنت كول، فهو من كُتَّاب الأساطير[865].

وقد تكون هذه السفارات قام بها عدد من التجار اليهود الذين كانوا يتكلمون عدة لغات، ويقومون بالتجارة بين فرنسا والأقطار الإسلامية، وكان التجار عادة ينتحلون صفة السفراء دون تفويض من الخليفة، لتسهيل مصالحهم[866].

---

(863) أينهارد: سيرة شارلمان، ص105؛ ومن الذين نقلوا عن هذه المصادر: خليل سركيس: تاريخ أورشليم، ص108؛ حنا عبد الله جقمان: جولة في تاريخ بيت لحم، ج1، ص130.

(864) انظر: بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص188-189؛ عبد الحميد العبادي: صور وبحوث من التاريخ الإسلامي، ص28؛ أينهارد: سيرة شارلمان، ص105-106 (هامش المحقق: عادل زيتون)، عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص116-121؛ ومن الباحثين الأجانب الذين ذكرهم الدوري: هلفن Halphen (محقق كتاب أينهارد)، وبارتولد Bartold (مؤرخ ومستشرق روسي شهير)، ورنسيمان Runciman.

(865) العصر العباسي الأول، ص118.

(866) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص188-189؛ عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص118.

ورغم حسن المعاملة التي تمتع بها النصارى في غالب الأوقات، إلا أنهم كانوا يستغلون بعض الظروف الصعبة لمخالفة الاتفاقيات السابقة، فحين تعرضت فلسطين لغزو الجراد وهرب عدد كبير من السكان، في عهد المأمون (198-218هـ/ 813-833م)، استغل بطرك بيت المقدس المسمى توما (Thomas) والمعروف بتمريق (Tamrikus) الفرصة، فأحضر أخشاب الأَرْز والصنوبر من قبرص، واستعان بأحد أثرياء نصارى مصر، وأجرى عملية ترميم وتكبير لقبة كنيسة القيامة، فلما رأى المسلمون ذلك، استشاطوا غضباً لأنه يخالف الاتفاق، وشكوه إلى عبد الله بن طاهر، والي مصر والشام آنذاك، فحبسه عبد الله، ثم دبَّر البطرك وبنصيحة أحد المسلمين حجة يثبت فيها براءته فخرج من السجن، وكانت تقتضي هذه الحيلة أن يطلب البطرك من الشهود أن يبينوا حجم القبة السابق لعملية الترميم، ومقدار الزيادة فيها حتى يثبتوا أنه جرى تكبيرها، فلما لم يستطع الشهود إثبات ذلك أفرج عنه عبد الله بن طاهر[867]، وهو الأمر الذي يدل على إنصاف النصارى في فلسطين رغم ارتكابهم ما يخالف ما هو متفق عليه.

لكن هذه السياسة التسامحية، لم تكن لتمنع بعض الاضطرابات والمضايقات في ظروف خاصة، كانت خارجة عن السيطرة.

وبعيداً عن تلك الضغوط المتعلقة بالسياسة المالية التي تم دراستها في الفصل السابق، وقد بان أنها أصابت الجميع، فقد ذكر مصدر سامري أن السامرة قد تعرضوا لمضايقة أمير فلسطين عبد الوهاب بن إبراهيم الذي يكنيه المصدر «أبو شندي»[868]، وذلك في عهد المنصور (136-158هـ/ 754-775م)، ومن هذه المضايقات أنه أمر «متولي نابلس» بحرق المعبد الذي أقامه زينون، كما أنه فرض عليهم المال بسبب حرقه، وأوقع بين النصارى والسامرة بأن حرق كنيسة لهم فاتهموا السامرة بذلك، كما أنه حلق رأس رئيس الطائفة وفرض عليه غرامة كبيرة ساعده على أدائها أبناء طائفته[869].

(867) ابن البطريق: التاريخ المجموع، ص55.

(868) لم يقف الباحث على كنيته في المصادر الإسلامية والمسيحية المتاحة.

(869) أبو الفتح السامري: كتاب التاريخ عن الآباء، ص182.

ومن المؤكد أن هذا السلوك لم يكن يعبر عن سياسة الخلافة، كما أن ظلم هذا الأمير لم يكن مقتصراً على طائفة دون أخرى، إنما ابتلي به جميع أهل فلسطين، ووصفته المصادر الإسلامية بأنه «عسف أهلها»[870]، و«خربها... ولم تحمد ولايته»[871]، ولما اتصل خبره بالخليفة وتحقق من أمره عزله عن إمارة فلسطين كما تبين في الفصل السابق.

وانفرد المؤرخ البيزنطي ثيوفانس (Theophanes) (ت:201هـ/ 817م) بالقول أن المنصور وعند زيارته بيت المقدس، في المرة الثانية (154هـ/ 770م)، أمر بوشم أسماء اليهود والنصارى على أيديهم، مما جعل كثيراً من النصارى يهربون إلى بلاد الروم عبر البحر[872].

ويرى عدد من الباحثين أن هذا الإجراء كان من أجل الجزية[873]، لكن المؤرخ عبد العزيز الدوري يؤكد أنه في ظل عدم وجود روايات أخرى تدعمها، يكون من الصعب تصديقها[874]، وفي حال صحت الرواية، فإن مثل هذه الإجراءات التي تقتضي ختم أو وشم المجزيين كانت نادرة الحدوث، ولم يذكرها الفقهاء الأوائل مثل أبي يوسف (ت: 182هـ/ 798م)، ويحيى بن آدم (ت:203هـ/ 818م)، كما ذكر آدم متز[875].

(870) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص99.

(871) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج37، ص303.

(872) Theophanes: The chronicle of Theophanes, p.133.

(873) انظر: عبد العزيز الدوري: القدس في الفترة الإسلامية الأولى، أوراق في التاريخ العربي الإسلامي، ص161؛ خليل عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص147؛
S.D. Goitien: Al-Kuds – history, Encyclopedia of Islam, vol.5, p.726.

(874) القدس في الفترة الإسلامية الأولى، أوراق في التاريخ العربي الإسلامي، ص161.

(875) الحضارة الإسلامية، ج1، ص99.

لكن المؤرخ والمستشرق جان موريس فييه (J. M. Fiey) الذي اهتم بالدراسات المتعلقة بالنصارى في المشرق، يرى أن مثل هذا الإجراءات التمييزية في تلك الحقبة، والتي انفردت بذكرها المصادر البيزنطية، تدل على أنها اقتصرت على النصارى القاطنين في المناطق الحدودية والتي كانت واقعة تحت الاحتلال البيزنطي سابقاً، من أجل حماية الجبهة الداخلية من الجواسيس والأعداء، ومن هذا المنطلق يمكن فهم وشم النصارى، على أنه للتميز بين المقيمين والوافدين، ليس أكثر وليس إجراءً عنصرياً[876]. وهو رأي وجيه، يعضده أن ثيوفانس لم يذكر بأن الوشم كان من أجل الجزية.

أما ما يذكره بعض الباحثين من ضرر واعتداءات على أهل الذمة رافقت فتنة الأمين والمأمون (193-198هـ/ 808-813م)، وثورة أبي حرب المبرقع اليماني (227هـ/ 842م)، ويصورونها على أنها اعتداءات ذات طابع طائفي موجه ضد النصارى أو السامرة[877]، فهو حكم يفتقد الموضوعية، حيث أن الضرر الناجم عنها لم يكن ليصيب طائفة دون أخرى، فكان شأن المسلمين مثل شأن غيرهم .

وفي ذلك يقول أبو الفتح السامري في معرض حديثه عن فتنة الأمين والمأمون: «وكان السكان معهم من السامرة وغيرهم في شدة عظيمة وهائلة»[878].

وحين استغلت بعض العصابات انفلات الأمور أيام ثورة أبي حرب، ودخلت بيت المقدس، فإن اعتداءاتها أصابت السكان من المسلمين والنصارى واليهود على حد سواء[879].

(876) أحوال النصارى في خلافة بني العباس، ص59.

(877) John Macdonald: Samaritans- Late Roman to Crusader Period, Encyclopedia judica, vol.17, p.724; ; Jams A. Montgomery, The Samarians, p.128,129.

(878) أبو الفتح السامري: كتاب التاريخ عن الآباء، ص184.

(879) S.D. Goitien: Al-Kuds – history, Encyclopedia of Islam, vol.5, p.727.

وفي العام (235هـ/ 850م) كتب المتوكل «إلى سائر الأقاليم والآفاق، وإلى كل بلد ورستاق»(880)، بأن يتميز أهل الذمة عن المسلمين في لباسهم وعمائمهم وثيابهم، وأُلزموا بالطيالسة العسلية، وبالزنانير الخاصرة لثيابهم كزنانير الفلاحين، وأن يحملوا في رقابهم عدة كرات من خشب، ومُنعوا من ركوب الخيل، وأن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب، تفريقا بين منازلهم وبين منازل المسلمين، ونهى أن يستعان بهم في الدواوين وأعمال السلطان التي يجري أحكامهم فيها على المسلمين، ونهى أن يتعلم أولادهم في كتاتيب المسلمين، ولا يعلمهم مسلم ونهى أن يظهروا في شعانينهم صليباً(881)، «إلى غير ذلك من الأمور المذلة لهم المهينة لنفوسهم»(882).

ورغم أن المؤرخين المسلمين يفصِّلون في هذه المحددات المفروضة على أهل الذمة(883)، فيبدو أن الالتزام بها كان محدوداً وربما كان في أول صدور الأمر بها، ومما يقوي هذا الاحتمال أن المؤرخ النصراني ابن البطريق لا يطيل الحديث عنها، لكنه يؤكد أنه وعلى إثرها «نال النصارى أذاء شديد [كذا] وحزن وغم»(884).

ومما يجدر ذكره أن مثل هذه المحددات كان جزء منها مما نصت عليه عقود الصلح مع النصارى(885)، فهي من جهة إحياء لاتفاقات سابقة ومن جهة أخرى كانت تصدر كردة فعل تجاه استغلال النصارى للنفوذ الواسع الذي أعطاهم إياه المتوكل في ظل خلافته، مما جعلهم يوقعون بينه وبين رعيته(886).

وإن كانت المصادر تحدثت عن العلاقات بين مكونات المجتمع بما يمكننا من رسم صورة واضحة –إلى حد ما– عنها، إلا أن المعلومات الخاصة باليهود لا تزال شحيحة أو نادرة، ولا يمكننا أن نجد تفسيراً لها سوى قلة عددهم وهامشية دورهم آنذاك.

(880) ابن كثير: البداية والنهاية، 10، ص345.

(881) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص304؛ ابن مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص118؛ ابن الأثير: الكامل، ج6، ص106؛ ابن البطريق: التاريخ المجموع، ص 63؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 10، ص345؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص82.

(882) ابن كثير: البداية والنهاية، 10، ص345

(883) فالطبري مثلاً، يورد نص الكتاب كاملاً، انظر: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص304–306.

(884) الكامل، ج6، ص106؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 10، ص345

(885) انظر مثلاً: الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص77؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج2، ص174–176؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص 255.

(886) ابن القيم: أحكام أهل الذمة، ج1، ص468.

## الشعائر والأعياد:

احتفل سكان فلسطين بأعيادهم ومناسباتهم الدينية بحرية، واتخذت كل طائفة الطابع الذي يميزها عن غيرها، فحين احتفل المسلمون بأعيادهم وأقاموا شعائرهم، كان لأهل الذمة الحرية في ذلك.

فكان المسلمون يحتفلون بأعيادهم ويضحون بأضحياتهم[887]، ويقيمون التراويح في رمضان، ويزينون المساجد ويوقدون القناديل فيها، وكانوا يرفعون الآذان عبر المنارات التي أعدوها لذلك، وكانت تعقد مجالس الوعظ والعلم والتصوف هناك[888]، وعد البشاري المقدسي إحياء ليلة ختمة القرآن بالمسجد الأقصى، وليلة النصف من شعبان ببيت المقدس من العلامات المميزة على مستوى العالم الإسلامي[889].

ويبدو أنه كان في فترة الدراسة تقليد لمن انتهى من الحج أن يزور بيت المقدس ليصلي في المسجد الأقصى، كإتمام لمشاعر الحج، ففي القرن (2هـ/ 8م) يقول المعلَّى بن طريف، مولى المهدي:

**يا صاح إني قد حججت          وزرت بيت المقــدس**[890]

وأقام النصارى أعيادهم وشعائرهم طوال العام وبشكل علني، وكانت أصوات أجراس الكنائس تسمع في الحرم القدسي، وكان أحد العباد في بيت المقدس كلما «ضرب الناقوس ببيت المقدس، إلا وقد جمع ثيابه وقام يصلي على الصخرة التي على شام الصخرة»[891].

(887) ناصر خسرو: سفر نامة، ص55.
(888) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص182.
(889) المصدر نفسه، ص183.
(890) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص15.
(891) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج6، ص92؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج17، ص27؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج13، ص236.

وقد ربط المسلمون التوقيت الشمسي الذي كانوا يحتاجونه لمعرفة مواسم الزراعة بأعياد النصارى، فكان عيد الفصح في وقت النيروز (الربيع)، والعنصرة في وقت الحر، والميلاد في وقت البرد، وعيد بَرْباره وقت الأمطار، ولذلك نحلوا أمثالاً شعبية دالة على ارتباطات المواسم بأعياد النصارى، فقالوا في أمثلتهم الشعبية: «إذا جاء بَرْباره، فليتخذ البنَّاء زَمَّاره»، بمعنى أن عليه أن يجلس في بيته، وقالوا كذلك: «إذا جاء القَلَنْدِس، فتدفأ واحتبِس»، كما ربط أهل فلسطين وقت قطاف العنب بعيد الصليب، كما ربطوا بين وقت الزرع وعيد لُد[892]. والملاحظ أنه لا يزال العمل ببعض هذه التقاليد عند المسلمين مستمرٌ حتى يومنا هذا.

ووصف المسعودي أعياد النصارى في فلسطين، ومنها عيد كنيسة القمامة (القيامة)، حيث تجتمع هناك النصارى من سائر الأرض، ...، فيسرج هناك الشمع، ويجتمع فيه من المسلمين خلق عظيم للنظر إلى العيد«. وذكر أنهم كانوا يعمدون إلى خدعة توهم الحاضرين أن ناراً تنزل عليهم من السماء، وذكر ما كان يفعله النصارى في عيد القلندِس في بيت المقدس وسائر بلاد الشام، من إيقاد للنيران، وإقامة الأفراح والمآكل والمشارب[893].

وإن كانت هذه المصادر تصف احتفالات وأعياد في القرن (4هـ/ 10م)، فإنها ولا شك تنسحب على القرنين الثاني والثالث (فترة الدراسة)، لأنه من المعلوم أن العادات الاجتماعية كانت تتغير ببطء آنذاك، وفي (ق 2هـ/ 8م) وصف المعلَّى بن طريف، مولى المهدي، عيد النصارى في لد، واجتماع النساء فيه، فقال:

**وأتيت لُدًّا عامداً ... في عيد مار سرجس**
**فرأيت فيه نسوةً ... مثل الظباء الكنس[894]**

(892) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص182-183.
(893) مروج الذهب، ج2، ص198.
(894) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص15.

وتحدث ابن البطريق، عن عيد الشعانين، وأنه جرت عادة النصارى في بيت المقدس في كل عام «بحمل شجرة من شجر الزيتون في عيد الشعانين من الكنيسة التي بالعازرية إلى كنيسة القيامة وبينهما مسافة بعيدة، وأن يشق بها شوارع المدينة بالقراءة والصلوات حاملين الصليب»[895].

ووصف المسعودي في عام (332هـ/ 944م)، أن السامرة يقيمون صلواتهم على جبل الطور بنابلس في مواعيدها، عبر أبواق من فضة ينفخ فيها عند أوقات الصلاة[896].

أما اليهود فلا تزودنا المصادر بمعلومات عنهم أو احتفالاتهم، ووفق وثائق الجنيزا التي يعود أقدمها إلى (ق 5هـ/ 11م)، أي بعد فترة الدراسة بأكثر من قرنين، فإنه كان لهم تجمع رئيسي على المنحدرات الغربية على جبل الزيتون[897].

(895) ابن البطريق: التاريخ المجموع، ص194.

(896) مروج الذهب، ج1، ص59.

(897) Eliyahu Ashtor and others: Jerusalem – Arab period, Encyclopaedia Judaica,vol. 11, p.155.

## العادات والتقاليد:

لم يكن العهد الجديد الذي دخلته فلسطين بابتداء حكم الأسرة العباسية ليغير كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم الموروثة من العهد السابق، ومن العادات التي أصابها التغيير عادة الأزياء، حيث أصبح السواد شعار الدولة، وكان التمايز بين فئات وطبقات المجتمع يتم أحيانا من خلال الزي(898).

وكان من عادة أهل فلسطين أن «لهم تجمُّل؛ يلبسون الأردية كل عالم وجاهل»، ولبسوا كذلك الطيالسة(899)، وهي نوع من الأكسية السوداء(900)، وتميز الكتبة وأهل القرى بلبس المُدَرَّعة(901)، وهي نوع من الثياب لا يكون إلا من الصوف خاصة، أو أنها جبة مشقوقة من الأمام(902)، وكان لباس الفلاحين ببيت المقدس ونابلس كساء واحد بلا سراويل(903).

وكان الزهاد لا يهتمون بثيابهم وتكون عادة قليلة وخفيفة، فكان إبراهيم بن أدهم (ت:161هـ/ 778م) يرتدي في الشتاء فرواً ليس تحته قميص، وفي الصيف قطعتين فقط؛ إزراء ورداء ثمنهما أربعة دراهم(904). أما أبو عمير بن النحاس (256هـ/ 869م) من أهل الرملة وعبادها، فقد كان «يطلب العلم وعلى ظهره خريقة قدر ذراع»(905).

(898) إحسان عباس: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، ص162؛ مصطفى مراد الدباغ: الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، ص277.
(899) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص183.
(900) ابن منظور: لسان العرب، مادة (طلس).
(901) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص183.
(902) ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، ج2، ص9.
(903) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص183.
(904) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج7، ص373؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص392.
(905) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج19، ص225.

وحاول المنصور توحيد لباس الرأس لرعيته في أواخر سني خلافته، عام (153هـ/ 769م)، فألزم الناس بلبس القلانس[906] الطويلة، وكان الناس يحاولون تثبيت طولها المفرط بالقصب والورق، وكانوا يُلبسونها السواد[907]، لكن ذلك لم يستمر طويلاً، فحين كان إبراهيم بن صالح العباسي (ت:176هـ/ 792م) أميراً على فلسطين كان يلبس قُلَنْسوتان[908]، ويبدو أن هذا غريباً أو ملفتاً للنظر مما دعا الراوي لذكره.

وكان الناس في بلاد الشام عموماً يتفاوتون في لباس الرأس، وبالإجمال؛ فقد كانت قلنسوة القضاة والعلماء طويلة، وقلنسوة التجار لطيفة، وكان بعض الناس يعتم بدل القلنسوة، وبعضهم يلف العمامة على قلنسوة طويلة[909]، أما الطبقة الفقيرة والمعدمة التي مثلها إبراهيم بن أدهم (ت:161هـ/ 778م) فلم يكن يلبس العمامة أو غطاء للرأس أصلاً[910].

وكان عامة سكان فلسطين يلبسون في الشتاء الخف، ويخلعونها صيفاً ويلبسون محلها النعال الخفيفة[911].

(906) **القلانس، مفردها قَلَنْسُوة:** لباس للرأس مختلف الأنواع والأشكال. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ، ج2، ص754.

(907) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص504؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص229؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج9، ص356؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج2، ص20.

(908) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج6، ص446.

(909) إحسان عباس: تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي، ص163.

(910) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج7، ص373؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص392.

(911) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص183.

أما لبس النساء فقد بقي على ما هو عليه منذ صدر الإسلام[912]، في الشروط العامة من حيث الحشمة، وستر سائر البدن، حيث كان لباس المرأة الكامل مكون من إزار ودرع وخمار[913]، وجاء في أحد الروايات أن امرأة من زاهدات بيت المقدس في أوائل القرن (3هـ/ 9م) كانت ترتدي مُدَرَّعة وخمار من صوف[914]، وذلك ضمن فلسفة التقشف والتخشن التي كان يتبعها الزهاد آنذاك.

وعليه دلت الروايات السابقة أن فلسفة اللباس في فترة الدراسة كانت تقوم على التمايز بين الطبقات والوظائف والأحوال المادية، مع عدم نفي تدخل السياسة في ذلك الشأن الذي يعد في عصرنا شأناً خاصاً.

أما في الطعام؛ فكان يعتمد على الدقيق، وكان طحن الحنطة في غالب الأحيان يتم بالرحى اليدوية، وكان إبراهيم بن أدهم ينصب الرحى بين رجليه ويبدأ بالطحن[915].

وكان أهل المدن يخبزون بالأفران، أما القرويون فكانوا يخبزون بالطوابين، والطابون فرن صغير يقام في الأرض، ويفرش بالحصى، ويوقد حوله وفوقه «الزبل» من مخلفات الحيوانات، فإذا احمر، طرحت الأرغفة على الحصى، وكانوا يصنعون حلوياتهم البسيطة ووجباتهم التي اعتمدت على ما يزرعونه أو يقطفونه من البراري والجبال[916].

وكان من عادات أهل فلسطين احترام الميت، ومشاركة أهله في تشييعهم الجنازة، ويقفون عند قبره لتسليته وتثبيته عند السؤال، وكانوا يخرجون إلى المقابر لختم القرآن في ثلاثة أيام عند القبر[917].

(912) مصطفى مراد الدباغ: الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، ص278.

(913) البرهان فوري: كنز العمال، ج9، ص392.

(914) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص225.

(915) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج3، ص372.

(916) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص183.

(917) المصدر نفسه، ص183.

وكان بعض الموتى ينقل إلى بيت المقدس ليدفن هناك، وربما كان ذلك لما لها من فضل وقدسية، وربما كان نتيجة وصية الميت، وقد توفي عطاء بن أبي مسلم الخراساني[918] في أريحا عام (135هـ/ 753م)، «فحمل ودفن ببيت المقدس»[919]، وكذلك حين توفي الصوفي الشهير الكرماني في زُغَر عام (255هـ/ 868م)، «حمل إلى بيت المقدس» ودفن بها[920].

وكان من عادة الناس احترام ذوي العلم والفضل والمتمسكين بالدين، وإن كانوا فقراء أو ليس لهم نفوذ، وكذلك نصرة المظلوم والوقوف معه، فحين علم أهل بيت المقدس بسجن إبراهيم بن أدهم (ت:161هـ/ 778م) بطبرية، «جاء الناس من بيت المقدس عنقاً واحداً إلى أمير طبرية»، وأخرجوه[921].

وحين قدم مؤمل بن أهاب إلى الرملة (ت:254هـ/ 867م)، وامتنع عن التحديث، كاد له البعض وادعوا أنه عبد آبق، فحبس، ثم انتصر له جماعة وأفهموا الأمير المكيدة وبينوا منزلته من العلم وأخرجوه[922].

وبذلك العرض نكون وقفنا على الجزء المتاح في المصادر، من صور لحياة المجتمع، ومكوناته، وأعياده، والعلاقات بين مكوناته التي اتسمت في غالبها بحسن الجوار والخلو من التعقيد، كما تميزت بالمشاركة الاجتماعية في المناسبات.



(918) ليس ابن أبي مسلم الخراساني الشهير، القائد العسكري الكبير في الثورة العباسية، وكان عطاء من علماء فلسطين، وسترد معلومات أوفى عنه في الفصل الرابع.

(919) ابن حبان: المجروحين، ج2، ص130.

(920) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج19، ص315.

(921) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج6، ص318.

(922) ابن الجوزي: المنتظم، ج12، ص77-78.

# المبحث الثالث
# النشاط الاقتصادي

تنوعت أوجه النشاط الاقتصادي في فلسطين فترة الدراسة، ويمكن إجمالها بثلاثة أوجه، كالتالي:

**أولا: الزراعة:**

مثلت الزراعة العمود الفقري للاقتصاد المحلي في فلسطين، ساعد على ذلك طبيعة الأرض وتضاريسها، وتوافر المياه من الأمطار والسيول(923)،فضلاً عن المياه الجارية في بعض مدنها كنابلس(924)، والتي جعلتها «من أخصب بلاد الشام»(925). كما لا يمكن إغفال دور الخلافة الأموية في النهضة بالزراعة في بلاد الشام بشكل عام من خلال الاهتمام بأنظمة الري، وتوسيع نطاق الأرض المزروعة وإدخال زراعات جديدة(926). وفي فلسطين شق سليمان بن عبد الملك قناة بردة في الرملة، وحفر الآبار هناك(927).

وعن تضاريس فلسطين، قدم البشاري المقدسي (ت: نحو 380هـ/ 990م) وصفاً جغرافياً لها، حين قسمها إلى صفوف، تمتد من الشمال إلى الجنوب، «فالصف الأول: يلي بحر الروم وهو السهل، رمال منعقدة ممتزجة، يقع فيه من البلدان الرملة وجميع مدن السواحل، والصف الثاني: الجبل، مشجر ذو قرى وعيون مزارع، يقع فيه من البلدان بيت جبرين وإيلياء ونابلس، .. والصف الثالث: الأغوار، ذات قرى وأنهار ونخيل ومزارع ونيل، يقع فيه من البلدان ويلة (أيلة) وتبوك وصغر وأريحا وبيسان وطبرية»(928).

(923) ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص31.

(924) ابن حوقل: صورة الأرض، ص158؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، 226.

(925) الإصطخري: مسالك الممالك، ص58.

(926) نبيه عاقل: فلسطين من الفتح العربي الإسلامي إلى أواسط القرن الرابع الهجري، الموسوعة الفلسطينية، ق2، ج2، ص315.

(927) اليعقوبي: البلدان، ص 116؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص149؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص102.

(928) أحسن التقاسيم، ص186.

ولا أدل على مركزية الزراعة في البنية الاقتصادية لفلسطين، من تلك الأعداد الغفيرة من الفلاحين والحراثين الذين انضموا إلى أبي حرب المبرقع اليماني، في ثورته عام (227هـ/ 842م)، والذين قدرتهم بعض الروايات بمائة ألف[929]، ومع أن أعدادهم كانت عامل قوة لأبي حرب إلا أن ارتباطهم بأرضهم وفلاحتهم، حولهم لعامل ضعف في ثورته، فحين «كان أوان عمارة الناس الأرضين وحراثتها، انصرف من كان من الحراثين مع أبي حرب إلى الحراثة وأرباب الأرضين إلى أراضيهم وبقي أبو حرب في نفر زهاء ألف أو ألفين»[930].

وتنوعت وتعددت المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها فلسطين آنذاك، بين الفواكه والخضروات والبقول وغيرها من الأصناف التي لم توجد في غيرها من البلدان، وقد اجتهد البشاري المقدسي في تصنيفها فقسمها إلى ثلاثة أقسام، وفي ذلك يقول: «واعلم أنه قد اجتمع بكورة فلسطين ستة وثلاثون شيئاً ولا يجتمع في غيرها، فالسبع الأولى لا توجد إلا بها، والسبع الثانية غريبة في غيرها، والاثنان والعشرون لا تجتمع إلا بها، وقد يجتمع أكثرها في غيرها»[931].

(929) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص269؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج4، ص84؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج11، ص118؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج10، ص324.

(930) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص269.

(931) أحسن التقاسيم، ص181.

أما تفصيلها، فالسبعة الأولى: قضم قـريش[932] والمعنَّقـة[933] والعينونيوالـدوري[934] وانجـاص الكافوري وتين السباعي[935] والدمشقي.

والسبعة الثانية: القلقاس والجميز والخرنوب (الخـروب) والعكُّـوب[936] والعُنَّـاب وقصـب السكر والتفاح الشامي.

(932) قضم قريش: ويقال فم قريش، وهو حب الصنوبر الصـغار، أدقّ مـن الفسـتق، رقيـق القشـرة، ينكسـر عـن لـبّ متطاول أبيض دهنيّ لذيذ. ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدويـة والأغذيـة، ج2، ص54؛ التركمـاني: المعتمـد في الأدوية المفردة، ج1، ص326.

(933) المعنقة: لم أجدها في كتب النبات العربية المتاحة، وذكر لي سترنج (Le strange) أنها السـفرجل أو مـا يعـرف بالإنجليزية (Cydonian-apple).

Le strange, Palestine under the Moslems, p.16.

(934) العينوني والدوري: صنفان من الزبيب الذي كانت تنتجه قرى بيت المقدس، وهما منسوبان لقريتا عينـون ودورة على الترتيب. البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص180. السـيوطي: لـب اللبـاب في تحريـر الأنسـاب، ج1، ص95.

(935) تين السباعي: نوع من التين البري، معروف لأهل فلسطين.

(936) العكوب: بقلة برية، شوكية، ربيعية، تنبت في جبال الضفة الغربية، يطبخ منها الساق والعروق والـورق، وزهرتهـا عبارة عن رأس مزهر يؤكل أيضا. معروف لأهل فلسطين.

والأصـناف الاثنـان وعشـرون الباقيـة: الرطـب والزيتـون والأتـرج(937) والنيـل (النيلـة)(938) والرأسن(939) والنـارنج(940) واللُّفَّـاح(941) والنبـق(942) والجـوز واللـوز والهليـون والمـوز والسـماق والكرنب والكمأة(943) والترمس والطري(944) والثلج ولبن الجـواميس والشـهد وعنـب العاصـمي والتين التمري والقُبَّيط(945) والخس(946).

(937) الأترج: أحد أصناف الحمضيات، ويسمى الكبَّاد، يفهم من وصفه في كتب اللغة والطب أنه مـا نسـميه في بلادنـا الخشخاش، وقد ذكر الباحث عثامنة أنـه الليمـون!. انظـر: التركمـاني، المعتمـد في الأدويـة المفـردة، ج1، ص8؛ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج2، ص967؛ عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص294.

(938) النيل: نبات يستخرج منه صبغ أزرق ويعرف بمصر باسم (النيلة). إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسـيط، ج2، ص967.

(939) الراسن: نبات يشبه الزنجبيل. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، ص345.

(940) النارنج: من الحمضيات، وهو ما يعرف محليـاً باسـم الخشـخاش الـذي يسـتخدم في عمـل المربـى. إبـراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج2، ص912.

(941) اللُّفاح: ذكره ابن سينا والرازي كنبات طبي، من فئة المخدِرات، شكله مثـل شـكل الإنسـان، ممـا جعـل اسـمه «صنم الطبيعي»، وهو ما ذهب إليه لي سـترانج (Le strange) إذ ذكـره باسـم (The Mandrake) وهـي ترجمـة اللفاح الطبي، ويبدو أن المقصود في نص البشاري هو الشمام، حيث نبه التركماني أن أهـل الشـام يسـمون الشـمام باسم اللفاح، وهو ما يميل إليه الباحث. ابن سـينا: القـانون في الطـب، ج1، ص309، 509؛ الـرازي: الحـاوي في الطب، ج1، ص199؛ التركماني: المعتمد في الأدوية المفردة، ج1، ص338، ج2، ص66؛
Le strange, Palestine under the Moslems, p.18.

(942) النبق: عرفه البشاري المقدسي عند حديثه عن مصر بأنه ثمر شجرة السدر، حلو، له نواة كبيرة. أحسن التقاسيم، ص204.

(943) الكمأة: نبات من الفطريات لا أوراق له ومستدير، ينبت في الربيع تحت الأرض. التركماني: المعتمد في الأدويـة المفردة، ج2، ص30.

(944) الطري: من الفواكه التي تقطف مبكراً ثم تجفف.
Le strange, Palestine under the Moslems, p.16.

(945) القبيط: هو الناطف (من الحلوى)، وقبيط فلسطين كان يصنع من الخروب. ابـن منظـور: لسـان العـرب، مـادة (نطف)؛ البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص183.

(946) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص181.

ورغم أن القائمة التي يقدمها البشاري المقدسي تعد الأقرب إلى فترة الدراسة، إلا أنـه يمكـن أن يُحـذف منهـا بعـض الأصـناف، مثـل النـارنج والأتـرج، وقـد نقـلا مـن الهنـد إلى عُمـان (300هـ/ 912م) ثم عرفته العراق ومنهـا إلى الثغـور والشـام وفلسـطين[947]. وكـذلك انجـاص الكافوري الذي يبدو أنه منسوب لكافور الإخشيدي الذي حكم مصر والشام في الفتـرة (335-356هـ/ 946-966م)[948].

وأحصى الباحث مصطفى مراد الدباغ قائمة أخرى من مزروعات فلسطين في العهد العباسي، منوهاً أن الكثير منها كان معروفاً في العهد الأموي، جاء فيها فضلاً عن الذي لم يذكره البشاري في قائمته السابقة: الخوخ والبرقوق والتوت والحُلبة والخيار والقثاء والفجـل واللفـت والكـرات والقرع، والعدس والباذنجان والهندباء والنعناع والخردل والكرفس والقنب والحمص والسـلق واللوبياء، والبقلة – وتسمى أيضاً الرجلة- والجرجير والبطيخ والجزر والسوس والبصل والثوم والقطن، ومن رياحينها الياسمين والحبق، وعرفت البلاد القسطل والفستق والبندق[949].

(947) المسعودي: مروج الذهب، ج1، ص167.

(948) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج50، ص5-6.

(949) الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، ص276-277.

وكان الزيتون من أشهر هذه المحاصيل وأكثرها، وكانت فلسطين ودمشق المركز الرئيسي لزراعته في العصور الإسلامية[950]، وقد نُقل عن أهل السير قولهم أن زيتون فلسطين من غرس اليونانيين[951]. وقد خضعت فلسطين للاحتلال اليوناني ضمن حملات الإسكندر المقدوني على الشرق في القرن الرابع قبل الميلاد[952].

وضُرب بكثرة زيتون فلسطين المثل، فقيل: «مثل بلد فلسطين في كثرة الزيتون»[953]، وقيل: «ثلاث غلات في ثلاثة بلدان متساويات: الزيتون بفلسطين، والتمر بالبصرة، والأرز بالأهواز»[954]. وكان أهل فلسطين يقولون أن الزيت والزيتون في بلادهم يفوق في كثرته سائر البلدان[955].

وامتدت البركة التي يستشعرها أهل فلسطين في بلادهم لأن الله تعالى وصفها ﴿ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾[956]، إلى الشعور بالبركة في المزروعات لقوله تعالى ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾[957].

وقد زرع الزيتون في «سائر جبال فلسطين وسهلها»[958]، واشتهر منها بيت المقدس وجبالها[959]، ونابلس[960] وتوابعها، وقد سميت إحدى المناطق التابعة لها باسم عسكر الزيتون لأنه «يكثر عنده الزيتون»[961]، وكذلك الخليل فقد كان فيها «الزيتون كثير»[962]، وعسقلان التي كان «بها من الزيتون شيء كثير»[963].

(950) D.M Varisco: Zaytun, Encyclopedia of Islam, vo.11, p.487.

(951) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص103؛ ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص302.

(952) إلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، ص112.

(953) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص60.

(954) أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، ج1، ص391.

(955) ابن الفقيه: البلدان، ص117.

(956) سورة الأنبياء: آية 71.

(957) سورة النور: آية 35.

(958) الإصطخري: مسالك الممالك، ص58.

(959) ناصر خسرو: سفرنامة، ص55.

(960) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص174.

(961) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص123.

(962) ناصر خسرو: سفر نامة، ص73.

(963) ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص32.

وارتبط إنتاج الزيت بوفرة الزيتون، إذ كان يعصر ويصدر إلى باقي الأقاليم[964]، ويرفع جزء منه إلى بيت المال، ففي عهد المأمون (198-218هـ/ 813-833م)، كان ارتفاع فلسطين لبيت المال ثلاثمائة ألف رطل زيت[965] أي ما يعادل (120 طناً) بأوزان عصرنا على حساب أن الرطل يساوي (400) جرام تقريباً[966].

وكان الزيت عماد طعام الناس آنذاك، فمما أثر عن قاضي الشام يزيد بن عبد الله بن موهب الرملي (ت:237هـ/ 851م)[967]، أنه حين كانوا يخوفوه بالعزل يقول: «أليس في زيتا خبز وزيت أرجع إليه»، وكانت له ضيعة تسمى زيتا[968].

وعدد الجاحظ (ت:255هـ/ 869م) فوائد الزيتون بقوله: «وتقف من الزيتون على زيته والاصطباح به وعلى التأدم به والوقود بشجره»[969].

(964) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص180.

(965) ابن خلدون: المقدمة، ص181.

(966) انظر: المبحث الثاني من هذا الفصل.

(967) الربعي: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ج2، ص523.

(968) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج65، ص275.

(969) الحيوان، ص208.

كما اشتهرت فلسطين بإنتاج الفواكه التي تنوعت أصنافها، وتعددت أنواعها، وقد زرعت في معظم أرجاء فلسطين، فزرع التين والجميز والعنب في سائر جبالها وسهلها(970). ووصف البشاري المقدسي الرملة بأنها: «واسعة الفواكه، ... ولا أبرك من كورتها، ولا ألذ من فواكهها»(971)، ويخص بيت المقدس بأن الله « قد جمع فيها فواكه الأغوار والسهل والجبال والأشياء المتضادة كالأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز»(972). وهو الأمر الذي أكده برنارد الحكيم (Bernard The Wise) عندما تحدث عن بساتين وكروم بيت المقدس أثناء زيارته لها عام (253هـ/ 867م)(973).

وقد كانت مزروعات بيت المقدس جبلية «تنبت كلها بغير ماء»(974)، وأحاطت بها من جهة الجنوب أشجار التفاح الأحمر(975)، وزرعت الكروم والأعناب والتفاح فيها على جبل نصرة(976)، وزرع العنب في حصن العنب من أعمالها(977)، وسمي جبل الخمر من توابع بيت المقدس بهذا الاسم «لكثرة كرومه»(978).

---

(970) الإصطخري: مسالك الممالك، ص58.

(971) أحسن التقاسيم، ص164.

(972) المصدر نفسه، ص166.

(973) The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.26.

(974) ناصر خسرو: سفرنامة، ص55.

(975) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص123.

(976) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص173.

(977) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص265.

(978) المصدر نفسه، ج2، ص37.

وتعددت أنواع العنب فذكر منها البشاري المقدسي: العاصمي[979]، والعينوني والدوري اللذان كانا يجففان حتى يصبحا زبيباً[980]، وذكر غيره: الخافوني، إذ عمل الزاهد المعروف إبراهيم بن أدهم (ت:161هـ/ 778م) حين إقامته بكورة غزة ناظوراً في كرم عنب نوعه الخافوني[981].

وكانت قيسارية «حسنة الفواكه»[982]، أما يُبنى فهي «معدن التين الدمشقي»[983]، كما كانت توصف قرية ياسوف من قرى كورة نابلس «بكثرة الرمان»[984].

وفي الغور وأريحا انتشر النخيل والموز والأرطاب والريحان[985]، وقصب السكر[986]، وقد وصف ابن حوقل الغور وغناه فقال: «وكأن الغور من بين البلاد لحسنه، وتبدد نخيله وطيبه، ناحية من نواحي العراق الحسنة الجليلة»[987]، واختص نخيل زغر (صغر) من قرى الغور بشهرة فائقة، فهي «بلد النخيل»، وتصدر نوعاً من التمر حمل اسمها «التمر الزغري»[988].

(979) أحسن التقاسيم، ص181.

(980) المصدر نفسه، ص180.

(981) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج7، ص371.

(982) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص174.

(983) المصدر نفسه، ص179.

(984) ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص425.

(985) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص175.

(986) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص217.

(987) صورة الأرض، ص160.

(988) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص131.

كما زرع النخيل في أيلة[989]، ووصفت عسقلان بأنها «كثيرة الفواكه ومعدن الجميز»[990]، وكان «بها من الكروم واللوز والرمان شيء كثير»[991].

وكان في غزة بساتين كثيرة امتدت جنوباً باتجاه رفح حتى عشرة أميال[992]، وكانت «أجل فاكهتها التين والعنب»[993] كما زرع فيها الرمان[994].

ورغم قلة الإشارات عن القمح والشعير فترة الدراسة إلا أنه لا يمكن إغفال دور هذه المحاصيل كأساس في غذاء الفلسطينيين، وقد وصفت أيلة بأن «بُرُّها كترابها»[995]، وكان أغلب الزراعة في الخليل الشعير، أما القمح فكان قليلاً[996]. كما عمل إبراهيم بن أدهم (ت:161هـ/ 778م) حصاداً في مواسم الحصاد في عدد من حقول القمح والشعير في غزة وعسقلان[997]. وقد أنتجت الرملة نوعاً مميزاً من الدقيق الحُوَّارى[998]، و الحُوَّارى أجود أنواع الدقيق الأبيض[999]، مما يدل على ازدهار هذا الصنف فيها.

(989) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص178.

(990) المصدر نفسه، ص174.

(991) ابن الوردي: خريدة العجائب، ص32.

(992) ابن قدامة: الخراج وصناعة الكتابة، ص118.

(993) القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص102.

(994) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج7، ص372.

(995) البلاذري: أنساب الأشراف، ج6، ص70.

(996) ناصر خسرو: سفرنامة، ص71.

(997) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ، ج7، ص372، 379.

(998) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص181.

(999) ابن منظور: لسان العرب، مادة (حور).

## ثانياً: الصناعات.

ارتبطت الصناعات في فلسطين خلال فترة الدراسة ارتباطاً مباشراً بالإنتاج الزراعي، وبالطبيعة الغنية لأرض فلسطين، وكانت أكثر الصناعات ارتباطاً بها، تلك المتعلقة بالإنتاج الزراعي الذي تميز به الاقتصاد الفلسطيني، مثل صناعة استخراج الزيت من ثمار الزيتون، وقد أكرى قاضي الشام يزيد بن عبد الله بن موهب الرملي (ت:237هـ/ 851م) إبلاً له في عصير الزيتون في مدينة غزة[1000]، وكان الزيت الفلسطيني يصدر إلى مختلف الأقاليم[1001]، وفي عهد المأمون (198-218هـ/ 813-833م)، كان ارتفاع فلسطين لبيت المال ثلاثمائة ألف رطل زيت[1002].

وأدى فائض الزيت إلى انتعاش صناعة الصابون[1003]، كما سهل ذلك وجود نوع من الأعشاب البرية يسمى البروة، أدى لتحسين نوعية الصابون[1004].

ومن الصناعات الغذائية الأخرى؛ الجبن[1005]، وصناعة السكر من قصب السكر الذي كان يكثر في مناطق أريحا والغور[1006]، كذلك بعض أنواع الحلويات البسيطة مثل القبيط الذي صنع من الخروب[1007].

وأشار الباحث عثامنة إلى استمرار صناعة الخمر في فلسطين بعد الفتح الإسلامي وبقائها في العهدين الأموي والعباسي، مستنداً على ورود ذكر لها في بعض الأشعار، ووجود أحد الأديرة، كان يقدم الخمر لرواده[1008].

(1000) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج65، ص274.

(1001) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص180.

(1002) ابن خلدون: المقدمة، ص181.

(1003) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص180.

(1004) عثامنة: فلسطين في خمسة قرون، ص294.

(1005) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص180.

(1006) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص217.

(1007) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص183.

(1008) فلسطين في خمسة قرون، ص293.

وهذه الأدلة لا ترقى لتكون دليلاً على كون الخمر صناعة منظمة أو ذات قيمة في بنية الاقتصاد الفلسطيني، لعدة أسباب أهمها:

أ. أن المصادر التاريخية والجغرافية والرحلات لم تأت على ذكرها بينما ذكرت غيرها الكثير من الصناعات.

ب. استبدال صناعة الخمر بتجفيف العنب وتحويله إلى الزبيب الذي كان يرتفع إلى بيت المال(1009)، ويصدر الفائض منه إلى باقي أقاليم الدولة(1010).

ت. وجود الخمر في الأديرة يدل أن هذه الصناعة كانت مقصورة على النصارى.

ث. كون بعض الشعراء تغنى في خمر بعض المدن لا يعني بالضرورة أنها صناعة رائجة أو أساسية.

ويبدو أن المملكة النباتية البرية في فلسطين قد أهلتها لتنتج نوعين من الأدوية المتميزة، هما الترياق المستخدم كمضاد للسموم، والترذوغ(1011). ولم أجد أي إشارة عن معنى الترذوغ (بالذال) في معاجم اللغة أو الطب، سوى إشارة وحيدة تذكر أن التردوغ (بالدال): «لطوخ جيّد»(1012). ويبدو أنها كلمة نادرة الاستعمال.

وشهدت فلسطين أنواعاً من الصناعات الإستخراجية، فقد استفاد أهل فلسطين من الغور في استخراج الكبريت(1013)، واستخرجوا الصبغة الزرقاء من نبات النيل، وأفضل تلك الصبغات الذي كانت تنتجه أريحا(1014)، ويبدو أن الصباغة كانت مهنة أساسية في فلسطين مما دعا سليمان بن عبد الملك أن يجعلها من أول منشآت مدينة الرملة عندما شرع في بنائها(1015).

(1009) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص234.

(1010) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص180.

(1011) المصدر نفسه، ص181.

(1012) ابن سينا: القانون في الطب، ج1، ص264.

(1013) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص184.

(1014) المصدر نفسه، ص180.

(1015) اليعقوبي: البلدان، ص 116؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص149؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص102.

واستخرج الفلسطينيون من البحيرة المنتنة (البحر الميت) ملح الطعام[1016]، وكذلك نوع من الملح كان يستخدمه الصاغة[1017] وآخر استخدم لأغراض طبية وزراعية يسمى الحُمَّرِيَّة[1018]، أو الحُمَّرة[1019]، أو الحُمَّر[1020]، واستخدمه أهل زُغر وفلسطين في طلاء الكروم وأشجار التين للمساعدة في تلقيح أشجارهم وكرمهم[1021]، وأطلق عليه الأطباء اسم المُوميا (المومياء) أو القُفْر اليهودي (قُفْر اليهود)، وله استخدامات عديدة في الطب منها تجبير الكسور[1022]، وجاء في كتاب «ما لا يسع الطبيب جهله» لابن الكتبي عن استخدامات قُفر اليهود: «وأهل بلاده يحلونه بالزيت ويطلون به الكروم لتسلم من الدود، وهو يلصق الجراحات الطرية بدمها... ينفع من رض اللحم والكسر ضماداً، ودخانه وشمه ينفع للأوجاع العارضة في النساء ولخروج الرحم والاختناق. وينفع من السعال المزمن وضيق التنفس وهش الهوام وعرق النسا... وإذا وضع على السن الوجعة سكن وجعها، ودخانه يطرد الحيات والعقارب والهوام والبق وغيرها»[1023].

ومن جملة الصناعات الفلسطينية كانت ما يتعلق بالقماش والأنسجة، وذكر منها البشاري الميازر (المآزر) والفُوَط والمُلاحم[1024]، والملُحَم حسب المعجم الوسيط «جنس من الثياب يختلف نوع سداه ونوع لحمته كالصوف والقطن أو الحرير والقطن»[1025].

---

(1016) فوزي محمد عبيدات: أهمية منطقة غور الأردن في صدر الإسلام، ص135.

(1017) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص79.

(1018) ابن حوقل: صورة الأرض، ص169.

(1019) اليعقوبي: البلدان، ص117.

(1020) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص79.

(1021) ابن حوقل: صورة الأرض، ص169؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص228.

(1022) التركماني: المعتمد في الأدوية المفردة، ج1، ص484، ج2، ص130.

(1023) فوزي محمد عبيدات: أهمية منطقة غور الأردن في صدر الإسلام، ص134.

(1024) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص180.

(1025) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج2، ص819.

ورغم قلة الإشارات الواردة عن هذه الصناعة فترة الدراسة إلا أنه يبدو أنها كانت صناعة مركزية وليس أدل على ذلك من بقاء دار الصباغين في الرملة بعد السيطرة العباسية على فلسطين ونقل ملكيتها إلى صالح بن علي وورثته من بعده(1026)، وارتبطت مهنتا الصباغة والدباغة في ذاك العصر باليهود(1027)، وربما كان ذلك لأن الناس تأنفهما، كذلك وردت إشارة عن منطقة البزازين في عسقلان(1028). والبزازون هم تجار الثياب(1029).

ومن الصناعات الأخرى كانت المرايا وأجودها ما تم صناعته في أريحا(1030)، وقدور القناديل، والإبر.(1031)، واختصت بيت المقدس بصناعة السُبح(1032) لكثرة من كان يزورها من الراغبين في التقرب إلى الله، واستمرت هذه الصناعة رائجة لفترات طويلة(1033).

ولابد أن هناك صناعات أخرى كانت قائمة آنذاك، لكن المصادر لم تذكرها، وإنما ذكرت هذه الصناعات في معرض الحديث عن المواد التي يتم تصديرها إلى مختلف الأقاليم من فلسطين.

وأشار البلاذري إلى أن الخليفة المتوكل وتحديداً عام (247هـ/ 861م)، أمر بعمل دار صناعة للسفن بعكا «وجميع السواحل»(1034)

(1026) البلاذري: فتوح البلدان، ص149.

(1027) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص183.

(1028) المصدر نفسه، ص174.

(1029) ابن منظور: لسان العرب، مادة (بزز).

(1030) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص184.

(1031) المصدر نفسه، ص180.

(1032) المصدر نفسه، ص181.

(1033) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ص368.

(1034) فتوح البلدان، ص125.

وقد كانت عكا آنذاك من جند الأردن، ولابد أن تكون في المقابل دور لصناعة السفن في جند فلسطين إذ كان عليه من الثغور قيسارية وأرسوف ويافا عسقلان وغزة[1035].

وكان معقل صناعة الحجارة الصخرية البيضاء والرخام ببيت جبرين، وتسمى مقاطع الرخام[1036]، وتعددت أنواع وألوان الرخام الذي كانت تنتجه، فكان منه الملمع، والأخضر والأحمر والأسود والأبيض، «ومن كل لون»[1037].

قد أفاد أحد المهتمين بآثار بيت جبرين «أن هذه المقاطع كانت الوحيدة في فلسطين منذ بداية العهد الروماني، وإلى القرن العاشر الميلادي، وكان الناس يدخلون إليها من فتحة بعرض متر ويتوسعون في حفرها، ويقطعون حجارة الرخام منها، ويساعدهم في ذلك طبيعة الأرض وتركيبتها الصخرية، وتكون المغارة في الحصيلة النهائية بما يشبه الجرس، بارتفاع ستة أمتار وعرض تسعة أمتار، وأن غالبية العمران المشاهد في المواقع الأثرية المهمة في فلسطين، والمبني من الرخام اقتطع في حينه من أراضي بيت جبرين، وبانتهائه انتهى وجود الرخام في هذه المنطقة وتكونت بفعل ذلك مغارات كبيرة وكثيرة، يشاهدها الزائر إلى قرية بيت جبرين وتسمى بالكهوف الجرسية»[1038].

وعن كيفية قص الرخام، فكان يقطع بمنشار لا أسنان له، وبنوع خاص من الرمل، ويتم التقطيع بالطول لا بالعرض، «فيخرجون منه ألواحاً كألواح الخشب»[1039].

وبذلك نرى تنوعاً واضحاً في الصناعات في فلسطين فترة الدراسة، كما أن هذه الصناعات اشتركت في أنها كانت صناعات بسيطة لبت حاجة الناس المعاصرين لها.

(1035) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص255.

(1036) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص184.

(1037) ناصر خسرو: سفر نامة، ص54.

(1038) عبد العزيز عرار: قرية بيت جبرين، ص61.

(1039) ناصر خسرو: سفر نامة، ص54.

## ثالثا: التجارة المحلية والإقليمية:

لا تزودنا المصادر التاريخية بمعلومات تفصيلية عن التجارة وأنواعها ودورها في بنية الإقتصاد الفلسطيني خلال فترة الدراسة.

وتفيد بعض الإشارات إلى ازدهار التجارة المحلية والإقليمية، وبالذات تلك التي ارتبطت بالمنتوجات الزراعية والصناعية التي سبقت الإشارة إليها.

وتمثلت التجارة المحلية في تسويق المنتوجات الزراعية والصناعية التي أنتجتها قرى ومدن فلسطين، في أسواق الكور، وربما كان في بعض الكور أكثر من سوق مثل بيت المقدس[1040]، وأسواق عسقلان[1041] التي كان فيها منطقة مخصصة لتجار الثياب سميت «البزازين»[1042]، والرملة[1043] التي كانت عاصمة إدارية واقتصادية لجند فلسطين، حتى وصفت بأنها: «لم تزل مذ مصرت عامرة الأسواق، ودارّة الأرزاق، ينتابها السّفّار، ويحط بها التجار»[1044]، حتى وجدنا في القرن (4هـ/ 10م) تجارة الرملة تغري أحد العلماء القادمين لها من العراق، وهو خلف بن محمد الواسطي، الذي «نزل ناحية الرملة، واشتغل بالتجارة وترك النظر في العلم إلى أن مات هناك»[1045].

وأشار الجاحظ (ت:255هـ/ 869م) إلى أن الشام على العموم « الأشياء بها رخيصة، لبعد المنقل وقلة عدد من يبتاع. ففيما تخرج أرضهم أبداً فضلاً عن حاجتهم»[1046].

(1040) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص166.

(1041) المصدر نفسه، ص174.

(1042) المصدر نفسه، ص174.

(1043) المصدر نفسه، ص165.

(1044) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج1، ص93.

(1045) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج8، ص334.

(1046) البلدان، ص503.

وانتشر في فلسطين بيع المواد الغذائية البسيطة والسهلة والتي تستهلك ميدانياً، فكان طباخون للعدس والبيسار، وكان هناك باعة للفول المنبوت (النابت)، وكان هذا الفول يسلق ويقلى بالزيت ويباع معه الزيتون، أما الترمس فكان يباع مملحاً «ويكثرون أكله»، وبيع الخروب عصيراً حلواً، وفي الشتاء كانت تباع الزلابية، وهي من الحلوى التي تعتمد على الدقيق والسكر[1047].

وارتبطت التجارة الداخلية والخارجية بمهنتي الصرافة والجهبذة، التي تعتمد على الخبرة في معرفة جيد النقود من رديئها، وكان أكثر صيارفة وجهابذة فلسطين من اليهود[1048]. ويبدو أن زهد أكثر المسلمين في هذه المهنة كان تحرزاً من احتمال الوقوع في ربا المعاملات المالية القائمة على استبدال النقد.

وحين خضعت الشام وفلسطين للحكم العباسي في العام (132هـ/ 750م) وتراجع دورها السياسي لصالح العراق، العاصمة السياسية والإدارية للعباسيين، لم تتأثر بذلك تجارتها الخارجية والإقليمية، لعدة عوامل، يمكن الوقوف عليها بالترتيب التالي:

أ. وجود عدد كبير من المدن والموانيء الساحلية على امتداد الشريط الساحلي المطل على بحر الروم، مثل قيسارية وأرسوف ويافة وعسقلان وغزة[1049] مما عزز من دورها في التجارة الإقليمية مع الغرب. كذلك لعب ميناء أيلة على بحر القلزم (الأحمر) دوراً مهماً في التجارة الخارجية المرتبطة بالعالم الجنوبي، «فهي فرضة فلسطين، ومنها يقع جلابهم»[1050].

(1047) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص183.

(1048) المصدر نفسه، ص183-184.

(1049) اليعقوبي: البلدان، ص116؛ قدامة: الخراج وصناعة الكتابة، ص188.

(1050) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص179.

ومن الأصناف التي كانت تستوردها فلسطين، الأخشاب اللازمة للعمران والتشييد، وخاصة أخشاب الصنوبر التي كانت تجلب من حصن التينات[1051]، وهي في ذلك شأنها شأن سائر أجناد الشام والثغور ومصر[1052]. وقد كان ينقل عبر بحر الروم (المتوسط) بواسطة السفن والمراكب[1053].

وفي عهد المأمون (198-218هـ/ 813-833م)، حين أراد بطريرك بيت المقدس إصلاح الكنيسة، أحضر لها خشب الأَرْز والصنوبر من قبرص[1054].

ب. شكلت شبكة الطرق الإقليمية المارة بفلسطين عاملاً مهماً في إثراء الحركة التجارية الإقليمية، وربط أقاليم الدولة الإسلامية بالحجاز حيث موسم الحج السنوي، أو ربطها بمصر والمغرب الإسلامي، وهو ما ذكرته المصادر الجغرافية الأولى.

فالطريق إلى الحجاز أو مصر والمغرب للقادمين من العراق أو الشام يمر باللجون من أعمال الأردن، ثم إلى قلنسوة ثم إلى الرملة، ومنها يفترق إما إلى أيلة لمن أراد الحجاز، أو إلى يبنا ثم عسقلان ثم غزة ثم إلى رفح ثم إلى العريش[1055].

(1051) **التينات:** ثغر وميناء تجاري، على البحر المتوسط، يقع قرب المصيصة، المجاورة للحدود مع الدولة البيزنطية، اشتهر بتصديره لخشب الصنوبر. ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص68؛ ج5، ص145.

(1052) الاصطخري: مسالك الممالك، ص63؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص646.

(1053) ياقوت: معجم البلدان، ج2، ص68.

(1054) ابن البطريق: التاريخ المجموع، ص55.

(1055) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص78-80؛ اليعقوبي: البلدان، ص116-117؛ قدامة: الخراج وصناعة الكتابة، ص118.

ت. وساهمت المكانة الدينية لبيت المقدس، عند المسلمين والنصارى، في تعزيز قدرة فلسطين على التجارة الإقليمية، ففي عهد المنصور (136-158هـ/ 754-775م) كان يقام في بيت المقدس سوق كبيرة في منتصف شهر (تشرين الأول/ أكتوبر) من كل عام يؤمها التجار من الأمم المختلفة[1056]، وأشار برنارد الحكيم (Bernard The Wise) أثناء زيارته فلسطين عام (253هـ/ 867م) إلى أسواق بيت المقدس وإلى منشآت أخرى، فضلاً عن النُزل الذي أسسه الإمبراطور شارلمان، والذي كان رواده ممن يتكلمون بلسان الرومان[1057].

ث. فضلاً عما سبق، ساهمت مجموعة الأصناف الفريدة والمتميزة والوفيرة التي كانت تنتجها أو تصنعها فلسطين في إثراء التجارة الخارجية، «ففيما تخرج أرضهم أبداً فضلاً عن حاجتهم»[1058].

واشتهر من هذه الأصناف الزيت والقطين (التين المجفف)، أو الزبيب (العنب المجفف) بنوعيه العينوني والدوري، والعسل[1059]، والتمر الزغري (نسبة إلى زُغر من قرى الغور)[1060].

وكانت بعض الأصناف تصدر طازجة إلى مصر وغيرها مثل عامة إنتاج جبل نصرة من الفواكه والكروم والأعناب والتفاح[1061].

وكذلك كانت تجارة الزيت وتصديره إلى أقاليم الدولة الإسلامية رائجة في فترة الدراسة، حيث تمتع بشهرة واسعة، وقد ضرب به المثل فى الجودة والنظافة، وأطلق عليه اسم «الزيت الركابي» لأنه كان يحمل على الإبل[1062].

(1056) نبيه عاقل: فلسطين من الفتح العربي الإسلامي إلى أواسط القرن الرابع الهجري، الموسوعة الفلسطينية، ق2، ج2، ص312؛ بيان نويهض الحوت: فلسطين القضية الشعب الحضارة، ص108.

(1057) The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.26.

(1058) الجاحظ: البلدان، ص503.

(1059) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص180.

(1060) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص131.

(1061) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص172.

(1062) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص532.

وذكر السمعاني في كتابه الأنساب، أن أبو زكريا يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن (ت:202هـ/ 817م)، كان أصله من الكوفة، و«أقام بالرملة يجهز الزيت إلى الكوفة وغيرها»، حتى غلب على اسمه الرملي[1063]. كما أن يزيد بن عبد الله بن موهب الرملي (ت:237هـ/ 851م) كان له إبل يكريها إلى مصر في نقل البضائع والزيت[1064].

ورأى ناصر خسرو الذي زار فلسطين في (438هـ/ 1046م)، أهل فلسطين يحفظون الزيت في الآبار والأحواض المعدة خصيصاً لذلك، ثم «يصدرونها إلى أطراف العالم»[1065]، وفي مصدر متأخر، ذكر شيخ الربوة (ت: 727 هـ/ 1327م) أن زيت نابلس «يحمل إلى الديار المصرية وإلى الحجاز والبراري مع العربان ويحمل إلى جامع بني أمية منه في كل سنة ألف قنطار بالدمشقي[1066]، ويعمل فيه الصابون الرقي يحمل إلى سائر البلاد التي ذكرنا وإلى جزائر البحر الرومي»[1067].

(1063) ج3، ص91.

(1064) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج65، ص274.

(1065) سفر نامة، ص56.

(1066) **القنطار الدمشقي (الشامي):** وحدة وزن تساوي 100رطل شامي، والرطل الشامي 2أُقَّة، والأوقة 10 أوقيات شرعية، والأوقية الشرعية 40 درهم، والدرهم (2.3328) جم، وعليه يعادل القنطار: 186624جم، أي 186.624 كيلوجرام. محمد عمارة: قاموس المصطلحات الإقتصادية، ص468؛ محمد صبحي بن حسن حلاق: الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، ص168.

(1067) شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص200.

وقدم البشاري المقدسي قائمة بالأصناف التي كانت تصدرها فلسطين، ومنها مما لم يذكر أعلاه: الخرنوب، والجبن والقطن والتفاح، وقضم قريش «الذي لا نظير له»، ومن الأقمشة المُلاحم والفوط، والمآزر التي صنعت في الرملة، ومن الصناعات الصابون والمرايا وقدور القناديل والإبر، والنيل، والتمور[1068]، وتميز منها التمر الزغري[1069].

وأنتجت الرملة صنف من التين، «ليس أحسن منه في أي مكان، يصدَّر منها إلى جميع البلاد»[1070].

وبذلك نرى أن النشاط في فلسطين فترة الدراسة كان متنوعاً وقوياً، اعتمد على الموارد والقدرات الذاتية للمكان والسكان، كما ساهمت الزراعة بشكل أساسي في ازدهار باقي القطاعات مثل الصناعات والتجارة التي استقطبت التجار من شتى البقاع.



(1068) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص180-181.

(1069) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص131.

(1070) ناصر خسرو: سفر نامة، ص54.

تاريخ فلسطين في العصر العباسي

# الفصل الرابع

## العلوم والعمران في فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر

# المبحث الأول
# الأحوال العامة للحياة العلمية

رفع الإسلام من شأن العلم والعلماء[1071]، وحث على طلب العلم، والتفقه في أمور الدين والدنيا، فاكتسبت الحياة العلمية في الإسلام شخصيتها، التي كانت تميزها عن غيرها من الأمم، وقد شهدت فلسطين خلال فترة الدراسة حركة علمية نشطة في شتى المجالات العلمية والتعليمية، وقامت هذه الحركة على عدد من المؤسسات والأنظمة التي كفلت للعالم والمتعلم بيئة وأساليب تعين كلا منهما على العطاء والتحصيل، كما قامت على امتداد مساحة فلسطين عدد من المدن التي تميزت بدورها ونشاطها في هذا المجال.

ولم تكن الأحوال العامة للحياة العلمية وليدة فترة الدراسة، إنما هي امتداد لسابقتها، إذ لم يتأثر الواقع العلمي في فلسطين بانتهاء العصر الأموي، وتراجع المكانة السياسية لفلسطين، إنما ظل محافظاً إلى حد ما على مكانته السابقة.

وفي هذا المبحث سيتم دراسة الأحوال العامة للحياة العلمية من خلال استقراء عوامل نشاط الحركة العلمية، والمؤسسات والأنظمة التي رعت تلك الحركة، وأهم المراكز والمدن التي احتضنتها.

(1071) سيرد في هذا المبحث عدد كبير من أسماء العلماء الذين لم يترجم لهم نظراً لورود تراجمهم والتعريف بهم في متن المبحث التالي.

## أولاً: عوامل نشاط الحركة العلمية:

أ. وجود تراث علمي كبير ومتنوع تم وراثته عن جيل الصحابة والتابعين الذين نزلوا وعاشوا في فلسطين والشام، فقد «دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1072]. وتخرج على أيديهم عدد من العلماء التابعين الذين كان يُرحل إليهم من الأقطار.

فمن الصحابة الذين أقاموا في فلسطين، تميم بن أوس الداري[1073]، ومعاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت[1074]، وشداد بن أوس[1075]، وكانت الصحابية أم الدرداء (خَيرة بنت أبي حَدْرد الأسلمي) تقيم ستة أشهر ببيت المقدس وستة أشهر بدمشق[1076]، وغيرهم الكثير الذين كان لهم دور مباشر في تأسيس جيل من أعلام المحدثين والفقهاء والقراء[1077]، الذين تمثلوا بالتابعين.

وكان من كبار التابعين الذين تعلموا على يد الصحابة، رجاء بن حيوة الكندي، «سيد أهل فلسطين»[1078]، وإبراهيم بن أبي عبلة «شيخ فلسطين»[1079]، ومحدث أيلة وفقيهها الإمام محمد بن مسلم الزهري[1080].

(1072) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج1، ص327.

(1073) ابن الأثير: أسد الغابة، ج1، ص319.

(1074) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص387-388؛ أبو زرعة الدمشقي: تاريخ أبي زرعة، ص52؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، ص159؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص625

(1075) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص401.

(1076) ابن حبان: الثقات، ج5، ص517.

(1077) انظر: أسامة أبو نحل: الصحابة وأدوارهم على أرض فلسطين.

(1078) ابن حبان: الثقات، ج4، ص237.

(1079) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج6، ص440؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، 323، 325.

(1080) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، ص349.

وقد كان لرعاية الأمويين للعلماء في عصرهم، في فلسطين وغيرها، دور مهم في إثراء هذا التراث العلمي الذي استفادت منه العصور اللاحقة، يقول في ذلك إبراهيم بن أبي عُبلة (ت:152هـ/ 769م)، «كان الوليد [بن عبد الملك] يعطيني قصاع الفضة أقسمها على قراء بيت المقدس»[1081]، إلى غير ذلك من أشكال الرعاية الأخرى[1082]. وهو الأمر الذي لم يلمسه الباحث في عهد العباسيين محل الدراسة، إذ لا توجد إشارة تفيد رعايتهم لأهل العلم في فلسطين، وكانت جهودهم ذاتية في هذا الشأن كما سيتضح لاحقاً.

ب. المكانة الدينية والروحية والجهادية التي تمتعت بها فلسطين، لوجود المسجد الأقصى، وكذلك تعدد ثغورها البحرية، وتحولها قبلةً للمتصوفة والزهاد والمجاهدين، مما جذب عدد من العلماء للاستقرار بها والجهاد في ثغورها، وقد صرح السمعاني بذلك، فقال عن الرملة: «كان بها جماعة من العلماء والصلحاء، وكان بها الرباط للمسلمين، وكان يسكنها جماعة من العلماء الصالحين للمرابطة بها»[1083].

(1081) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج5، ص245؛ العاصمي: سمط النجوم العوالي، ج3، ص291.

(1082) انظر: كامل العسلي، التربية والتعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، الموسوعة الفلسطينية، ق2، ج3، ص6.

(1083) الأنساب، ج3، ص91.

فالمحدث والواعظ والمجاهد عطاء بن أبي مسلم الخراساني (ت:135هـ/ 752م)، انتقل من بلخ إلى بيت المقدس، وكان «معروف بالفتوى والجهاد»[1084]، وحفظت كتب التراجم أن عمر بن محمد بن زيد العمري، من (ق2هـ/ 8م)[1085]، «نزيل عسقلان»[1086]، وكان «ثقة جليل مرابط»[1087]. ومما أُثر أن راهباً من أحد الأديرة القريبة من الرملة، أسلم ثم توجه إلى بعض الثغور فغزا حتى مات شهيداً[1088].

ونجد العالم المجاهد زيد بن أبي الزرقاء الموصلي، الذي قدم إلى الرملة، ثم ذهب إلى الغزو فأُسر وتوفي وهو أسير في العام (197هـ/ 812م)[1089]، ومنهم علي بن الحسن المروزي (ت: بعد 217هـ/ 832م)، «نزيل عسقلان»[1090]، ومنهم أبو جعفر محمد بن يعقوب الصوفي المعروف بابن الفرجي، الذي كان غنياً من أهل سُرَّ من رأى[1091]، فأنفق ماله على طلبة العلم والنساك، «ونزل الرملة، وكان له مجلس للوعظ بجامعها»[1092].

(1084) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص141.

(1085) أبو نصر: الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، ج1، ص350.

(1086) الذهبي: المغني في الضعفاء، ج2، ص473.

(1087) الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ج2، ص69.

(1088) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج2، ص297؛ ياقوت: الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة، ق2، ص46-47.

(1089) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج13، ص179.

(1090) البخاري: التاريخ الكبير، ج6، ص270؛ ابن حبان: الثقات، ج8، ص469.

(1091) **سُرَّ من رأى:** هي سامراء، وقد مرَّ تعريفها في المبحث الثالث من الفصل الأول.

(1092) السمعاني: الأنساب، ج4، ص360.

وقد أتاح قدوم عدد كبير من هؤلاء العلماء إلى فلسطين، الفرصة لطلاب العلم بأن يتبادلوا العلوم والمعارف مع غيرهم، مما أفادهم بالحصول على روايات جديدة وخاصة في الحديث لصحابة لم يعيشوا في الشام.

ت. وقوع فلسطين على طريق إقليمي، مما يسَّر لطلاب العلم فيها الالتقاء بعدد من العلماء المارين بها سواء للانتقال إلى مصر أو مكة، فمثلاً أخذ أبو عمير بن النحاس الرملي (ت:256هـ/ 869م) الحديث من العالم الدمشقي الوليد بن مسلم (ت:195هـ/ 810م) عندما مر بالرملة حاجاً[1093]، وهذا أيوب بن إسحاق بن إبراهيم بن سافري (ت: 259هـ/ 772م)، ينتقل من بغداد إلى الرملة فيحدث بها ثم ينتقل منها إلى مصر[1094].

ث. زيارة عدد من العلماء الكبار والمشهورين لفلسطين، إما لبيت المقدس، والصلاة فيها، أو لغيرها من المدن للالتقاء بمحدثيها وعلمائها، مما مكَّن أهلها من الالتقاء بهؤلاء الأعلام والأخذ عنهم ونشر رواياتهم التي دونوها في مصنفاتهم كما سيتضح ذلك عند الحديث عن إسهامات علماء فلسطين في المبحث التالي.

ومن كبار العلماء الذين زاروا فلسطين والمسجد الأقصى، «واحد زمانه وإمام عصره»[1095]، «عالم أهل الشام»[1096] الإمام عبد الرحمن الأوزاعي (ت:157هـ/ 773م)[1097]، وكذلك «عالم أهل مصر» الليث بن سعد (175هـ/ 791م) الذي قدم فلسطين وقابل الخليفة المنصور أثناء زيارته لبيت المقدس (154هـ/ 771م)[1098]. وزارها كذلك الإمام الشافعي (150-204هـ/ 767-819م) أحد الأئمة الأربعة، فقد أتاها زائراً مصلياً في المسجد الأقصى، وقال: «سلوني بما شئتم أخبركم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[1099].

(1093) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص52-53؛ تاريخ الإسلام، ج19، ص225.

(1094) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج7، ص9.

(1095) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج6، ص135.

(1096) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص109.

(1097) ابن عدي: الكامل، ج6، ص256.

(1098) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص308.

(1099) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، 354-357؛

ولما قدم «الإمام العالم المجمع على جلالته وزهده وورعه»[1100]، «أمير المؤمنين في الحديث»[1101]، سفيان الثوري (ت:161هـ/ 777م) إلى بيت المقدس زائراً مصلياً، «أرسل إليه إبراهيم بن أدهم: تعال حدثنا... فجاء فحدثهم»[1102].

كما زارها في تلك الفترة شيخ الإمام الشافعي، وكيع بن الجراح (ت:197هـ/ 812م)، وقد ذكر أبو داود (ت:275هـ/ 888م) في سننه أن وكيعاً قد أحرم من بيت المقدس إلى مكة، وذلك لورود حديث للنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: «**مَنْ أَهَلَّ بِحَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»[1103][1104].

وفي أوائل القرن (3هـ/ 9م) قدم إلى فلسطين الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت:256هـ/ 869م) صاحب كتاب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، ودخل عسقلان ليسمع من آدم بن أبي إياس (ت:220هـ/ 834م)[1105].

(1100) المصدر نفسه، 352.

(1101) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص236.

(1102) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج6، ص367.

(1103) أبو داود: سنن أبي داود، ج2، ص77.

(1104) حكم الشيخ الألباني على هذا الحديث بالضعف، وقد ذكر محقق سير أعلام النبلاء تعليقاً على فعل وكيع: السنة أن يحرم الإنسان من الميقات الذي يمر به. الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج9، ص145.

(1105) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج2، ص555.

وفي الفترة نفسها، قدم المحدث المصري أحمد بن صالح إلى الرملة، فسأله طلبة العلم «أن يحدثهم ويجلس للناس»، فأبى وامتنع عن ذلك، فشفع لهم عنده محمد بن أبي السري العسقلاني (ت:238هـ/ 852م)، فلما قبل «حدَّث حينئذ بألوف من حفظه»(1106). وكذلك زارها الإمام أبو زرعة الرازي (ت:264هـ/ 878م) ليستمع الحديث من محمد بن أبي السري العسقلاني (ت:238هـ/ 852م)(1107)، وبعده بسنين (قبل:254هـ/ 867م) زارها الإمام أبو داود (ت:275هـ/ 888م)، صاحب السنن(1108) ليأخذ الحديث عن أهلها، ولابد أنهم قد استفادوا من علمهم.

### ثانياً: المؤسسات والأنظمة:

كان التعليم العام في ذلك العهد مرحلتين؛ المرحلة الأولى: هي التعليم الأولي أو الابتدائي، والمرحلة الثانية: هي مرحلة الدراسات المتقدمة، وكانت تجري العملية التعليمية المنظمة في غالب الأحيان في مؤسستين، هما: الكتاتيب والمساجد.

#### أ. الكتاتيب.

وتسمى المكاتب، ومفردها كُتَّاب ومكتب، وهي موضع تَعْلِيم الصبيان الكتابة، ويسمى معلم الكتَّاب بالمُكْتِبُ(1109).

(1106) ابن عدي: الكامل، ج1، ص181.

(1107) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص67.

(1108) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج13، ص181.

(1109) ابن منظور: لسان العرب، مادة (كتب)؛ وعن تسمية معلم الكتاب بالمكتب انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج5، ص474، ج9، ص26.

ورغم قلة الإشارات عن الكتاتيب في فلسطين فترة الدراسة، فإن المعروف أنها استمرت في العمل ببلاد الشام عامة، كأحد المؤسسات التي تقدم التعليم الابتدائي للصبيان، وكانت تتولى تعليم الطلبة الكتابة والقرآن الكريم، وقد نبغ من معلمي الكتاب في فلسطين عبد الحميد بن يحيى القيسراني، الشهير بعبد الحميد الكاتب[(1110)] (ت:132هـ/ 750م)، إذ كان «معلم صبيةٍ يتنقل في البلدان» قبل أن يصبح كاتباً لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية[(1111)].

وكانت أم الدرداء تدرب الصبيان على الكتابة في الكتَّاب باستخدام الحكم والأمثال، وتبتعد عن آيات القرآن حتى لا تُمتهن، فقد كتبت لأحد طلبتها، في لوحه وهي تعلمه: «تعلموا الحكمة صغارا تعملوا بها كبارا... وإن كل زارع حاصد ما زرع من خير أو شر»[(1112)].

ويبدو أن أسلوب التعليم هذا لم يتطور كثيراً، فعندما زار ابن جبير (ت:614هـ/ 1217م) بلاد الشام خلال رحلته التي ابتدأت عام (578هـ/ 1182م)، وصف طريقة التعليم في الكتاتيب.

وفي ذلك يقول: «وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين، يعلِّمون الخط في الأشعار وغيرها، تنزيها لكتاب الله عز وجل عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو، وقد يكون في أكثر البلاد المُلقِّن على حدة والمُكْتب على حدة فينفصل من التلقين إلى التكتيب، لهم في ذلك سيرة حسنة ولذلك ما يتأتى لهم حسن الخط ،لأن المعلم له لا يشتغل بغيره فهو يستفرغ جهده في التعليم والصبي في التعلم كذلك ويسهل عليه لأنه بتصوير يحذو حذوه»[(1113)].

(1110) **عبد الحميد الكاتب (ت:132هـ/ 750م):** يضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسلون، حتى قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد، قتل مع مروان بن محمد في مصر. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص229؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص290.

(1111) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص229؛ الزركلي: الأعلام، ج3، ص290.

(1112) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج70، ص158.

(1113) رحلة ابن جبير، ص245.

وقد ظهر نوع من التعليم الإبتدائي، كان موجهاً لأبناء الطبقة العليا في المجتمع، مثل أبناء الأمراء والخلفاء والأثرياء، وكان يختار لهم من المعلمين الأكفاء، وكان هذا المعلم يسمى المؤدِّب، وقد كان أحمد بن مروان الرملي (ت:215هـ/ 830م) من أهل فلسطين ، مؤدباً، وإلى جانب قدرته على التعليم وصقل مهارات طلبته بشتى العلوم، وكان من الشعراء والمحدِّثين[1114].

**ب. المساجد.**

كانت المساجد المؤسسة الأهم في نشر العلوم المختلفة آنذاك، فإلى جانب مكان لصلاة المسلمين واجتماعهم، فهي بمثابة معاهد علمية، يلتقي فيها طلبة العلم بشيوخهم، وتدور فيها النقاشات والقراءات واللقاءات.

وانتشرت المساجد في معظم المدن الفلسطينية، وقد بنيت المساجد الأولى بعد الفتح مباشرة، مثل مساجد بيت المقدس وقيسارية وسبسطية ونابلس ولد ويافا وأجنادين[1115]، كما اهتم الأمويون ببناء المساجد وعمارتها، فبنى سليمان بن عبد الملك المسجد الأبيض في الرملة[1116]، وعمَّروا المسجد الإبراهيمي في الخليل[1117]، وفي عهد عبد الملك بن مروان (65-86هـ/ 685-705م) تم إعادة إعمار مسجد قيسارية بعد أن هدمته الروم[1118].

(1114) ياقوت: معجم الأدباء، ج2، ص518؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، ص391.

(1115) كامل العسلي: التربية والتعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، الموسوعة الفلسطينية، ق2، ج3، ص9.

(1116) اليعقوبي: البلدان، ص 116؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص149؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص102.

(1117) كامل العسلي: التربية والتعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، الموسوعة الفلسطينية، ق2، ج3، ص9.

(1118) الباذري: فتوح البلدان، ص148.

وفي عهد العباسيين، فضلاً عن ترميمات المسجد الأقصى[1119]، فقد دلت الاكتشافات الأثرية التي جرت في عام (1300هـ/ 1883م)، بعسقلان على بناء مسجد فيها أمر بإنشائه الخليفة المهدي بن المنصور (158-169هـ/ 775-785م)[1120]، وكما كان مسجد غزة العمري قائماً عامراً آنذاك[1121].

وكانت المساجد بمثابة معاهد لتلقي العلوم، ولا سيما الدينية منها، حيث تعقد في المسجد الواحد حلقات عدة؛ مثل مجالس الإقراء لتدارس وتعلم القرآن الكريم، ومجالس للإفتاء، ومجالس للحديث، ومجالس للغة، وأخرى للقصص والوعظ، ويختار الطالب أي من المجالس التي يرغب فيها ليطور علمه في هذا الاتجاه أو لينوع معارفه في تلك العلوم[1122].

فعندما أتى الإمام الشافعي (150-204هـ/ 767-819م) بيت المقدس وبعد أن صلى في المسجد الأقصى، قال: «سلوني بما شئتم أخبركم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم»[1123].

وهذا محمد بن الفرج المعروف بابن الفرجي (ت: بعد 270هـ/ 883م)، لما نزل الرملة «كان له مجلس للوعظ في جامعها»[1124]، وفي القرن (3هـ/ 9م) كانت حلقات العلم تعقد في المسجد العمري بغزة[1125].

(1119) انظر: المبحث الأخير من هذا الفصل.

(1120) مصطفى مراد الدباغ: الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، ص192.

(1121) الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص283.

(1122) سمية الوافي: التعليم في بلاد الشام في العصر الأموي (رسالة ماجستير غير منشورة)، ص72-75.

(1123) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، 354-357.

(1124) السمعاني: الأنساب، ج4، ص360.

(1125) الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص283.

وكان تعليم القرآن في المساجد يبتدىء منذ الصباح عبر حلقات، في كل حلقة عشرة من الطلبة، لكل عشرة منهم مقريء، ويتسابقون فيما بينهم، فإذا ما انتهى أحدهم من الحفظ تحول إلى شيخه، فأضاف إليه الشيخ عشرة من الطلبة ليكون مقرئهم[1126].

أما باقي العلوم ولا سيما الحديث، ففي القرن الثاني وبعد شيوع الكتابة، ظهرت طريقة الإملاء، بحيث يملي الشيخ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، إما من حفظه أو من كتابه، ويملي الطلاب فقرة فقرة، أو حديثاً حديثاً مع اتصال السند، وبعد الانتهاء يعقب بالشرح والتفسير والتوضيح لما غمض في الحديث، ويدوِّن الطلاب هذه الشروح على هامش أوراقهم[1127]. ومن تلك الطرق كانت القراءة، وهي تختص في تدريس مواد أو أحاديث ليست من إنتاج المعلم نفسه، وكانت البداية لتقرير الكتب على الطلبة[1128].

وقد كانت هذه الأساليب متبعة في فلسطين، شأنها شأن باقي الأقطار الإسلامية، فقد كتب الإمام الشهير أبو داود سليمان بن الأشعث (ت:275هـ/ 888م)، صاحب السنن، الحديث في الرملة عن المحدث المؤمل بن أهاب بن عبد العزيز (ت:254هـ/ 867م)[1129].

وقد حدَّث يوسف بن عبد الأعلى «قراءة عليه بجامع الرملة» وذلك عام (220هـ/ 834م)[1130]، ولما زار بكر بن سهل بن إسماعيل الدمياطي (ت:189هـ/ 804م) فلسطين، قرأ التفسير على طلبة العلم في بيت المقدس والرملة بعد أن جمعوا له النقود لذلك[1131].

---

(1126) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج1، ص328.

(1127) سمية الوافي: التعليم في بلاد الشام في العصر الأموي (رسالة ماجستير غير منشورة)، ص107.

(1128) كامل العسلي: التربية والتعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، الموسوعة الفلسطينية، ق2، ج3، ص11.

(1129) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج13، ص181.

(1130) الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص88.

(1131) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج21، ص135.

ومن الأساليب الأخرى المتبعة في التعليم: التلقين والسماع، فقد لقن ابن وهب الدينوري أبا عمير النحاس الرملي (ت:256هـ/ 869م) أربعين حديثاً من حديثه في مجلس واحد[1132]، كما أن روح بن يزيد السناجي العسقلاني، قد سمع من أبي شيبة النفيسي في الرملة عام (217هـ/ 832م)[1133].

### ج. أماكن أخرى.

ورغم مركزية المسجد في العملية التعليمية، إلا أن ذلك لم يمنع أخذ العلم أو الوعظ في أماكن أخرى، لأن العلم آنذاك اعتمد غالبه على الرواية، وكان لا يحتاج إلى تعقيد في الوسائل والأدوات والأماكن، وقد دلت إشارات عديدة في المصادر على تدارس العلم وتلقيه في عدد من الأماكن غير المساجد، كان منها بيوت الأمراء ومجالسهم، فقد دخل العابد عبَّاد بن عبَّاد على أمير فلسطين إبراهيم بن صالح العباسي (ت:176هـ/ 792م) «فقال: عظني، فقال: بما أعظك أصلحك الله، بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ماذا يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك، قال: فبكى إبراهيم حتى سالت دموعه على لحيته»[1134]، وكذلك دخل أبو عمر الصنعاني (ت:181هـ/ 797م) على أمير عسقلان بشر بن روح، فوعظه قائلاً له: «أصلح فيما بقي من عمرك يغفر لك ما قد مضى منه، ولا تفسد فيما بقي فتؤخذ بما قد مضى»[1135]

(1132) الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج12، ص53.

(1133) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص259.

(1134) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج6، ص446.

(1135) المزي: تهذيب الكمال، ج7، ص76.

ومن الأماكن الأخرى كانت بيوت العلماء[1136]، وأملاكهم الخاصة مثل ضيعة الإمام الزهري الفلسطيني في أيلة[1137]، ومجالسهم مثل مجلس إبراهيم بن أدهم (ت:161هـ/ 778م) في بيت المقدس[1138]، وفي الطرق[1139]، سواء طالب علم أو من العوام، ففي بيت المقدس، كان عطاء بن أبي مسلم (ت:135هـ/ 752م) يقول: «أوثق عملي في نفسي نشر العلم»[1140]، وكان يجلس مع المساكين «فيعلمهم ويحدثهم»[1141].

### د. الرحلة في طلب العلم.

عُدت الرحلات العلمية في ذلك العصر، أحد الأدوات الأساسية في بناء ثقافة وشخصية العالم، وقد شجع الإسلام ابتداءً على الرحلة، فقد روى أبو الدرداء لرجل رحل إليه من المدينة إلى دمشق يطلب العلم، حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[1142].

(1136) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص239.

(1137) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج7، ص43؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص302؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج7، ص228.

(1138) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج6، ص367.

(1139) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص255؛ المزي: تهذيب الكمال، ج10، ص 367.

(1140) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص142.

(1141) المصدر نفسه، ج6، ص142.

(1142) ابن ماجة: سنن ابن ماجة، ج1، ص213.

وعليه، فقد كانت الرحلة محببة ومحمودة، وقد رحل علماء فلسطين إلى غيرهم كما رحل غيرهم من العلماء إليهم، ويبدو أن ترك الرحلة للعالم كان أمراً مستغرباً في عرف تلك العهود، فقد جاء في ترجمة أبي عمير، ابن النحاس الرملي (ت:256هـ/ 869م)، أنه «ثقة، لم يرحل»[1143].

وقد حفِظت كتب التراجم والرجال رحلات العلماء إما تصريحاً أو بذكر شيوخ المترجَم له ممن لم يلقاه في بلده، فقد رحل العالم الفلسطيني الشهير آدم بن إياس العسقلاني (ت: 220هـ/ 834م) إلى الكوفة والبصرة والحجاز ومصر والشام[1144]، «ولقي الشيوخ وسمع منهم»[1145].

وقد رحل عاصم بن رجاء بن حيوة الكِنْدي الفلسطيني إلى العراق، «فكتب عنه العراقيون»[1146]، كما وُصِف المحدث أبو يزيد العسقلاني هارون بن أبي الهيذام من أهل القرن (3هـ/ 9م) بأنه «حافظٌ رحَّال»[1147].

وكان يونس بن يزيد الأيلي (ت:152هـ/ 768م)، من موالي بني أمية، وقد روى الحديث عن الإمام الزهري، «وكان الزهري إذا قدم أيلة نزل عنده، ثم يزامله إلى المدينة»[1148]، وكانت آخر رحلات يونس إلى مصر حيث توفي هناك[1149]، وكان من أهل أيلة كذلك عقيل بن خالد الأيلي (ت:141هـ/ 758م) من تلاميذ الإمام الزهري وصاحبه، «وكان يصحب الزهري في السفر والحضر»[1150].

(1143) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج19، ص225.

(1144) الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، ج2، ص339؛ المزي: تهذيب الكمال، ج2، ص301.

(1145) المزي: تهذيب الكمال، ج2، ص301.

(1146) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص290.

(1147) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج21، ص319.

(1148) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج1، ص162.

(1149) ابن حبان: الثقات، ج7، ص649.

(1150) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج7، ص43.

أما يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن العسلي الرملي (ت:201هـ/ 816م)، فقد «كان يختلف إلى العراق»، وروى عن علمائها[1151].

وربما أخذت الرحلة شكلاً جماعياً، على هيئة وفد علمي، فقد خرجت جماعة من الفلسطينين كانوا «من أصحاب الحديث» إلى مصر ليسمعوا من قاضيها بكار بن قتيبة (ت:270هـ/ 883م).

كما رحل إلى فلسطين عدد من العلماء المشهورين ليسمعوا ويأخذوا الحديث من علمائها، واشتهر منهم محمد بن يوسف بن واقد الفريابي (ت:212هـ/ 827م)، الذي كان من أكبر شيوخ البخاري[1152]، وقد «كان الناس يرحلون إليه إلى قيسارية من ساحل فلسطين»[1153]، وقد رحل إليه الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب، فلما اقترب من قيسارية نُعي إليه، فعدل إلى حمص[1154].

وقد سبق الإشارة إلى رحلة الإمام أبو داود (ت:275هـ/ 888م)، صاحب السنن، وأخذ الحديث عن أهلها وذلك قبل عام (قبل:254هـ/ 867م)[1155]، وكذلك رحلة سفيان الثوري (ت:161هـ/ 777م) الثابت فيها أنه قد حدث أهل بيت المقدس[1156]. وقد رحل إلى فلسطين المحدث إسحق بن راشد، من القرن (2هـ/ 8م)، فوجد في بيت المقدس كتاباً للزهري، فأخذه وأصبح يحدث منه[1157].

(1151) العيني: مغاني الأخيار، ج5، ص253.

(1152) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص87.

(1153) المصدر نفسه، ج15، ص401.

(1154) المصدر نفسه، ج15، ص401.

(1155) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج13، ص181.

(1156) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج6، ص367.

(1157) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج8، ص212؛ المزي: تهذيب الكمال، ج2، ص422.

وكذلك رحل إلى فلسطين المحدِّث يعقوب بن سفيان الفسوي (ت:277هـ/ 890م)، وسمع فيها من «مشايخ بفلسطين»، وذلك عام (219هـ/ 833م)[1158]، وزارها ثانية في العام (241هـ/ 855م) والتقى بمشايخ من عسقلان[1159]، وذهب إلى أيلة في إحدى هذه الرحلات ليسأل عن كتب المحدث سلامة بن روح الأيلي (ت:197هـ/ 812م) ويتحقق من مدى صحة حديثه عن محمد بن عُزيز (ت:167هـ/ 783م)[1160].

ومن الأعلام الذين رحلوا إلى فلسطين كان الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت:256هـ/ 869م) صاحب كتاب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، ودخل عسقلان ليسمع من آدم بن أبي إياس العسقلاني (ت:220هـ/ 834م)[1161]، وكذلك زارها الإمام أبو زرعة الرازي (ت:264هـ/ 878م) ليستمع الحديث من محمد بن أبي السري العسقلاني (ت:238هـ/ 852م)[1162].

### ثالثاً: مراكز النشاط العلمي.

سبق الحديث عن المؤسسات التعليمية ودورها في إثراء وتعزيز مختلف جوانب الحياة العلمية، وقد انتشرت هذه المؤسسات والمجالس على امتداد جند فلسطين، كما دلت على ذلك تراجم العلماء، ولكن بقي هناك تفاوت بين المدن في عدد العلماء المبرزين منها، ومدى نشاطهم مقارنة بعلماء مدن أخرى في الجند نفسه، ويمكن الوقوف على أهم المدن التي كانت بمثابة مراكز إشعاع علمي، خلال فترة الدراسة، وكانت كالتالي:

(1158) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج1، ص204.

(1159) المصدر نفسه، ج1، ص212.

(1160) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج9، ص309.

(1161) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج2، ص555.

(1162) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص67.

**أ. بيت المقدس.**

تميزت بيت المقدس بالقدسية التي أحاطت بها، وكونها قبلة للعلماء والزهاد والعباد والباحثين عن الأمان النفسي، فكانت مركزاً من مراكز العلم والفقه في فلسطين فترة الدراسة، وقد ساهم في ذلك عدد من الأقوال المأثورة التي ترفع من شأن التردد على بيت المقدس أو السكن فيها، ومن هذه الآثار ما نسب إلى وهب بن منبه بأن «أهل بيت المقدس جيرانٌ الله عز وجل، وحق على الله تعالى أن لا يعذب جاره»، وقول كعب الأحبار: «لا تقوم الساعة حتى يزور البيت الحرام بيت المقدس، فينقادا إلى الجنة جميعا وفيهما أهلوهما»، وما أثر عن عبد الملك الجزري أنه قال: «إذا كانت الدنيا في بلاء وقحط كان الشام في رخاء وعافية، وإذا كان الشام في بلاء وقحط كانت فلسطين في رخاء وعافية، وإذا كانت فلسطين في بلاء وقحط كان بيت المقدس في رخاء وعافية»، وقول خالد بن معدان: «مقبور بيت المقدس لا يعذب»[1163].

وقد سبق الحديث عن مكانة المسجد الأقصى ودوره في جذب عدد من أعلام ذاك العصر للصلاة وكيف استفاد منهم طلبة العلم المقيمين ببيت المقدس.

ومن مظاهر نشاط الحركة العلمية في بيت المقدس، فإنه لما قدم سليمان بن مقاتل (ت:150هـ/ 767م) إلى بيت المقدس، «اجتمع إليه خلق كثير من الناس يكتبون عنه ويسمعون منه»[1164].

(1163) انظر هذه الأقوال وغيرها: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج1، ص94.

(1164) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص350.

ومنها ما حدث مع بكر بن سهل بن إسماعيل الدمياطي (ت:189هـ/ 804م)، حين جمع لـه طلبة العلم في بيت المقدس والرملة ألف دينار حتى يقرأ عليهم التفسير بعد أن امتنع عـن ذلـك مقابل خمسمائة دينار من أهل الرملة وحدها[1165].

وقد دلت إشارات أخرى واردة في المصادر على حركة علمية نشطة حفلت بها بيت المقدس، تنوعت فعالياتها بين التحديث[1166]، والقراءة[1167]، والسماع[1168]، وتداول الكتب[1169]، والإفتاء[1170]، ونجد كذلك حوارات بين العلماء[1171]، وجماعات من قراء القرآن[1172]، وحديث تصوف وتهـذيب للنفس[1173]، وجماعات من الكرَّامية[1174][1175].

(1165) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج21، ص135.

(1166) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج6، ص11.

(1167) المصدر نفسه، ج7، ص350.

(1168) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص 353.

(1169) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج8، ص212؛ المزي: تهذيب الكمال، ج2، ص422.

(1170) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، 357.

(1171) المصدر نفسه، 352.

(1172) أبو نعيم: حلية الأولياء، ج5، ص245.

(1173) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، 352.

(1174) ابن حجر: تهذيب التهذيب، 6، ص314.

(1175) **الكرامية:** انظر: الفصل الثالث، المبحث الأول.

وعن العلماء، فقد نبغ عدد منهم بيت المقدس قُيدت رواياتهم في كتب الحديث والفقه، وذكرتهم كتب التراجم والرجال، كان منهم «شيخ فلسطين»، القاريء إبراهيم بن أبي عُبلة (ت: 152هـ/ 769م)(1176)، ومنهم عاصم بن رجاء بن حيوة الكندي، من ثقات أهل الشام ومتقنيهم، روى عن أبيه رجاء (ت:112هـ/ 730م)(1177)، كما اشتهر منهم ضُمرة بن ربيعة (ت:202هـ/ 817م) الذي برز في مجالي الفقه والحديث، وكان من العلماء المكثرين في روايته(1178)، وغيرهم من الذين سيتم دراسة إسهاماتهم في المبحث التالي.

### ب. الرملة.

كانت الرملة العاصمة الإدارية والتجارية لجند فلسطين، وقد شهدت خلال فترة الدراسة ما يمكن تسميته بالثورة العلمية، إذ أمها عدد كبير من العلماء، ويمكن الوقوف على هذه الحقيقة من خلال مطابقة إسهامات علمائها في المبحث التالي، فقد كان أكثر علماء فلسطين ممن وقفنا على تراجمهم منها أو عاشوا فيها.

ومن دلالات النشاط العلمي فيها ظهور مصطلح «أهل الرملة» على جماعة المحدثين المنتسبين لها(1179).

(1176) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج6، ص440؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، 323، 325.

(1177) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص290؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج1، ص118؛ المزي: تهذيب الكمال، ج13، ص483؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج5، ص37؛

(1178) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج24، ص404، 414؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج1، ص3.

(1179) المزي: تهذيب الكمال، ج3، ص476؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج1، ص354.

وفضلاً عما قام به أهل الرملة من جمع خمسمائة دينار لبكر بن إسماعيل الدمياطي ليقرأ عليهم التفسير[1180]، فقد وقعت للمحدث مؤمل بن أهاب (ت:254هـ/ 867م) حادثة في الرملة تبين كثرة علماء الحديث وطلبته فيها، وحرصهم على التعلم، مما أدخلهم في منافسات ومناكفات لا تخلو من طرفة ومزحة سمجة، فضلاً عن المكانة التي تمتعوا بها. ومختصر الحادثة أنه لما قدم مؤمل إلى الرملة «اجتمع عليه أصحاب الحديث، وكان ذَعِرا مُتمنعاً فألحوا عليه أن يحدثهم»، وأمام امتناعه هذا كادوا له عند الأمير وادعوا زوراً أنه عبد آبق، وقد كان في شكله «يشبه عبيد أهل الحجاز»، وأشهدوا على ذلك جماعة منهم كانوا «من جملة أرباب العلم وثقات الناس نكتفي بالنظر إليهم دون السؤال عنهم»، فكان مصير مؤمل أن يودع في السجن حتى أتى الأميرَ جماعةٌ أخرى من علماء الرملة فكشفوا المؤامرة، فأمر بإخراجه وسأله أن يسامحه، «فلم يُر مؤمل بعد ذلك متمنعاً امتناعه الأول»[1181].

ودلت الإشارات الواردة في المصادر على حركة علمية نشطة خلال فترة الدراسة في الرملة مثل كتابة الحديث[1182]، وقراءته[1183]، وتلقينه[1184]، وسماعه[1185]، فضلاً عن حلقات الوعظ في مسجدها الجامع[1186].

(1180) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج21، ص135.

(1181) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج13، ص181؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج12، ص76-77.

(1182) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج13، ص181.

(1183) الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص88.

(1184) الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج12، ص53.

(1185) ياقوت: معجم البلدان، ج3، ص259.

(1186) السمعاني: الأنساب، ج4، ص360.

وقد حفلت الرملة بعدد كبير من العلماء الثقات، مثل الحسن بن واقع (ت:220هـ/ 834م)(1187)، ويوسف بن عبد الأعلى (ت بعد:220هـ/ 834م) وهو من شيوخ الواقدي صاحب فتوح الشام(1188)، و يزيد بن عبد الله بن موهب (ت:237هـ/ 851م) الذي نبغ في الفقه والحديث وكان قاضي أهل الشام(1189)، وعلي بن سهل الرملي (ت:261هـ/ 874م)(1190)، «محدث أهل الرملة وحافظهم»(1191)، الوليد بن النضر الرملي المسعودي (ت:240هـ/ 854م)، وقد روى عن غالب أهل الرملة في عصره(1192). وغيرهم ممن سيمر ذكرهم في المبحث التالي.

**ح. عسقلان.**

وتأتي في المرتبة الثالثة من حيث عدد العلماء الذين أقاموا فيها، وقد حافظت على موقعها كأحد المراكز المتقدمة في الجانب العلمي،

(1187) البخاري: التاريخ الكبير، ج2، 307؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج15، ص119ح المزي: تهذيب الكمال، ج6، ص333-334.

(1188) الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص88.

(1189) الربعي: مولد العلماء ووفياتهم، ج2، ص523؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج65، ص272-273؛.

(1190) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج51، ص313؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص241؛ المزي: تهذيب الكمال، ج20، ص454-455.

(1191) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج7، ص289.

(1192) ابن حبان: الثقات، ج9، ص226؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج9، ص19؛ المزي: تهذيب الكمال، ج2، ص365.

وقد ساهم في ذلك أنه «قد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين، وحدَّث بها خلق كثير»[1193]، «ولم تزل بأيدي المسلمين على أحسن حال يحتلها العلماء وينبع منها أهل الصلاح والفقهاء إلى أن استولى عليها الفرنج في (548هـ/ 1153م)»[1194]، وقد بدا ذلك واضحاً من حيث كثرة علمائها، والشهرة الفائقة لعدد منهم مثل آدم بن أبي إياس العسقلاني (ت:220هـ/ 834م)، الذي كان من مشايخ البخاري في صحيحه[1195] في عسقلان ومحمد بن أبي السري العسقلاني (ت:238هـ/ 852م) الذي أتاه الإمام أبو زرعة الرازي (ت:264هـ/ 878م) ليستمع منه[1196].

### خ. أيلة.

كان موقع أيلة على حدود الحجاز[1197]، وارتباط علمائها بالرحلة نحو المدينة والحجاز ومصر، وتتلمذهم على يد الإمام الزهري[1198]، دور مهم في تشكيل شخصيتها العلمية فترة الدراسة، ونسب لها جماعة من العلماء غالبهم من موالي بني أمية، مثل عقيل بن خالد الأيلي (ت:141هـ/ 758م) صاحب الإمام الزهري[1199]، ويونس بن يزيد الأيلي (ت:152هـ/ 768م)[1200]، وغيرهم مما سيمر ذكره.

(1193) ياقوت: معجم البلدان، ج4، ص122.

(1194) ياقوت: المشترك وضعاً المفترق صقعاً، ص308.

(1195) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص27؛ الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، ج2، ص339؛ المزي: تهذيب الكمال، ج2، ص301؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج15، ص59-61.

(1196) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص67.

(1197) ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص292.

(1198) ابن حبان: الثقات، ج7، ص649؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج7، ص43.

(1199) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج7، ص43.

(1200) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج1، ص162.

**هـ. غزة.**

وتأتي في المرتبة الخامسة وكان بها عدد من العلماء، وفي فترة الدراسة كان يعقد في مسجدها العمري حلقات علم كما قرئت فيه أخبار الفتوح الإسلامية[1201]، وجاء ذكر بعض علمائها مقترناً بقريته مثل عروة بن رويم اللخمي (ت:135هـ/ 752م) من قرية سرية، والذي روى عنه أهل الشام[1202]. وسيتم الوقوف على علمائها في المبحث التالي.

**ز. باقي المدن.**

فحسب ما تم إحصاؤه من العلماء في فترة الدراسة، تكون المدن الخمسة السابقة هي أهم مراكز العلم في فلسطين فترة الدراسة، ويليها على الترتيب قيسارية، أرسوف، لد، وبيت جبرين ويافا وأريحا.

ورغم قلة العلماء المذكورين في مدينة قيسارية، فالاعتقاد أنها كانت نشطة الحركة العلمية أكثر مما تصوره التراجم المتاحة، ولا سيما في عهد المحدث محمد بن يوسف بن واقد الفريابي (ت:212هـ/ 827)، الذي كان من أكبر شيوخ البخاري[1203]، فقد «كان الناس يرحلون إليه إلى قيسارية»[1204].

وفي نهاية هذا المبحث، نكون قد وقفنا على الأوضاع العامة للحياة العلمية في فلسطين فترة الدراسة بتتبع عوامل ازدهارها ومؤسسات التعليم وأماكنه وأنظمته، ثم رسم صورة تقريبية لمراكز المدن التي كانت محل إقامة ونشاط العلماء، ولا شك أن الصورة التي تم التوصل إليها أقل بكثير من الواقع، لأن المعلومات المتاحة في المصادر كانت تركز على مدى ضبط العلماء ودقة حديثهم ومشايخهم وتلاميذهم، ولم تكن تحفل بالمعلومات التفصيلية التي تمكّن من رسم صورة أكثر دقة.



(1201) الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص238.

(1202) ابن حبان: الثقات، ج5، ص198.

(1203) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص87.

(1204) المصدر نفسه، ج15، ص401.

# المبحث الثاني
# علماء فلسطين وإسهاماتهم

تعددت أصناف العلوم والمعارف التي كانت محل البحث والتعلم خلال فترة الدراسة، وقد تركزت معظمها في الجانب المختص بالعلوم الدينية من علوم القرآن كالقراءات والتفسير والحديث والفقه والتصوف، كما شهدت بعض أشكال العلوم الأخرى كاللغة العربية وآدابها والتاريخ.

وقد شارك العلماء من أهل فلسطين في الحركة العلمية الواسعة التي شهدتها فترة الدراسة بشكل مباشر عبر إسهاماتهم في مختلف العلوم، ولا سيما تلك المتعلقة بالدين، والتي كانت تعد أساس العلوم، إلى جانب علوم اللغة والتاريخ.

وللتعرف على إسهامات العلماء واهتماماتهم ودورهم، قام الباحث بتتبع تراجم العلماء الذين عاشوا فيها أو انتسبوا لها، ويمكن الوقوف عليها كالتالي:

**أولاً: القرآن الكريم والقراءات.**

كانت العناية بالقرآن الكريم حفظاً وقراءةً من أساسيات التحصيل العلمي في ذلك العصر، وهي تعد من أول العلوم التي اهتم بها المسلمون، وارتبط بالقرآن الكريم علم القراءات الذي كان يُعنى بدراسة اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفية النطق بها من تخفيف وتثقيل وغيرها، واختلاف الرواة في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل، وعلى الإجمال هو «علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزو الناقلة»[1205].

(1205) نبيل آل إسماعيل: علم القراءات، ص27.

وقد استفادت مدرسة القرآن وقراءاته في فلسطين زمن الدراسة من الإرث الكبير الذي خلفه «قراء بيت المقدس»[1206] في صدر الإسلام، من الصحابة والتابعين، وقد فخر أهل عسقلان بأنهم تعلموا القرآن على يد الصحابي الجليل أبو قرصافة جُنْدَرة بن خيشنة الكناني (ت:70هـ/ 689م)، فقالوا: «أمَّنا رجل من أصحاب النبي ﷺ في هذا المسجد عشرين سنة يكنى بأبي قرصافة»[1207]

وقد برز منهم في العهد الأموي وأوائل العهد العباسي «شيخ فلسطين»[1208] إبراهيم بن أبي عُبلة (ت:152هـ/ 769م)، وقد أخذ قراءته عن الصحابية أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت يحيى، والصحابي واثلة بن الأسقع، وقد أخذ عنه طريقته في القراءة عدد من علماء القراءة، منهم كثير بن مروان المقدسي، وابن أخيه هاني بن عبد الرحمن بن أبي عبلة، وموسى بن طارق[1209].

وشكَّك الإمام العالم والمقريء ابن الجزري فيما ينسب إليه من شذوذ في القراءة، فقال: «له حروف في القراءات واختيار خالف فيه العامة، في صحة إسنادها إليه نظر»[1210].

---

(1206) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج5، ص245؛ العاصمي: سمط النجوم العوالي، ج3، ص291.

(1207) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج3، ص28.

(1208) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج6، ص440؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، 323، 325.

(1209) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص19.

(1210) غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص19.

وقد تقصى الباحث حسين عطوان معالم قراءة ابن أبي عبلة وتعليقات علماء اللغة والقـراءات عليها[1211]، وخلُص إلى نتيجة مفادها أن أكثر الشواهد التي سيقت على مخالفة قراءة ابن أبي عبلـة يشترك فيه مع غيره من قراء الشام والأمصار الأخـرى بسـبب طبيعـة الخـط وخلـوه مـن الـنقط آنذاك، وتنوع المصادر التي أخذ عنها القراءة، وكـذلك تبـاين اللغـات واللهجـات القبليـة، وهـو متأثر في ذلك بلغة القبائل القيسية التي ينتمي لها، أما ما ينفرد به، إذ لم يقـرأ بـه أحـد غيـره، روى أكثره أبو حيان الأندلسي ولم يذكر مصادره[1212]، وهو بذلك يدلل على ما ذهب إليه ابـن الجـزري سابقاً من تشكيك في صحة ما نسب إليه من قراءة شاذة.

ويبـدو أن حركـة القـرَّاء والقـراءات قـد ضـعفت بمـوت إبـراهيم بـن أبـي عبلـة في (152هـ/ 769م)، إذ لم تحفل كتب التراجم بالكثير منهم في القـرن الـذي يليـه، وقـد اشـتهر في القرن (3هـ/ 9م) من قراء فلسطين محمد بن عبد الحكم بن يزيد القطري من أهل الرملة، أخـذ القراءة سماعاً عن قالون عن نافع وله عنه نسخة، وسمع آدم بن أبـي إيـاس، وروى القـراءة عنـه محمد بن يوسف بن بشر الهروي، وعثمان بن محمد السمرقندي، وسمع منه ابن الأعرابي، وقد انفرد عن قراءة قالون عن نافع بضم الياء وفتح الجيم في قوله تعالى {إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ} من سـورة القصص[1213].

(1211) انظر: حسين عطوان: القراءات القرآنية في بلاد الشام، ص199-273.

(1212) حسين عطوان: القراءات القرآنية في بلاد الشام، ص273-274.

(1213) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، ص159؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج20، ص450.

وقد نلمس اهتماماً في علوم القرآن والقراءات عند بعض علماء فلسطين الذين وردت لهم تراجم في كتب الحديث والرجال، مثل ثور بن يزيد بن خالد الكلاعي (ت:155هـ/ 771م) نزيل بيت المقدس، الذي «قرأ القرآن على يحيى بن الحارث»[1214] أي أنه أخذ إجازة منه، وكذلك إمام مسجد عسقلان، بكر بن بشر السلمي الترمذي (ت:182هـ/ 798م)[1215].

هذا وقد زار فلسطين عدد من القرَّاء، عُرف منهم المحدث والمفسر والقاريء مقاتل بن سليمان (ت:150هـ/ 767م)، صاحب كتاب القراءات[1216]، وقد سمع منه طلاب العلم في بيت المقدس أثناء زيارته لها[1217].

### ثانياً: التفسير.

اهتم علم التفسير ببيان مقاصد ومعاني القرآن الكريم، وكان يعد من العلوم الشريفة لشرف ما يختص به وهو القرآن الكريم.

وقد تعلم الجيل الأول من أهل فلسطين التفسير على يد الصحابة الذين كانوا لا يجدون صعوبة في فهم القرآن ومقاصده، غير أن حركة الفتوح ودخول عناصر عديدة من غير العرب الإسلام، جعل الحاجة ماسة إلى تدوين التفسير وظهوره كعلم جديد، وحسب ابن خلدون، فإن التفسير كان على صنفين: الصنف الأول؛ تفسير نقلي يستند إلى الروايات والآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات. والصنف الثاني: هو ما اعتمد على معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب، وهما صنفان متكاملان[1218].

(1214) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص186؛ المزي: تهذيب الكمال، ج4، ص428.

(1215) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص87.

(1216) ابن النديم: الفهرست، ص253.

(1217) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص350.

(1218) المقدمة، ص439-441.

ويذكر الباحث كامل العسلي أن أهل الشام وفلسطين لم يكن لهم نشاط بارز في مجال التفسير، حيث لم يُذكر في تاريخ دمشق لابن عساكر خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة إلا مفسراً واحداً، هو سعيد بن بشير الدمشقي (ت:168هـ/ 785م)، وقد تناقل أهل دمشق تفسيره مصنفاً عن طريق رواية الوليد بن مسلم[1219].

وقد زار الوليد بن مسلم فلسطين عام (194هـ/ 809م)، وتتلمذ على يديه جماعة من أهل الرملة، كان منهم أبو عمير بن النحاس الرملي (ت:256هـ/ 869م)[1220]، وقد جاءت بعض روايات التفسير من طريقه[1221].

ومن الذين اشتغلوا بالتفسير وألفوا فيه من أهل فلسطين خلال فترة الدراسة، العالم والمحدث عطاء بن أبي مسلم الخرساني (ت:135هـ/ 752م)، الذي ألَّف كتاباً في تفسير القرآن[1222]، وقد كان عطاء من الذين أخذوا على عاتقهم تعليم الناس ببيت المقدس واجتهد في ذلك، وكان يقول: «أوثق عملي في نفسي نشر العلم»[1223]، ويذكر البخاري في صحيحه رواية في تفسير سورة نوح، كان «عطاء» - دون أن يميزه- في سلسلة رواتها[1224]، وقد ذكر بعض شُرَّاح الصحيح أنه عطاء بن أبي مسلم[1225].

(1219) العلوم الإسلامية في فلسطين، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج3، ص 450.

(1220) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص52-53؛ تاريخ الإسلام، ج19، ص225.

(1221) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص53.

(1222) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص453.

(1223) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص142.

(1224) الجامع الصحيح، ج6، ص160، (ح:4920).

(1225) انظر: ابن حجر: فتح الباري، ج8، ص667

وممن أسهم في التفسير كذلك، آدم بن إياس العسقلاني (ت:220هـ/ 834م)، فقد جمع كتاب تفسير عرف باسمه «تفسير آدم بن إياس العسقلاني»(1226)، ويقوم تفسيره على «جمع أقوال الصحابة والتابعين»(1227)، وبذلك يكون من الصنف الأول الذي تحدث عنه ابن خلدون وذكرناه عاليه. ورغم ذلك بقي علم الحديث هو الغالب على شهرته وفق ما تذكره كتب التراجم والرجال.

وقد شهدت فلسطين فترة الدراسة قدوم عدد من المفسرين، مثل مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت:150هـ/ 767م)، وهو من الذين ألفوا عدداً من كتب التفاسير ذكر منها: «كتاب التفسير الكبير»، وكتاب «تفسير الخمس مائة آية» وكتاب «نوادر التفسير»(1228)، فلما قدم إلى بيت المقدس، «اجتمع إليه خلق كثير من الناس يكتبون عنه ويسمعون منه»(1229).

وبعده بأعوام قدم إلى فلسطين بكر بن سهل بن إسماعيل الدمياطي (ت:189هـ/ 804م)، فجمع له طلبة العلم في الرملة خمسمائة دينار فأبى أن يقرأ عليهم التفسير، فلما اشتركوا مع أهل بيت المقدس وجمعوا له ألف دينار، وافق وقرأ عليهم التفسير(1230).

وتؤشر هاتان الحادثتان إلى حقيقة ما كانت تعانيه فلسطين من ندرة في علماء التفسير، فطلبة العلم يجتمعون على الأول منهما ويكتبون باهتمام، ويجتهدون في جمع المال حتى يرضوا الآخر، وهي تكشف عن حرصهم على طلب التفسير والاستماع إليه.

(1226) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص442؛ وانظر: السيوطي: طبقات الحفاظ، ص31.

(1227) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص427.

(1228) ابن النديم: الفهرست، ص253.

(1229) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص350.

(1230) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج21، ص135.

### ثالثاً: الحديث.

اعتنى المسلمون بحديث النبي ﷺ، كأحد مصادر التشريع، واتسع مفهوم الحديث ليشمل «كل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً له أو فعلاً أو تقريراً أو صفة، حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام»[1231]، وقد بذلوا في استقرائه وحفظه وتدوينه وتمحيصه ودراسة رواته وأحوالهم غاية الجهد، فكان من أشهر العلوم السائدة آنذاك، وقد اشتغل به العدد الأكبر من العلماء، وصنفوا فيه، وبرز منهم محدثون ومشايخ ورواة عدادهم في الأئمة الأعلام، كما كان معظم علماء فلسطين من المعدودين في الثقات الذين يقبل حديثهم، وقد أظهرت أوجه الحياة العلمية التي تم دراستها في المبحث السابق حرصهم على طلب الحديث والرحلة لأجله، كما بينت ذلك كتب التراجم والرجال.

وقد سبق الإشارة إلى عوامل ازدهار العلوم الدينية عامة، والحديث منها على وجه الخصوص في فلسطين فترة الدراسة.

وقد نبغ في علم الحديث طائفة من أهل فلسطين، انتشرت رواياتهم في الأمصار وكتب الصحاح والسنن والمسانيد، منهم المحدث والواعظ والمجاهد[1232] عطاء بن أبي مسلم (ت: 135هـ/ 752م)، من أهل بيت المقدس[1233]، من موالى آل المهلب بن أبي صفرة[1234]،

(1231) السخاوي: فتح المغيث، ج1، ص10.

(1232) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص140-141.

(1233) العيني: مغاني الأخيار، ج3، ص352؛ المزي: تهذيب الكمال، ج19، ص442.

(1234) البخاري: التاريخ الكبير، ج6، ص244؛ المزي: تهذيب الكمال، ج19، ص442.

كان «من التابعين العبَّاد، متفق على توثيقه»[1235]، روى عنه الإمام الأوزاعي، «وخلائق من الأئمة»[1236]، وقد أخذ عنه وعن غيره أيضاً ابنه عثمان بن عطاء بن ميسرة (أبي مسلم) (ت:155هـ/ 771م)[1237]، وقد رحل عثمان إلى الإسكندرية فروى عنه الحديث هناك سعيد بن أبي أيوب المصري، وعبد الله بن وهب، ورجع إلى فلسطين واستقر بها حتى وفاته[1238]، كما روى عنه ابنه محمد بن عثمان، وكذلك عبد الله بن المبارك، وقاضي شيراز، وسعد بن الصلت البجلي[1239]، والمحدث الشامي الوليد بن مسلم، ومحمد بن شعيب بن شابور، وضمرة بن ربيعة والحجاج بن محمد وكثير بن هشام وعمر بن هارون البلخي، ونافع بن يزيد المصري ، وعبد الله بن وهب المصري وأبو إسحاق الفزاري وعراك بن خالد وسويد بن عبد العزيز وسعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، وعقبة بن علقمة البيروتي ويحيى بن أيوب المصري[1240].

وتابع مسيرة عثمان في الحديث وروايته اثنان من أبنائه، الأول: عبد الله بن عثمان بن عطاء واشتهر بأبي محمد الرملي التقاه أبو حاتم الرازي بالرملة عام (217هـ/ 832م)، وسمع منه الحديث، كما روى عنه آخرون من خارج فلسطين[1241]، والآخر: محمد بن عثمان بن عطاء، وقد روى عن أبيه عن جده[1242].

(1235) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص334.

(1236) المصدر نفسه، ج1، ص334.

(1237) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج7، ص190.

(1238) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج38، ص445-448.

(1239) المزي: تهذيب الكمال، ج19، ص442.

(1240) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج38، ص445-448.

(1241) المزي: تهذيب الكمال، ج15، ص286.

(1242) ابن حبان الثقات، ج9، ص59.

وعاصر عثمان بن عطاء محدِّث آخر، هو ثور بن يزيد بن خالد الكلاعي (ت:155هـ/ 771م) أصله من حمص، واستقر ببيت المقدس حتى وفاته[1243]، وقد «رُوي عنه رواية كثيرة»[1244]، وحين قدم العراق «كتب عنه [سفيان] الثوري، وأهل العراق»[1245].

ومن أهل الحديث رجاء بن أبي سلمة، أبو المقدام الفلسطيني (ت:161هـ/ 777م)، روى عنه جماعة من أهل الحديث مثل عبد الله بن عون وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وبشر بن المفضل وضمرة بن ربيعة ويحيى بن العلاء ومحمد بن يوسف وزيد بن الحباب، وأهل دمشق[1246].

ومن الذين حفظت ودونت إسهاماتهم الحديثية في فلسطين عقيل بن خالد الأيلي (ت:142هـ/ 759م)، أخذ الحديث عن عدد من التابعين، منهم والده خالد بن عقيل، وعمه زياد بن عقيل، والزهري «وكان يكتب عنه»[1247]، أتقن الحديث وروايته، فكان «حديثه كثير منتشر»[1248]، وقد جمعت أحاديثه في «مسند حديث عقيل بن خالد الأيلي» برواية محمد بن عُزيز الأيلي (ت:167هـ/ 783م)، وهي التي تلقاها عن سلامة بن روح الأيلي (ت:197هـ/ 812م)[1249]، ابن أخي عقيل[1250]، وقد ساور الشك علماء الحديث في صدقية رواية سلامة عن عمه وأخذ الحديث منه، فتبين لهم أنه كان يحدث من كتاب عمه[1251].

(1243) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص467؛ ابن حبان: الثقات، ج6، ص129؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج11، ص186؛ المزي: تهذيب الكمال، ج4، ص428.

(1244) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص467.

(1245) ابن حبان: الثقات، ج6، ص129.

(1246) البخاري: التاريخ الكبير، ج3، ص313؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج18، 116؛ المزي: تهذيب الكمال، ج9، ص161-162؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج4، ص322؛ العجلي: الثقات، ج1، ص461.

(1247) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص302؛ وانظر: ابن حبان: الثقات، ج7، ص305.

(1248) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج1، ص162.

(1249) ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص125؛ وانظر: ابن حجر: المعجم المفهرس، ص326.

(1250) البخاري: التاريخ الكبير، ج4، ص195.

(1251) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج9، ص309.

وظهر في أيلة خلال فترة الدراسة جيل من المحدثين الذين توارثوا الحديث عن بعضهم، منهم يونس بن يزيد الأيلي (152هـ/ 768م)[1252]، وسليمان بن عبد العزيز الأيلي[1253]، وعنبسة بن خالد بن يزيد بن أبي النجاد (ت:198هـ/ 813م)[1254]، ويحيى بن صالح الأيلي (ت: بعد 197هـ/ 812م)[1255]، وسعدان بن سالم الإيلي[1256]، وفي القرن (3هـ/ 9م)، نبغ محمد بن زقيق الأيلي[1257]، ويزيد بن محمد الأيلي، الذي روى عنه يعقوب بن سفيان الفسوى، خالد بن نزار بن المغيرة (ت:222هـ/ 836م)، وإسحاق بن إسماعيل بن عبد الأعلى بن عبد الحميد الأيلي (ت:258هـ/ 871م)، وقد روى عنه الإمام النسائي، وعقيل بن إبراهيم بن عقيل بن خالد عن الذي يروي عن أبيه عن جده[1258] المترجم له عاليه.

وفي القرن (2هـ/ 8م) ظهرت طائفة من المحدثين الذين روى عنهم عدد كبير من الرواة، مثل الوليد بن جميل الكناني (أو الكندي) الذي روى عن القاسم أبي عبدالرحمن ويحيى بن أبي كثير ومكحول الشامي[1259]، كما «روى عنه الشاميون والغرباء»[1260]. ومن علماء عسقلان أبو عمر حفص بن ميسرة العقيلي (ت:181هـ/ 797م)، روى عنه من الأئمة سفيان الثوري، وغيره وجماعة كبيرة من أهل فلسطين[1261].

(1252) البخاري: التاريخ الكبير، ج8، ص406؛ السمعاني: الأنساب، ج1، ص237؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج1، ص162.

(1253) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج24، ص404.

(1254) السمعاني: الأنساب، ج1، ص238؛ المزي: تهذيب الكمال، ج22، ص404-405.

(1255) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال، ج7، ص245.

(1256) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج24، ص404.

(1257) السمعاني: الأنساب، ج3، ص160.

(1258) ابن ماكولا: إكمال الكمال، ج1، ص128-130.

(1259) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج11، ص116.

(1260) ابن حبان: الثقات، ج7، ص459.

(1261) المزي: تهذيب الكمال، ج7، 73-76.

وكان عاصم بن رجاء بن حيوة الكندي، ومن أعلام بيت المقدس في القرن (2هـ/ 8م)، وكان معدوداً «من ثقات أهل الشام ومتقنيهم»[1262]، أخذ العلم عن أبيه رجاء بن حيوة وجماعة من التابعين غيره[1263]، وأخذ روايته عدد من العلماء منهم وكيع بن الجراح شيخ الشافعي، وإسماعيل بن عياش وسليمان بن زياد الواسطي وعبد الله بن داود الخريبي، وعبد الله بن يزيد بن الصلت الشيباني وعثمان بن فائد القرشي، وعلي بن القاسم الكندي وأبو نعيم الفضل بن دكين، ومحمد بن يزيد الواسطي، ومعاوية بن عبيد الله الأشعري[1264]، وقد دُونت رواياته في مصنفات البخاري وأبي داود وابن ماجة[1265].

وأما المحدث الثقة[1266] شهاب بن خراش (ت: بين 174-179هـ/ 790-795م)، كان من أهل الرملة، ونقلت رواياته جماعة من أهل الحديث منهم: عبد الرحمن بن مهدي، وسعيد بن منصور، وسويد بن سعيد، وهشام بن عمار، ويزيد بن موهب الرملي، وقتيبة بن سعيد، وعبد الجبار بن عاصم، وأبو توبة الحلبي، وعلي بن حجر، وغيرهم[1267].

وفي أواخر القرن (2هـ/ 8م) كان شعيب بن رزيق أبو شيبة المقدسي، يتنقل بين طرطوس ودمشق، وبيت المقدس والرملة وعسقلان، يأخذ الحديث ويحدِّث به، وروى عنه جماعة من كبار المحدثين مثل الوليد بن مسلم وعثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي وآدم بن أبي إياس العسقلاني ومعلى بن منصور الرازي وبشر بن عمر الزهراني ويحيى بن يحيى النيسابوري والمعافي بن عمران الموصلي وبروة بن مروان العرفي ومحمد بن معاوية النيسابوري والحارث بن النعمان[1268].

(1262) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، ج1، ص290.

(1263) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج5، ص37.

(1264) المزي: تهذيب الكمال، ج13، ص483.

(1265) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج5، ص37.

(1266) العجلي: الثقات، ج1، ص461.

(1267) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج4، ص362؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص179-180.

(1268) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج23، ص102، 105؛ المزي: تهذيب الكمال، ج12، ص524-525.

وفي أواخر هذا القرن كذلك، عاش المحدث الفلسطيني مسرة بن معبد اللخمي من أهل بيت جبرين، ودُوِّن حديثه في سنن أبي داود، وقد حدث عنه جماعة من أهل فلسطين وغيرهم، مثل: سوار بن عمارة الرملي، وضمرة بن ربيعة وعبد الأواه بن حكيم الحلبي ووكيع بن الجراح، والوليد بن النضر الرملي المسعودي، وأبو أحمد الزبيري[1269].

وعاش في القرن نفسه المحدث ضُمرة بن ربيعة (ت:202هـ/ 817م)، من موالي آل عتبة بن ربيعة، عاش بين بيت المقدس والرملة، وكان من مشاهير علماء الشام، وُصف بأنه «رجل صالح، صالح الحديث من الثقات المأمونين، لم يكن بالشام رجل يشبهه»[1270]، وقد انتشر حديثه وكثر الرواة عنه بما لا يحتمل المقام ذكره، ومنهم مثالاً لا حصراً: القاضي عبد الرحمن بن إبراهيم الملقب بدُحيم، وعبد الرحمن بن واقد الواقدي، وعلي بن سعيد بن قتيبة النسائي، ومحمد بن وزير الدمشقي، وعمرو بن عثمان الحمصي، ومحمد بن عمرو بن حسان وعبيد الله بن محمد الفريابي، وهشام بن خالد الأزرق، ومهدي بن جعفر الرملي، والحسن بن عبد العزيز الجروي، وأبو شيبة أحمد بن الفرج، وإسماعيل بن عباد الأرسوحي، وغيرهم الكثير[1271].

ودخلت فلسطين القرن (3هـ/ 9م) محافظةً على إرث القرن السابق في علم الحديث، وكان من علمائها المتقنين، سوار بن عمارة الربعي المعروف بأبي عمارة الرملي (ت:214هـ/ 829م)[1272]، التقاه وأخذ عنه من الأئمة الكبار أبو زرعة الدمشقي، ويحيى بن معين[1273]. وعاصره في الرملة كذلك، أبو علي الحسن بن واقع (ت:220هـ/ 834م)، المعدود في الثقات، وكان من أصحاب المحدث الفلسطيني ضمرة بن ربيعة، روى عنه: محمد بن مسلم بن وارة، والبخاري في غير الصحيح، وإسماعيل سمويه[1274].

(1269) المزي: تهذيب الكمال، ج27، ص449؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج15، ص99.

(1270) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج4، ص403.

(1271) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج24، ص404-405، 414؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج1، ص3.

(1272) ابن حبان: الثقات، ج8، ص302.

(1273) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج4، ص237.

(1274) البخاري: التاريخ الكبير، ج2، 307؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج15، ص119ح المزي: تهذيب الكمال، ج6، ص333-334.

ومن أعلام القرن (3هـ/ 9م) أيضاً، محمد بن يوسف بن واقد الفريابي (ت:212هـ/ 827م)، أصله من فرياب ببلاد الترك، لكنه عاش في قيسارية، «يقع حديثه عاليا في الصحيح»[1275]، وكان من أكبر شيوخ البخاري[1276]، وقد وصفه الإمام البخاري بأنه «كان من أفضل أهل زمانه»[1277]، جمع أحاديثه في «مسند الفريابي»[1278]، وبلغ من علمه وصيته أن «كان الناس يرحلون إليه»[1279]، وقد رحل إليه الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب، فلما اقترب من قيسارية نُعي إليه، فعدل إلى حمص، روى عنه البخاري وابن وارة وعباس الترقفي وعبد الله بن محمد بن سعد بن أبي مريم، «وأمم سواهم»[1280].

كما كان من شيوخ الحديث وروايته في فلسطين والشام الإمام آدم بن أبي إياس العسقلاني (ت: 220هـ/ 834م)، نشأ ببغداد وسكن عسقلان إلى أن مات بها[1281]، سمع ببغداد، والكوفة، والبصرة، والشام، ومصر، والحرمين، وقد«صنف التفسير وغيره»[1282]، وجاءت رواياته عن جماعة كبيرة من أهل الحديث[1283]، وفي المقابل «روى عنه الأئمة الأعلام من المحدثين»[1284] مثل الإمام البخاري، الذي رحل إليه إلى عسقلان وسمع منه الحديث مباشرة[1285]،

(1275) الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج1، ص376.

(1276) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص87.

(1277) الذهبي: تذكرة الحفاظ وذيوله، ج1، ص275.

(1278) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج23، ص220.

(1279) المصدر نفسه، ج15، ص401.

(1280) الذهبي: تذكرة الحفاظ وذيوله، ج1، ص275.

(1281) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج

(1282) السيوطي: طبقات الحفاظ، ص31؛ وانظر: حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص442.

(1283) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج15، ص59-60.

(1284) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج7، ص27.

(1285) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج52، ص50.

وممن روى عن آدم من أئمة الحديث، أبو حاتم الرازي ويعقوب بن سفيان الفسوي، وأبو زرعة الدمشقي، وتظهر سعة انتشار حديثه بتتبع البلدان التي ينتسب لها تلاميذه الذين أخذوا عنه الحديث، ففضلاً عن تلاميذه من أهل فلسطين، نجد: إبراهيم بن هانئ النيسابوري، وإبراهيم بن الهيثم البلدي، وأحمد بن عبد الله اللحياني العكاوي، وأحمد بن محمد بن شبويه المروزي، وإسحاق بن إسماعيل الرملي نزيل أصبهان، وإسماعيل بن عبد الله الأصبهاني سمويه، وبشر بن بكر التنيسي، وثابت بن السميدع الأنطاكي، والربيع بن محمد اللاذقي وعبد الله بن الحسين المصيصي، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وعمرو بن منصور النَسائي، وأبو بكر محمد بن أبي عتاب الأعين، ومحمد بن يحيى بن كثير الحرَّاني، وهاشم بن مرثد الطبراني، ويزيد بن محمد بن عبد الصمد الدمشقي، وغيرهم[1286].

وفي عسقلان، التقى جماعة من كبار علماء الحديث والمصنفين بالمحدِّث علي بن الحسن العسقلاني وأخذوا عنه، منهم الإمام البخاري في العام (217هـ/ 832م)[1287]، وفي العام نفسه التقى به أبو حاتم الرازي فروى وكتب عنه الحديث[1288]، كما أخذ عنه الإمام يعقوب بن سفيان الفسوي[1289] أثناء رحلته الثانية إلى فلسطين عام (241هـ/ 855م) التى التقى فيها بمشايخ من عسقلان[1290].

(1286) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج7، ص27؛ المزي: تهذيب الكمال، ج2، ص303.

(1287) البخاري: التاريخ الكبير، ج6، ص270.

(1288) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج6، ص180.

(1289) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج1، ص352، 471، 546.

(1290) المصدر نفسه، ج1، ص212.

وبرز من عسقلان أيضاً أخوان، الأول: هو «الحافظ العالم الصادق... محدث فلسطين»[1291] محمد بن أبي السري العسقلاني (ت:238هـ/ 852م)، اتصل به وروى عنه من العلماء أبو داود وبكر بن سهل الدمياطي والحسن بن سفيان وعلي بن محمد الجكانى ومحمد بن الحسن بن قتيبة وآخرون[1292]. كما التقى به وسمع منه الإمام أبو زرعة الرازي بعسقلان.[1293] والآخر: هو الحسين بن أبى السري العسقلاني (ت:240هـ/ 854م)، روى عنه ابن ماجة صاحب السنن وآخرين[1294]، لكن درجته في علم الحديث وضبطه كانت ضعيفة، ولا يوثق بروايته[1295]، على خلاف أخيه.

(1291) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11، ص161.

(1292) ابن حبان: الثقات، ج9، ص88؛ الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، ج2، ص339؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11، ص161؛ تذكرة الحفاظ: ج2، ص473؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج9، ص376؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ج1، ص209.

(1293) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص67.

(1294) ابن حبان: الثقات، ج8، ص189.

(1295) الذهبي: المغني في الضعفاء، ج1، ص171.

وعاش المحدث مؤمل بن أهاب الرملي (ت:254هـ/ 867م) في الرملة، وكان مجلسه فيها عامراً والإقبال عليه من الطلبة شديد[1296]، وفيها كتب عنه الإمام أبو داود صاحب السنن[1297]، كما روى عنه الإمام النسائي، وابن أبي الدنيا، والباغندي، وغيرهم[1298]. وقد جُمعت الأحاديث التي رواها ضمن جزء[1299]، اصطلح عليه: «جزء المؤمل»[1300]، وقد حقق وطبع مفرداً[1301]، وضمن مجاميع حديثية[1302].

ومن الرملة، كان محمد بن عبد العزيز الرملي (ت:226هـ/ 840م)، الذي روى عنه «أهل الشام»[1303]. كذلك اشتهر منها أبناء وأحفاد التابعي عبد الله بن موهب الرملي، الذين برز منهم في فترة الدراسة أبو خالد يزيد بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن موهب الرملي (ت:232هـ/ 846م)، «شيخ الرملة ومُسنِدها»[1304]، قال عنه أحمد بن محمد السجزي: «ما رأيت محدثاً أخشع لله من يزيد الرملي»[1305]، روى عن الليث بن سعد عالم أهل مصر، وروى عنه يعقوب بن سفيان الفسوي[1306]، وأبو زرعة الرازي ومحمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني[1307].

(1296) انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج13، ص181؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج12، ص76-77.

(1297) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج13، ص181.

(1298) ابن الجوزي: المنتظم، ج12، ص76.

(1299) **الجزء:** في اصطلاح المحدثين، هو تأليف يجمع الأحاديث المروية عن رجل واحد سواء كان من طبقة الصحابة أو من بعدهم، وقد يكون الجزء في بعض المواضيع، وقد يجمع في الجزء أحاديث انتخبها المؤلف، وغالب الأجزاء تكون صغيرة. نور الدين عتر: منهج النقد في علوم الحديث، ص209.

(1300) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص589.

(1301) حققه عماد بن فرة، وطبع بعنوان «جزء المؤمل بن إيهاب»، دار البخاري، المدينة، 1992م.

(1302) حققه نبيل سعد الدين جرار، وطبع ضمن «مجموع فيه عشرة أجزاء حديثية»، دار البشائر الإسلامية، 2001م.

(1303) ابن حبان: الثقات، ج9، ص81.

(1304) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج17، ص418.

(1305) المصدر نفسه، ج17، ص418.

(1306) المعرفة والتاريخ، ج2، ص595.

(1307) السمعاني: النساب، ج3، ص91.

أما الوليد بن النضر الرملي المسعودي (ت:240هـ/ 854م)، فكان من المحدثين الذي روى عنه غالب أهل الرملة في عصره[1308].

وبرز خلال القرن (3هـ/ 9م) في غزة من أعلام الحديث، العابد الزاهد محمد بن عمرو الغزي (ت: نحو 240هـ/ 854م)، قال في حقة أبو زرعة الرازي أنه من أصلح الذين رآهم، وقد روى عنه ولده عبد الله بن محمد، وأبو زرعة، ومحمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني، وآخرون[1309]. وبرز أيضاً من غزة، رجاء بن مرجي بن رافع الغفاري (ت:249هـ/ 863م)، الذي «كان ثقة ثبتاً إماماً في علم الحديث وحفظه والمعرفة به»[1310]، وقال عنه ابن حبان: «كان متيقظاً، ممن جمع وصنف»[1311]، روى عنه مجموعة من كبار علماء الحديث أصحاب السنن والتصانيف مثل أبو داود وابن ماجه وابن أبي الدنيا، وغيرهم[1312].

وكان من علماء الحديث ورواته، أبو عثمان عبد الرحمن بن خالد بن عثمان، وقد التقى به أبو العباس الوليد بن حماد بن جابر عام (244هـ/ 858م) في كورة لد، فحدثه بحديث يرويه عن أبيه عن جده[1313].

(1308) ابن حبان: الثقات، ج9، ص226؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج9، ص19؛ المزي: تهذيب الكمال، ج2، ص365.

(1309) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11، ص464.

(1310) السيوطي: طبقات الحفاظ، ج1، ص243.

(1311) الثقات، ج8، ص427.

(1312) السيوطي: طبقات الحفاظ، ج1، ص243.

(1313) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج35، ص91.

كما ساهم بنصيب وافر في علم الحديث قاضي فلسطين عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو الأموي، الملقب بـدُحَيم، (ت:245هـ/ 859م)، فهو «الإمام الفقيه الحافظ، محدث الشام»[1314]، أخذ علمه عن «خلق كثير بالحجاز والشام، ومصر والكوفة، والبصرة، وعني بهذا الشأن، وفاق الأقران، وجمع وصنف، وجرح وعدل، وصحح وعلل»[1315]، حتى صار «يعتمد عليه في تعديل شيوخ الشام وجرحهم»[1316]، وذلك لأنه «من المتقنين الذي يحفظون علماء أهل بلده بشيوخهم وأنسابهم»[1317] وقد دلت إشارات متفرقة في المصادر على استعانة الإمام أبي زرعة الدمشقي وأبي حاتم الرازي به في معرفة أحوال رواة الحديث وضبطهم[1318]، وكان مُكْرماً مُقَدَّراً عند علماء الأمصار، فلما قدم إلى بغداد عام (212هـ/ 827م)[1319]، رُؤي أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وآخرين من علماء الحديث «قعودا بين يديه يكتبون كالصبيان»[1320]، روى عنه عدد كبير من أئمة الحديث منهم البخارى، وأبو داود، والنسائى، وابن ماجه، وأبو زرعة الدمشقي، وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم الرازي، وبقي بن مخلد، ويعقوب بن سفيان الفسوي، وغيرهم الكثير[1321].

(1314) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11، ص515.

(1315) المصدر نفسه، ج11، ص515.

(1316) أبو يعلى الخليلي: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ج1، ص450.

(1317) ابن حبان: الثقات، ج8، ص381.

(1318) انظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل، ج9، ص25؛ ابن عدي: الكامل، ج2، ص452، ج3، ص263، 371، ج4، ص293؛ ج7، ص89؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج5، ص273.

(1319) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص265.

(1320) الباجي: التعديل والتجريح، ج2، 956.

(1321) الفسوي: المعرفة والتاريخ، ج2، ص464؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج34، ص164؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11، ص517؛ العيني: مغاني الأخيار، ج3، ص195.

ومن إسهامات دُحيم الأخرى؛ فإنه جمع أحاديث الإمام الأوزاعي في «مُسنَد حديث الأوزاعي» في أربعة أجزاء[1322]، وألف كتاب في الرقائق والمواعظ اسمه «كتاب البكاء»[1323]، وذكر ابن خير الإشبيلي الأندلسي (ت:575هـ/ 1179م) هذين الكتابين ضمن فهرسته دليل على مكانة دحيم العلمية، وانتشار حديثه في الأجزاء الغربية من المملكة الإسلامية.

ونبغ في الحديث وروايته في القرن (3هـ/ 9م)، إسحاق بن إبراهيم بن سويد البلوي (أبو يعقوب الرملي) (ت:254هـ/ 867م)، تتلمذ على يد جماعة من علماء فلسطين ومصر وحمص، وروى عنه من أئمة الحديث أبو داود، وأبو زرعة الدمشقي، ومحمد بن عبد الله بن عبد السلام مكحول البيروتي، وغيرهم[1324].

وكان«الإمام الحافظ العابد القدوة» أبو عُمير بن النحاس (ت:256هـ/ 869م)، مجتهداً في الحديث وروايته، وقد روى عن جماعة من كبار علماء الحديث في عصره، مثل الوليد بن مسلم، وضمرة بن ربيعة، وأيوب بن سويد، كما روى عنه أبو داود السجستاني صاحب السنن، والإمام النسائي، ويحيى بن معين الذي كان يوثقه ويثني عليه وعلى حفظه[1325].

(1322) ابن خير الإشبيلي: فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص125.

(1323) المصدر نفسه، ص255.

(1324) المزي: تهذيب الكمال، ج2، ص365.

(1325) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص52-53؛ تاريخ الإسلام، ج19، ص225.

وعاش في الرملة أخوان من أهل الحديث، الأول: هو المحدِّث «الإمام الحجة»[1326] علي بن سهل الرملي (ت:261هـ/ 874م)، روى عنه عدد كبير من العلماء مختلفي الأمصار منهم: أبو داود، والنسائي في كتابه «اليوم والليلة»، وأبو زرعة الرازي، وابن متويه الأصبهاني وأبو الجهم المشغراني، وأبو حامد أحمد بن سهل بن مالك الإسفراييني الحافظ، وغيرهم الكثير[1327]. أما الآخر، فهو أبو عمران موسى بن سهل الرملي (262هـ/ 875م)، طلب العلم في الرملة وخارجها كما يظهر من قائمة شيوخه[1328]، وعن علمه وإسهاماته، قال ابن أبي حاتم الرازي: «كتب عنه أبي وروى عنه، وكتبت عنه، وهو صدوق ثقة»[1329]، وقد روى عن موسى المذكورون أعلاه - بترجمة أخيه- وغيرهم[1330]، كما روى عنه المحدث والمفسر والمؤرخ محمد بن جرير الطبري[1331].

### رابعاً: الفقه.

أوجز ابن خلدون تعريف الفقه بأنه «معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقة»[1332].

(1326) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص241.

(1327) المزي: تهذيب الكمال، ج20، ص455.

(1328) انظر: المزي، تهذيب الكمال، ج29، ص75.

(1329) الجرح والتعديل، ج8، ص146.

(1330) المزي، تهذيب الكمال، ج29، ص75.

(1331) الطبري: تاريخ الطبري، ج1، ص28؛ المزي، تهذيب الكمال، ج29، ص75.

(1332) المقدمة، ص445.

وقد تأسست مدرسة الفقه في فلسطين على يد الصحابة، ومن الذين اشتهر منهم في هذا المجال اثنان؛ هما: الصحابي معاذ بن جبل (ت:18هـ/ 638م)، وقد قال في حقه صلى الله عليه وسلم: «أعلم أمتي بالحلال والحرام»(1333)، وكان «مُعَلِّماً للخير»(1334)، والثاني هو عبادة بن الصامت (ت:34هـ/ 654م) الذي كان أول من وُلِّي القضاء في فلسطين(1335)، وقد شهد العهد الأموي جيلاً من التابعين الفقهاء الذين تتلمذوا على يد الصحابة، ودخلت فلسطين العصر العباسي، وطريقتها في الفقه أميل إلى الحديث(1336) ولعل ذلك أحد نتائج تمتعها بإرث كبير وباع طويل في الحديث الشريف كما بان في الصفحات السابقة، حيث انقسم الفقه آنذاك إلى طريقتين: طريقة أهل الرأي والقياس، وهم أهل العراق، وطريقة أهل الحديث، وهم أهل الحجاز(1337)، وقد تبين أثر مدرسة الحجاز على فلسطين عبر مدينة أيلة، ورحلة أهلها نحوها، وأثر الإمام الزهري (ت:124هـ/ 741م) في ذلك.

(1333) عبد الرزاق: المصنف (مصنف عبد الرزاق)، ج11، ص225؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص338.

(1334) ابن الأثير: أسد الغابة، ج5، ص206.

(1335) أبو زرعة الدمشقي: تاريخ أبي زرعة، ص52؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، ص159؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج3، ص625؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص261.

(1336) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج2، ص100.

(1337) ابن خلدون: المقدمة، ص446.

وغلب على فلسطين والشام مذهب الإمام الأوزاعي (ت: 157هـ/ 774م)[1338]، و«ثبتت الفتيا بالشام على مذهب الأوزاعي»[1339]، قبل أن يحل محله مذهب الإمام الشافعي (ت: 204هـ/ 819م)[1340]، وكان قاضي فلسطين دُحيم عبد الرحمن بن إبراهيم (ت:245هـ/ 859م)، ينتحل في الفقه مذهب الإمام الأوزاعي[1341]، ودوَّن «مُسنَد حديث الأوزاعي» في أربعة أجزاء[1342].

ومن إسهامات أهل فلسطين في الفقه، أن عطاء بن أبي مسلم الخراساني (ت:135هـ/ 752م)، «المعروف بالفتوى والجهاد»[1343]، وكان له مجالس للتعليم والوعظ[1344].

وكان عبد الله بن شوذب (156هـ/ 773م) من بيت المقدس إلى جانب اهتمامه بالحديث متفقهاً[1345]، ويمكن للباحث أن يلمس اهتمامات فقهية حديثية عند يحيى بن صالح الأيلي (ت:بعد197هـ/ 812م)[1346]، أما ضمرة بن ربيعة (ت:202هـ/ 817م) فقد برز في الفقه إلى جانب الحديث، قال عنه ابن سعد: «لم يكن هناك أفضل منه»[1347] وكان بالنسبة لعلماء عصره «فقيههم في زمانه»[1348].

(1338) ابن فرحون: التاج المذهب، ص13.

(1339) الشيرازي: طبقات الفقهاء، ج1، ص77.

(1340) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج2، ص100.

(1341)الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج10، ص265.

(1342) ابن خير الإشبيلي: فهرسة ابن خير الإشبيلي، ص125.

(1343) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص141.

(1344) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج6، ص141.

(1345) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج29، ص166-171؛ العيني: مغاني الأخيار، ج3، ص105.

(1346) ابن عدي: الكامل، ج7، ص245.

(1347) الطبقات الكبرى، ج1، ص471.

(1348) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج9، ص325.

ونسب إلى أيلة عبد الله بن عبد الحكم بن أعين الحقلي (ت:224هـ/ 838م) وكان من موالي بني أمية وكان فقيهاً فاضلاً(1349).

وقد شهدت فترة الدراسة حياة واحد من أعظم الفقهاء في التاريخ الإسلامي هو محمد بن إدريس الشافعي، المولود في غزة عام (150هـ/ 767م)، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وتفقه هناك على يد الإمام مالك وغيره، زار بغداد مرتين كما زار بيت المقدس وعلم الناس هناك، نبغ في الشعر والأدب والحديث والقرآن والقراءات والفقه، انتهى به المقام بمصر حتى توفي في (204هـ/ 819م)، وهو أول من تحدث في أصول الفقه، ترك عدداً كبيراً من المؤلفات الفقهية أشهرها كتاب الأم، وكتابي الرسالة، والسنن في أصول الفقه(1350). وامتاز الشافعي أنه استطاع أن يؤسس قواعد مذهبه بعد أن اطلع على الخلاف بين طريقتي العراق (الرأي) والحجاز (الحديث)، فكان مذهبه فتحاً جديداً في التفكير الذي اعتمد على الحديث ولم يهمل الرأي، مما مكنه من الانتقال من الفروع إلى الأصول، وحدد موقفه من الأراء الفقهية بناء على مخالفتها أو موافقتها للأصل الفقهي الذي استنبطه دون النظر إلى طريقة صاحبها(1351).

وبهذا العرض نكون قد وقفنا على عدد من علماء فلسطين الذين أثر عنهم اشتغالهم بالفقه وإسهامهم فيه، ومما يجدر ذكره، أن تصنيف غالبية العلماء كان في علم الحديث، وقلت الإشارات الصريحة والواضحة إلى الفقهاء، وهذا لا يعني عدم الاهتمام، إذ كان الغالب على فقهاء الشام الحديث من ناحية، ومن ناحية أخرى اعتماد الفقه على الحديث الذي برعوا فيه.

(1349) السمعاني: الأنساب، ج2، ص241؛ الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، ج1، ص377.

(1350) ينظر ترجمته في: البخاري: التاريخ الكبير، ج1، ص42؛ ابن حبان: الثقات، ج9، ص31؛ أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ج9، ص63-160؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص165؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج6، ص2393؛ ابن عدي: الكامل، ج1، ص114-115؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج2، ص 56-73؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج2، ص8؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص5-99؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج1؛ الزركلي: الأعلام، ج6، ص26.

(1351) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج2، ص224.

**خامساً: الفكر والعقائد.**

بعد دراسة تراجم العلماء فترة الدراسة والاطلاع عليها في كتب الرجال والتراجم والطبقات يمكن القول أن فلسطين كانت شبه خالية من الأفكار والعقائد التي تخالف أهل السنة والجماعة بعمومها، وقد لفت هذا الأمر انتباه البشاري المقدسي في القرن التالي لفترة الدراسة (4هـ/ 10م)، فقال عن عموم أهل فلسطين: «مذاهبهم مستقيمة، أهل جماعة وسنة»[1352]. ولم يخالف هذه القاعدة سوى قدوم بعض الأفراد ممن يخالف هذا العموم واستقرارهم فيها خلال فترة الدراسة، ويمكن التدليل على هذا الأمر بدراسة ترجمة المحدث ثور بن يزيد الكلاعي (ت: 153هـ/ 769م)، الذي كان من أهل حمص، وكان ثقة في الحديث لكنه كان قدريا[1353]، والقدرية فرق عديدة «جمعها كلها فى بدعتها أمور منها نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الأزلية وقولها بأنه ليس لله عز وجل علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية»[1354]. وقد كان ذلك سبباً في نفيه من حمص[1355] حتى استقر بفلسطين وتوفي ببيت المقدس[1356]، ومع أنه «روى عنه محمد بن إسحاق بن يسار، ومالك، والثورى، وابن عيينة، وابن المبارك، وخلائق من الأئمة. واتفقوا على توثيقه والثناء عليه»[1357]، إلا أنه كان مرفوض من أهل الشام وأعلامها مثل الأوزاعي، ولما «قدم وكيع الشام، فحدثهم عن ثور الشامي فقالوا لا نريد ثورا»[1358]، لكن ذلك لم يمنع من أن يستمع منه بعض أهل فلسطين الحديث مثل عباد بن كثير الرملي، مع مخالفتهم إياه في أفكاره[1359].

(1352) أحسن التقاسيم، ص179.

(1353) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص467؛ ابن حبان: الثقات، ج6، ص129.

(1354) عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، ص93.

(1355) ابن العماد: شذرات الذهب،

(1356) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج7، ص467؛ ابن حبان: الثقات، ج6، ص129؛ ابن العماد شذرات الذهب، ج1، ص228.

(1357) النووي: تهذيب الأسماء، ص195.

(1358) العقيلي: الضعفاء الكبير، ج1، ص197.

(1359) المزي: تهذيب الكمال، ج4، ص420.

واستمر موقف علماء فلسطين، رافضاً للأفكار المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، ظهر ذلك من موقف المحدث الرملي شهاب بن خراش، ففي عام (174هـ/ 795م)، لقيه هشام بن عمار وطلب منه أن يعلمه الحديث، فقال له: «إن لم تكن قدرياً ولا مرجئاً حدثتك»[1360]، وكان يقول: «أراد القدرية أن يصفوا الله فأخرجوه من فضله»[1361]، والمرجئة عدة فرق سميت بذلك «لأنهم أخروا العمل عن الإيمان، والإرجاء بمعنى التأخير.... يقولون الإيمان كلام، يعني: الذين زعموا أن الإيمان هو إقرار وحده دون غيره»[1362]، ويبدو أن شهاب اشتهر بذلك، حتى وصف بأنه ثقة يتحرى السنة[1363]

وظهر موقف علماء فلسطين حاسماً من المرجئة ومن اتبع عقيدتها، في تعاملهم مع محمد بن كرَّام[1364] النيسابوري، الشهير بالكرَّامي[1365]، فقد كان أحد المرجئة الذين تنسب له الفرقة الكرامية، وقد «دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم له حد ونهاية... وقد وَصف ابن كرام معبوده فى بعض كتبه بأنه جوهر كما زعمت النصارى»[1366]

(1360) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص181.

(1361) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص181.

(1362) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص181.

(1363) العجلي: الثقات، ج1، ص461.

(1364) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11، ص523.

(1365) السمعاني: الأنساب، ج5، ص43.

(1366) عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، ص203.

وغيرها الكثير من العقائد الباطلة[1367]، وبعد أن طُرد من نيسابور[1368] انتقل إلى بيت المقدس عام (251هـ/ 865م)[1369]، وأثناء مكوثه فيها سئل عن الإيمان، «فقال: قولٌ، بعد أن أمسك عن جوابه غير مرة»، إذ كان يعتقد أن «الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن عقد قلب، وعمل جوارح»[1370]، فلما سمعوا ذلك منه حرقوا ما كتبوا عنه، ونفي إلى زُغر ومات بها، فحمل إلى بيت المقدس»[1371] ودفن بها سراً، وذلك عام (255هـ/ 868م)[1372].

وفي خلافة المأمون تعرض علماء المسلمين لمحنة شديدة عرفت «بفتنة خلق القرآن»، وقد ألزم المأمون العامة والعلماء بتبني رأيه في أن القرآن الكريم مخلوق، وهو على خلاف ما يعتقده أهل السنة والجماعة، وحمل الناس على هذا الرأي بالإكراه والتعذيب، وامتحن علماء كثر من العراق والشام[1373]، ولا تفيدنا المصادر التي بين أيدينا تعرض أحد من علماء فلسطين لهذه المحنة، لكن موقفهم كان واضحاً في رفض القول بخلق القرآن، ومؤازرتهم للإمام أحمد بن حنبل، ومن رفض هذا القول مثله، مثَّلهم في ذلك ممن وقفنا على خبره، آدم بن أبي إياس، وفي ذلك يقول المحدث أبو بكر الأعين: «أتيت آدم العسقلاني فقلت له: عبد الله بن صالح كاتب الليث يقريك السلام. فقال: لا تقريه مني السلام. قلت: لم؟ قال: لأنه قال القرآن مخلوق، فأخبرته بعذره وأنه أظهر الندامة وأخبر الناس بالرجوع. قال: فأقريه السلام، وقال: إذا أتيت بغداد فأقْرِ أحمد بن حنبل السلام وقل له: يا هذا اتق الله وتقرب إلى الله بما أنت فيه، ولا يستفزنك أحدٌ، فإنك إن شاء الله مشرف على الجنة»[1374].

(1367) لتفاصيل أوفى عن عقائد الكرامية، انظر: عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، ص203-213.

(1368) **نَيسابور:** مدينة عظيمة من إقليم خراسان، في المشرق الإسلامي، انتسب لها جماعة كبيرة من العلماء والفضلاء. ياقوت: معجم البلدان، ج5، ص331.

(1369) السمعاني: الأنساب، ج5، ص43-44؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج19، ص315.

(1370) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج11، ص524.

(1371) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج19، ص315.

(1372) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص130.

(1373) انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص188 وما بعدها.

(1374) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج15، ص61.

ويمكن للباحث أن يلمس اهتماماً من علماء فلسطين بهذه القضية، حين سأل علي بن سهل الرملي (ت:261هـ/ 874م) الإمام الشافعي عن القرآن، فقال له: «كلام الله غير مخلوق»[1375].

## سادساً: التصوف.

يمكن القول أن فترة الدراسة، كانت من الفترات المهمة والفاصلة في تاريخ التصوف ليس في فلسطين فحسب، بل في العالم أجمع، إذ استقطبت بيت المقدس مجموعات من أعلام الزهد والتصوف، الذين أُثِرت أقوالهم وأحوالهم، وكانت البدايات الحقيقية لحركة صوفية منظَمة ومبشِرة، امتدت لقرونٍ بعد ذلك.

وبشكل عام، مثلت تلك الفترة مرحلة نضج الزهد الفلسفي، أو التصوف القائم على إرادة الإنسان بالسيطرة على نوازع النفس، والإمعان في زجرها وردعها والمبالغة في العبادة، والأخذ بالزهد والتقشف[1376].

ومن أشهر أعلام الزهد، العابد المجاهد إبراهيم بن أدهم (ت:161هـ/ 778م)، كان من أمراء بلخ، قدم فلسطين وبيت المقدس واستقر بها، وطاف مدن فلسطين طلباً للحلال، يبحث عن قوت يومه، فأقام بعكا وعسقلان وغيرها من مدن فلسطين وثغور الشام[1377] «مرابطا غازيا يصبر على الجهد الجهيد والفقر الشديد»[1378].

---

(1375) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج51، ص313.

(1376) عوض عبد الكريم الذنيبات: أعلام التصوف والزهد في العصر العباسي الأول، مجلة أفكار، ع178، ص97.

(1377) أبو نعيم: حلية الأولياء، ج7، ص368 وما بعدها.

(1378) ابن حيان: الثقات، ج6، ص24.

كما قدم فلسطين وسكنها من الزهاد، عبَّاد بن عبَّاد الشهير بالخوَّاص، الذي كان من أهل فارس فأتى الشام وعاش في الرملة وأرسوف[1379]، وكان معاصراً لأمير فلسطين إبراهيم بن صالح العباسي (ت:176هـ/ 792م)، وقد دخل عليه ووعظه[1380].

ومن أعلام الزهاد الوافدين على بيت المقدس رابعة العدوية البصرية (ت:135هـ/ 752م)[1381]، وكذلك بُشر بن الحارث، الملقب بالحافي (ت:229هـ/ 843م)، وكان أصله من مرو بخراسان[1382]، وكان فيها من أولاد الرؤساء[1383]، فقدم بيت المقدس وانقطع للعبادة فيها[1384].

ومنهم ذو النون المصري (245هـ/ 859م)، من زعماء الصوفية، قال: وجدت صخرةً ببيت المقدس مكتوب عليها: «كل عاص مستوحش، وكل مطيع مستأنس، وكل خائف هارب، وكل راج طالب، وكل قانع غني، وكل محب ذليل»[1385]، وكان من أصحاب ذي النون، محمد بن الفرج أبو جعفر الصوفي المعروف بابن الفرجي، (ت: بعد 270هـ/ 883م)، من أهل سامراء، «كان من أبناء الدنيا وأرباب الأحوال وأنه ورث مالاً كثيراً فأخرج جميعه وأنفقه في طلب العلم وعلى الفقراء والنساك والصوفيه»، نزل الرملة وصاحب صوفية فلسطين من أمثال ذي النون وابن تراب النخشبي، ومات بها[1386].

(1379) الخطيب البغدادي: المتفق والمفترق، ج3، ص79.

(1380) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج6، ص446.

(1381) الشهاب المقدسي: مثير الغرام لزيارة القدس والشام، ص350.

(1382) ابن حبان: الثقات، ج8، ص143.

(1383) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص275؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج10، ص474.

(1384) أمين سعيد أبو ليل: مخطوطات التصوف في فلسطين، ص7.

(1385) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل، ج1، 284.

(1386) ابن الخطيب: تاريخ بغداد، ج3، ص387.

وأكثر الصوفيين الذين تركوا أثراً فيما بعد، محمد بن كرَّام السجستاني[1387]، ويبدو أنه استطاع أن يؤثر في عدد كبير، حتى ذكرت بعض الروايات غير المسندة (قالوا): « توفي وأصحابه ببيت المقدس نحو عشرين ألفاً»[1388]، ورغم ما تحمله الرواية من مبالغة إلا أنها تشير إلى استطاعته جذب كثير من الأتباع، وقد ظل أثره وأثر فرقته بعد موته، فذكر البشاري المقدسي (ت: نحو 380هـ/ 990م)، من مشاهداته في فلسطين: «ببيت المقدس خلق من الكرامية لهم خوانق ومجالس»[1389].

## سادساً: الشعر والأدب.

لا تزودنا المصادر المتاحة بمعلومات وافية عن شعراء فلسطين وإسهاماتهم في فترة الدراسة، ورغم ذلك فلا يمكن نفي مثل هذه الحالة الثقافية في ظل ما تبين في هذا المبحث من نهضة علمية وثقافية كبيرة، ويشير الباحث إحسان عباس في محاولته لتأريخ الشعر الفلسطيني إلى صعوبة أن يجد الباحث «شعراء مرموقين» نالوا الشهرة الواسعة خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة[1390].

ويمكن للباحث من خلال بعض الإشارات في المصادر أن يلمس اهتمامات في الأدب والبلاغة والإلمام بالخطب ونحوها عند القاريء والمحدث إبراهيم بن أبي عُبلة (ت:152هـ/ 769م)[1391].

(1387) سبق ذكره والتعريف به وكيف وصوله بيت المقدس في متن الصفحات السابقة من هذا المبحث.

(1388) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج55، ص130.

(1389) أحسن التقاسيم، ص179.

(1390) فصول من الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين، ص166.

(1391) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج5، ص243.

ومن الذين صرَّحت المصادر بعلمهم باللغة وانتحالهم الشعر والأدب، المؤَدِّب أحمد بن مروان، الملقب بأبي مسهر، فقد كان من أهل الرملة، وعاصر الخليفة المتوكل (232-247هـ/ 846-861م)، وقد ذكره ياقوت في معجم الأدباء، ومن شعره المحفوظ:

**غيث وليث فغيث حين تسأله ... عرفا وليث لدى الهيجاء ضرغام**
**يحيا الأنام به في الجدب إن ... جودا وتشقى به يوم الوغى الهام**
**حالان ضدّان مجموعان فيه فما ... ينفكّ بينهما بؤسى وإنعام**
**كالمزن تجتمع الحالات فيه ... ماء ونار وإرهام وإضرام**[1392]

## سابعاً: التاريخ

ارتبط علم التاريخ في بداياته بعلم الحديث، إذ احتاجه المحدث لمعرفة غزوات الرسول وسيرته التي كانت تعد من علم الحديث، ثم توسع الحديث ليشمل أخبار الفتوح الإسلامية وأدوار الصحابة فيها، ثم الأحداث الكبرى في مسيرة الإسلام[1393].

وعليه، يمكن القول إن الاتساع في رواية الحديث وازدهاره حتى صار العلم الأوسع انتشاراً في فلسطين، كما مر بنا، يؤكد على اهتمام في التاريخ وإن لم تصرح المصادر بذلك، ومن الإشارات القوية على ذلك ما ذكره الواقدي (ت:207هـ/ 822م) أن أخبار الفتوح كانت تقرأ في المسجد العمري بغزة خلال القرن (2هـ/ 8م)[1394].

(1392) ج2، ص518.

(1393) عن أثر الحديث في نشأة علم التاريخ، ينظر: عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، ص21 وما بعدها.

(1394) الواقدي: فتوح الشام، ج2، ص283.

ومِمن سجلت لهم اهتمامات تاريخية في فلسطين خلال فترة الدراسة؛ المحدث والقاضي عبد الرحمن بن إبراهيم (دُحيم) (ت:245هـ/ 859م) الذي كان «من المتقنين الذي يحفظون علماء أهل بلده بشيوخهم وأنسابهم»[1395]، حتى صار «يعتمد عليه في تعديل شيوخ الشام وجرحهم»[1396].

ومن الذين ألَّفوا في التاريخ، من أهل فلسطين وعلمائها، المحدث موسى بن سهل الرملي (ت: 262هـ/ 875م)، حيث وضع كتاب «من نزل فلسطين من الصحابة»، وقد تكرر نقل ابن حجر العسقلاني عنه في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة[1397].

**ثامناً: العلوم التطبيقية:**

والمقصود بهذا المصطلح في هذا الموضع تلك العلوم التي تعتمد على التجربة والفعل، مثل الجغرافيا والفلك والكيمياء والرياضيات والطب.

(1395) ابن حبان: الثقات، ج8، ص381.

(1396) أبو يعلى الخليلي: الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ج1، ص450.

(1397) انظر مثلاً: ج2، ص408، ج3، ص184، 225.

والواقع أن حظ فلسطين من هذه العلوم خلال فترة الدراسة كان قليلاً، ويبدو أن ذلك عائد لانتقال مركز الخلافة إلى العراق، وتراجع الدور الفلسطيني في بلاط الخلافة، فضلاً عما تحتاجه هذه العلوم من رعاية رسمية توفر للمشتغلين بها الإمكانات المادية لتحقيق نتائج ملموسة فيها، ورغم ذلك يمكن الوقوف على إشارة عابرة وردت في ترجمة الطبيب سلمويه بن بنان متطبب الخليفة المعتصم، أن بولس بن حنون كان «متطبب أهل فلسطين»، وقد حضر أحد المجالس الطبية آنذاك[1398].

وبذلك، نكون قد وقفنا على أهم العلماء وإسهاماتهم خلال فترة قاربت القرن والنصف من الزمن رافقتها الكثير من التغيرات في البنية السياسية والإدارية، وأمكن من خلال هذا العرض بيان ما احتلته فلسطين من منزلة رفيعة في العلوم الدينية ولاسيما علم الحديث، وتبين كذلك تنوع الإسهام الحضاري والفكري والثقافي لأهلها، الذي لم يتأثر في تراجع الدور السياسي لهم.

(1398) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص238.

# المبحث الثالث
# العمارة والعمران

قضت فلسطين حقبتها التاريخية في ظل الحكم الأموي (41-132هـ/ 661-750م) وهي تزخر بالمنشآت العمرانية والمرافق العامة والضياع التي كان للخفاء والأمراء الأمويين الفضل الأكبر في إنشائها، وقد تعددت تلك المنشآت وشملت مناطق مختلفة من فلسطين.

ومع أن المصادر أسهبت في ذكر ما حل بدمشق والشام عموماً من تخريب وهدم على يد الجيش العباسي في مرحلة السيطرة عليها ومطاردة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، إلا أن الباحث لا يجد مثل هذه الإشارات فيما يتعلق بفلسطين، وربما يعود ذلك لعدم مقاومة أهل فلسطين للجيش العباسي، فضلاً عن انقلابهم على مروان كما مر ذكره سابقاً[1399].

وعليه، يمكن القول أن العباسيين قد ورثوا جند فلسطين مزدهر العمران والمرافق كما خلَّفه الأمويون، ولذلك نجد أن من الإجراءات التي اتخذوها في المرحلة الأولى من سيطرتهم على فلسطين، أن نقلوا ممتلكات بني أمية إليهم، ويشير البلاذري إلى دار الصباغين التي بنيت في الرملة، بأنها صارت لورثة والي فلسطين العباسي صالح بن علي (ت:151هـ/ 767م)، «لأنها قبضت مع أموال بني أمية»[1400]. ويبدو أنهم ورثوا إلى جانبها قطائع وعمائر أخرى، وقد استمروا يملكونها بفلسطين حتى عهد الرشيد الذي أمر بنقلهم إلى حلب ليكونوا بجانب أقاربهم، فلما توفي الرشيد افترقوا في البلدان[1401].

(1399) انظر: المبحث الثاني من الفصل الأول من هذه الدراسة.

(1400) فتوح البلدان، ص149.

(1401) ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، ص127؛ فيصل عبد الله بني حمد: قطائع بني العباس ومنازلهم في العصر العباسي، ص13.

## أولاً: إعمار المسجد الأقصى.

تعد جهود الإعمار في المسجد الأقصى من أول وأبيَن آثار العباسيين المعمارية والعمرانية في فلسطين خلال فترة الدراسة، وقد استهدفت تلك الجهود أبرز مَعْلمين فيه، وهما:

### أ. المغطى (الجامع القبلي).

ففي أواخر العهد الأموي، وتحديداً في العام (130هـ/ 748م)، أصاب بلاد الشام زلزال عنيف، تركز في مناطق ساحل فلسطين[1402]، أدى لقتل الآلاف، وتهدمت بسببه الكثير من الكنائس والأديرة المحيطة ببيت المقدس[1403]، كما تهدم بسببه أجزاء كبيرة من المسجد الأقصى، حيث تهدمت الأروقة الشرقية والغربية التي كانت على جانبي الرواق الأوسط[1404]، وتضررت كذلك قبة الصخرة[1405].

ويبدو أن الاضطراب العام في خلافة مروان بن محمد (127-132هـ/ 744-750م)[1406]، أعاق إعادة إعمار المسجد الأقصى، فلم يكمل مروان المسيرة العمرانية لمن سبقه من خلفاء بني أمية، وبقي المسجد على ما هو عليه حتى مجيء العباسيين.

(1402) المنبجي: المنتخب من تاريخ المنبجي، ص105-106.

(1403) Theophanes: The chronicle of Theophanes, p.112.

(1404) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص176.

(1405) خالد الخالدي: الزلازل في بلاد الشام (القرن1-13هـ/ 7-19م)، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، مج13، ع1، ص71.

(1406) انظر: المبحث الأول من الفصل الأول من الدراسة.

وتشير الروايات أن الخليفة المنصور قدم إلى بيت المقدس زائراً في العام (141هـ/ 758م)، في طريق عودته من رحلة الحج[1407]، وذكر المسعودي أن سبب الزيارة هو وفاء نذر كان عليه[1408]، فاغتنم أهل بيت المقدس الزيارة ورفعوا إليه: «يا أمير المؤمنين، قد وقع شرقي المسجد وغربيه، زمان الرجفة سنة ثلاثين ومائة، فقالوا له: لو أمرت ببناء هذا المسجد وعمارته»[1409]، فتعلل المنصور بعدم وجود كفاية من المال عنده في خزائنه، ولما كانت جميع أبواب المسجد الأقصى ملبسة بصفائح من الذهب والفضة، منذ عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، أمر المنصور بقلع هذه الصفائح فضربت دنانير ودراهم وأنفق عليه[1410]، وانتهت أعمال الترميم في العام (154هـ/ 771م)[1411].

وما ذكر من تعلل المنصور بعدم وجود المال الكافي في خزينة الدولة لإعادة بناء الأقصى، يدلل على ما كان معهوداً عنه من اقتصاد وشح وتدقيق في النفقات[1412]، مع تضخم في الأموال المدخرة[1413]، وهو سلوك غريب إذا علمنا أنه ابتدأ في بناء مدينة بغداد بعد وقت قصير، في عام (145هـ/ 762م)[1414]، ولا شك أن تكلفة بناء المدينة كان يفوق إعمار الأقصى بكثير.

ويبدو أن المنصور أعاد بناء المسجد على مساحته الأولى في العهد الأموي، إذ لم تذكر المصادر أو التنقيبات الأثرية تعديلات أدخلها المنصور على هيئة المسجد، بخلاف ابنه المهدي.

(1407) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص394؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص27؛ المرعشي: غرر السير، ص338.

(1408) مروج الذهب، ج3، ص308.

(1409) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص176.

(1410) المصدر نفسه، ص176، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص281.

(1411) عفيف البهنسي: فن العمارة والزخرفة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4، ص801.

(1412) الإتليدي: إعلام الناس بما وقع للبرامكة من بني العباس، ص34؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج32، ص308؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج9، ص466.

(1413) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص387.

(1414) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج4، ص459.

ففي السنة الأولى من خلافة المهدي (158-169هـ/ 775-785م)، ضرب فلسطين زلزال آخر[1415]، أدى لهدم الإصلاحات التي أجريت في عهد المنصور، يقول البشاري المقدسي: «جاءت زلزلة في دولة بني العباس فطرحت المغطى [المسجد الأقصى المسقوف، أي الجامع القبلي]، إلا ما حول المحراب»[1416]، وعندما زار المهدي بيت المقدس عام (163هـ/ 780م)، أعاد أهلها الطلب منه بإعادة بناء المسجد وإعماره[1417]، ويبدو أن مستشاريه حذروه من ارتفاع تكلفة ذلك، وأن جميع ما في بيت المال لا يفي برده إلى ما كان، «فكتب إلى أمراء الأطراف وسائر القواد أن يبني كل واحد رواقاً، فبنوه أوثق وأغلظ صناعة مما كان»[1418].

ومن التغييرات الرئيسة التي أدخلها المهدي على المغطى (الجامع القبلي) زيادة عرضه، إذ رأى أن طول المسجد كبير بدرجة لا تناسب عرضه، فقال: «دق هذا المسجد وطال، وخلا من الرجال، انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه»[1419].

ويصف البشاري المقدسي المسجد الذي بناه المهدي، فيقول: «وللمغطى ستة وعشرون باباً؛ باب يقابل المحراب يسمى باب النحاس الأعظم مصفَّح بالصفر المذهب، لا يفتح مصراعه إلا رجل شديد الباع قوي الذراع، عن يمينه سبعة أبواب كبار في وسطها باب مصفح مذهب، وعلى اليسار مثلهن، ومن الشرق أحد عشر باباً سواذج [بدون زخارف]... وعلى وسط المغطى جمل عظيم خلف قبة حسنة، والسقوف كلها، إلا المؤخر، ملبسة بشقاق الرصاص»[1420].

(1415) لم أجد تاريخ الزلزال في المصادر المتاحة، والمذكور أعلاه من: عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص119.

(1416) أحسن التقاسيم، ص168.

(1417) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص176-177، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص283.

(1418) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص168.

(1419) الشهاب المقدسي: مثير الغرام، ص177، وانظر: مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص283.

(1420) أحسن التقاسيم، ص168-169.

وبالاعتماد على النص السابق، والاستكشافات الأثرية الحديثة التي أعدها الأثـري كريزويـل (K. A. C. Creswell)[1421]، يمكن أن نحدد معالم المسجد الـذي بنـاه المهـدي والتغيـرات التـي أحدثها بالشكل التالي:

- ارتكزت تغطية أجزاء من المغطى على دعامات إسطوانية، كان متوسط قطرها (90سـم)، وهي مبنية من مداميك حسب ما تبين بعد إزالة الطبقة الجصية التي تغطيها[1422]، وهو ما أشار إليه البشاري المقدسي بقوله: «ومـا كـان مـن الأسـاطين المشـيدة فهـو محـدث»[1423] (أي في عهـد المهدي)، كما ارتكز الجزء الآخر على أعمدة كاملة.
- الرواق الأوسط والرواقين على يمنيه ويساره كانا بـنفس العـرض الحـالي، لأن محـاورهم محددة بالمداخل المركزية الثلاثـة، والتـي اثنـان منهـا لا يمكـن أن يكونـا أحـدث مـن القـرن (2هـ/ 8م).
- تكوَّن المغطى من خمسة عشر رواقاً (بلاطات) تتجه جميعهـا بشـكل عمـودي عـلى جـدار القبلة.
- كان الرواق الأوسط أوسعها، حيث بلغ عرضه (من المركز إلى المركز) 11.8 متراً.
- بنيت سبعة أروقة على يمين الرواق الأوسط وسبعة أخرى على يسـاره، وكـان عـرض كـل رواق (بلاطة) منها (من المركز إلى المركز) 6.5 متر.
- أصبح عرض المغطى (مـن الشـرق إلى الغـرب) 102.8متـر، وطولـه (مـن الشـمال إلى الجنوب) 69.2 متر، وبالتالي يكون قـد حقـق نسـبة البنـاء المفضـلة في العصـر العباسـي وهـي (3:2).
- استنتج كريزويل أن صـفوف الأعمـدة في مسـجد المهـدي (11صـفاً) مفترضـاً أن عـدد الأبواب في الجانب الشرقي تقابل صفوف الأعمدة تلك[1424]. (شكل:4.1)

---

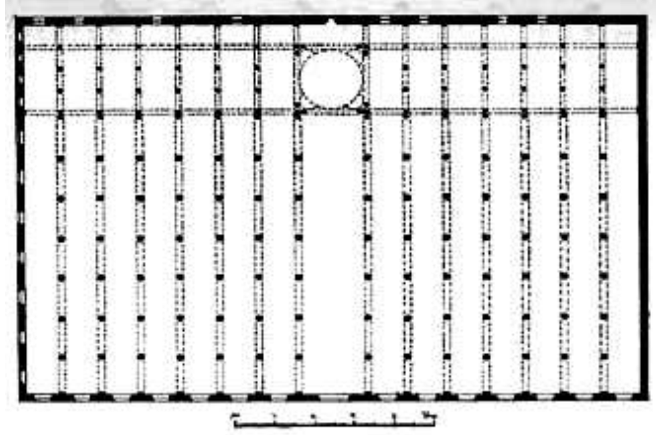
(1421) كريزويل (K. A. C. Creswell) (1879-1974م): مؤرخ وآثاري إنجليزي، عمل على اكتشاف وتوثيـق العمارة الإسلامية في مصر وفلسطين خلال الربع الأول من القـرن العشـرين، شـغل منصـب عضـو مجلـس أمنـاء المتحف الإسلامي في القدس (1947-1967م)، امتازت أعماله بالدقة البالغة والثقة العاليـة، نشـرت معظمهـا في كتابيه: (The Muslim Architecture of Egypt) و(Early Muslim Architecture).
انظر: K. A. C. Creswell , Wikipedia, the free encyclopedia.

(1422) يستنتج كريزويل أن الدعامات الإسطوانية التي شيدت في عهد المهدي، بني على جزء منهـا المغطـى (الجـامع القبلي) الذي بناه الخليفة الفاطمي الظاهر، وأن جزء كبير من المسجد الحالي هو من تشييده.
Creswell: a short account of early muslim architecture, p.77.

(1423) أحسن التقاسيم، ص168.

(1424) Creswell: a short account of early muslim architecture, p.77.

-



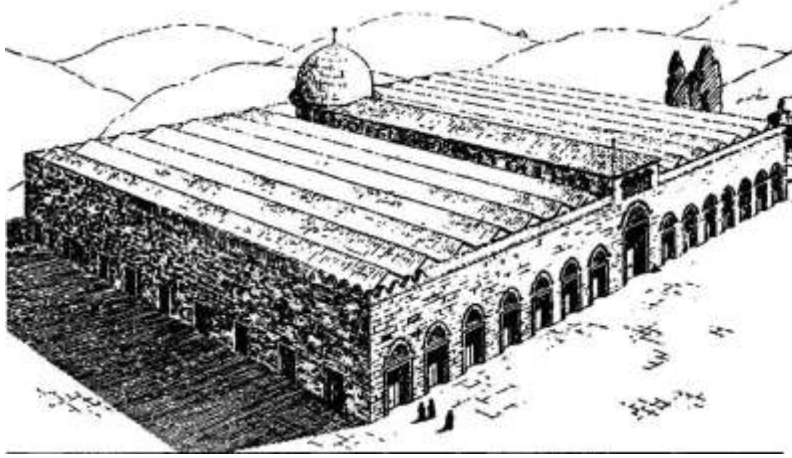
**(شكل:4.1) مسقط أفقي للمغطى من المسجد الأقصى في عهد المهدي (رسم كريزويل)، ويظهر اتساع الرواق الأوسط وعلى جانبيه سبعة من الأروقة متساوية العرض في كل جانب.**

(The Creswell Archive/Ashmolean Museum of Art and Archaeology, Negative No.: EA.CA.2346)

- حملت الأسقف على حوامل خشبية ضخمة، واتخذ التسقيف الشكل الجملوني، وغطي السقف بألواح من الرصاص، وكان سقف الرواق الأوسط أكثر ارتفاعاً، وفتح في الجمالون الحامل للسقف مناور لإدخال الضوء.

- أضيفت ولأول مرة، قبة خشبية مزدوجة مغلفة بصفائح الرصاص ومزينة بالجبس من الداخل[1425]. (شكل:4.2)

(1425) عفيف البهنسي: فن العمارة والزخرفة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4، ص801.



**(شكل:4.2) منظور تخيلي للمغطى (الجامع القبلي) في عهد المهدي، وتظهر القبة المضافة والسقوف الجمالونية.**

(المصدر: Creswell: Architecture, Encyclopedia of Islam, vol.1, p.618)

ويرى كريزويل (Creswell)، أنه ما من شك في التأثير الكبير لتصميم المسجد الأقصى على جامع قرطبة الذي أمر ببنائه عبد الرحمن الداخل عام (170هـ/ 787م)، ورغم الإضافات التي تمت عليه، إلا أن الجزء الأصلي لا يزال باقياً وهو مثل المسجد الأقصى، حيث يتكون من أروقة تتجه كلها بشكل عمودي على جدار القبلة، ويكون أوسطها أوسعها ويسقف هذه الأروقة أسقف جمالونية متوازية[1426].

وفي عهد المأمون (198-218هـ/ 813-833م)، أضاف عبد الله بن طاهر (ت:230هـ/ 844م)، والي مصر والشام آنذاك، رواقاً حُمل على أعمدة من رخام ودعامات إسطوانية[1427].

وقد ظل المسجد على حاله الموصوفة أعلاه حتى أصاب بيت المقدس زلزال في عام (406هـ/ 1015م) فتهدم ودخل مرحلة جديدة من الإعمار في عهده الفاطمي[1428].

(1426) Creswell: Architecture, Encyclopedia of Islam, vol.1, p.618.

(1427) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص168-169.

(1428) عفيف البهنسي: العمارة والزخرفة، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4، ص802.

**ب. قبة الصخرة.**

وإلى جانب المغطى استمرت قبة الصخرة محافظة على عمارتها الأصيلة، ومما يذكر أنها كانت محل إعجاب عند الخليفة المهدي نفسه، ففي طريقه نحو بيت المقدس عام (163هـ/ 780م)، دخل مسجد دمشق (الأموي)، وأعجب به وبعمارته، فقال لكاتبه: «سبقنا بنو أمية بثلاث...، بهذا البيت -يعني المسجد- لا أعلم على ظهر الأرض مثله أبداً، وبنُبْل الموالي، وبعمر بن عبد العزيز»، فلما أتى بيت المقدس ودخل قبة الصخرة، قال لكاتبه: «وهذه رابعة»[1429].

ويبدو أن قبة الصخرة تأثرت بالزلازل التي أصابت بيت المقدس، لكن بدرجة أقل من المغطى، مما حدا بالخليفة المأمون (198-218هـ/ 813-833م)، أن يجري عليها بعض الترميمات.

فقد أثبتت الصفائح النحاسية التي وضعت بعتبة الباب العلوية، على الأبواب الأربعة الخارجية لمسجد الصخرة، أن ترميماً جرى في عهد المأمون عام (216هـ/ 830م)، وبرعاية أبي إسحق المعتصم أخ المأمون، وتثبت أن التعمير جرى على يد عامله صالح بن يحيى في شهر ربيع آخر من نفس العام[1430].

ويبدو أن فنياً قليل الخبرة والذكاء من الذين كانوا يتولون عملية الترميم أراد أن ينسب بناء المسجد للمأمون، فزوَّر لوحة تأسيسية في القبة، إذ يستقر فوق الأعمدة التي يقوم عليها سقف المسجد حول الصخرة من الناحية الجنوبية الشرقية خط ضيق مصنوع من البلاط الأزرق، نقشت عليه بالأحرف الكوفية المذهبة الكلمات التالية:

(1429) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج2، ص247؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج9، ص173؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج1، ص283.
(1430) حمد أحمد عبد الله يوسف: بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، ص120.

«بنى هذه القبة عبد الله عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه آمين»، وقد غفل هذا الفني (كاتب العبارة) عن تغيير التاريخ فقد أبقى عام (72) وهو العام الذي أتم فيه عبد الملك بن مروان البناء، ولم يذكر العام الذي تم فيه الترميم، وقد وجد الفني المكان ضيقاً بحيث لا يتسع لاسم الخليفة المأمون وألقابه، فاضطر إلى كتابة ذلك بطريقة تخالف تلك التي كتبت بها الكلمات الأخرى، فظهرت الحروف التي كتب بها اسم المأمون مزدحمة يختلف شكلها عن الحروف التي سبقتها، ثم إن لون الفسيفساء التي جرى بها التحريف أشد سمرة من لون الفسيفساء الأصلية[1431].

وتخليداً للإصلاحات التي قام بها المأمون في قبة الصخرة، ضرب فلساً كتب على مداره «ضرب هذا الفلس بالقدس سنة سبع وعشرة ومائتين»[1432].

***

(1431) المفصل في تاريخ القدس، ص121.

(1432) كامل العسلي: مكانة القدس عربياً وإسلامياً عبر التاريخ، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج6، ص81148.

**ثانياً: المرافق العامة (صهريج الرملة).**

لا تزودنا المصادر أو الاكتشافات الأثرية بالكثير عن المرافق العامة المنشأة في العصر العباسي، سوى ما دوَّنه كريزويل (Creswell)، حول صهريج الرملة.

وتعد أماكن خزن المياه أهم المرافق العامة للتجمعات السكانية البعيدة عن الماء، وقد استخدمت لهذه الغاية الصهاريج، وهي عبارة عن خزان صناعي لتخزين المياه واستخدامها في وقت الحاجة إليها، والصهاريج نوعان: العام والخاص، حيث تخصص الصهاريج العامة لتخزين الماء وتوزيعه بالمدينة، فهي بهذا تشبه محطات المياه بالمدن في وقتنا الحاضر، أما الصهاريج الخاصة، فهي ما كانت مخصصة لخدمة منشأة بعينها، وهي عادة أصغر حجماً(1433).

ومن المعروف، أن الرملة قد عانت من قلة مصادر المياه، وخصوصاً في فصل الصيف، «فلا ماء يجري...[وهي] عميقة الآبار مالحة»(1434).

ولذلك ليس من المستغرب أن يقوم سليمان بن عبد الملك عند البدء ببناء مدينة الرملة أن يهتم بالمنشآت المائية، فحفر قناة بردة وآباراً عدة، وبنى صهريجاً متوسطاً في دار الصباغين(1435).

ومما يذكر في هذا المقام أن الخلفاء العباسيين قد استمروا في صرف النفقات التشغيلية لهذه المنشآت كما كان يفعل سلفهم من الأمويين مع بعض التغييرات الإجرائية في طريقة الإنفاق(1436).

وقد دلت الاكتشافات الأثرية على بناء صهريج ماء ضخم في الرملة، أشار إلى نسبته لفترة الدراسة، نقش كوفي غائر داخل مستطيل كبير على الكسوة الجصية المقابلة للدرج يفيد بأن باني الصهريج هو «دينار مولى أمير المؤمنين» في (ذي الحجة 172هـ/ مايو 789م)، أي في عهد الرشيد (170-193هـ/ 786-808م)(1437).

(1433) خالد عزب: كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه، الفصل الرابع، من منشورات الأيسيسكو. http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Mochkil%20Miyah/P5.php

(1434) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص168-169.

(1435) البلاذري: فتوح البلدان، ص149.

(1436) المصدر نفسه، ص149؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص102.

(1437) Creswell: a short account of early muslim architecture, p.285.

وربما يكون هذا الصهريج من آثار زبيدة بنت جعفر بن المنصور، زوج الرشيد وابنة عمه، فقد شادت العديد من البرك والصهاريج والمنشآت المائية في طريق الحج بين بغداد ومكة، وقد ظلت هذه الصهاريج والمنشآت تعمل وتؤدي دورها حتى أواخر القرن (6هـ/ 12م) على الأقل، حيث ذكرها وأشاد بها ابن جبير في رحلته[1438].

ويعرف صهريج الرملة محلياً باسم «بئر العنيزية»، وهو من الآثار المعمارية المهمة في تاريخ العمارة الإسلامية[1439]، وهو أقدم الصهاريج الأثرية الباقية في العالم الإسلامي ومن أكبرها[1440].

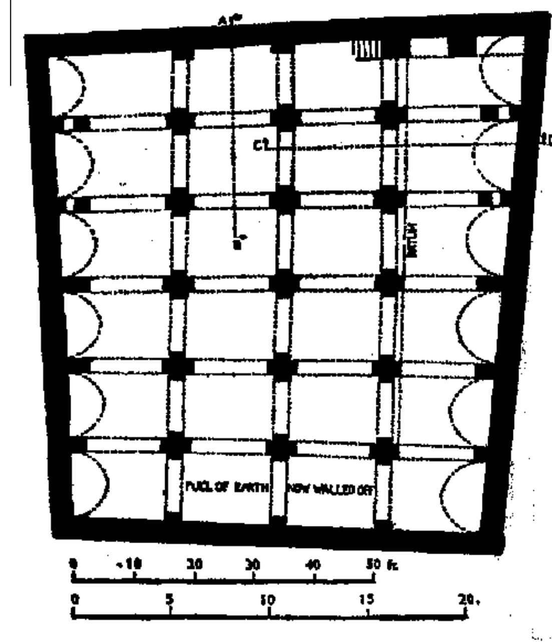
ويقع هذا الصهريج على بعد نحو نصف ميل إلى الجنوب الغربي من الرملة، على الطريق الموصل بين يافا وبيت المقدس، وهو عبارة عن بئر محفورة في باطن الأرض يبلغ عمقه 8 متر، مربع الشكل غير منتظم، تتناقص من 24 متراً في الجانب الشمالي، إلى 20.5 متراً في الجانب الجنوبي، مكون من أربعة حوائط ساندة قوية، غطيت بأكملها بطبقة صلبة من الأسمنت.

(1438) رحلة ابن جبير، ص185.

(1439) Creswell: Architecture, Encyclopedia of Islam, vol.1, p.618.

(1440) خالد عزب: كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه، الفصل الرابع، من منشورات الأيسيسكو.
http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Mochkil%20Miyah/P5.php

وقد قسم الصهريج إلى ستة أروقة (بلاطات) بواسطة خمس بائكات، تتكون كل بائكة منها من أربعة عقود في الاتجاه من الشرق إلى الغرب[1441]. (شكل:4.3)




**(شكل:4.3) مسقط أفقي يوضح أماكن دعامات أروقة صهريج الرملة.**

(المصدر:. Creswell: Architecture, Encyclopedia of Islam, vol.1, p.618 )

(1441) Creswell: a short account of early muslim architecture, p.284.

وحملت العقود على دعامات، أما العقود التي تحمل البائكات، فكلها مدببة الشكل، ويظهر أنها مكونة من مركزين يتراوح البعد بينهما من ( $\frac{1}{7}$ إلى $\frac{1}{5}$ ) من بحر العقد (اتساع فتحته).

ويوجد درج في الركن الشمالي الشرقي للبئر، ملاصقاً الجدار الشمالي، ويهبط من الخارج إلى داخل البئر. ويرتكز هذا الدرج على عقدين يظهر أحدهما على شكل دعامة طائرة[1442].

وشيد الصهريج من الحجارة المنتظمة المداميك واللحامات، ويربط بينها طبقة سميكة من المونة، أما العقود فبنيت من الدبش المترابط جيداً بالمونة[1443]. (شكل: 4.4)



**شكل (4.4): صورة من الداخل (أوائل القرن 20م) توضح نظام البناء، وتظهر الأعمدة التي تحمل العقود المدببة التي تحمل البائكات، ويظهر في السقف فتحات انتشال الماء.**

(The Creswell Archive, Ashmolean Museum of Art and Archaeology, Negative No.: EA.CA.5222)

(1442) Creswell: a short account of early muslim architecture, p.284.

(1443) Ibid, p.284.

وكان يتم سحب الماء يتم عن طريق هذا الدرج، بالإضافة لأربع وعشرين فتحة علوية مثقوبة في الأقبية، أبعاد كل منها (55 سم x 55 سم)، بحيث يمكن لعدد مماثل من العمال أن يسحبوا الماء في الوقت نفسه من الداخل إلى أعلى بواسطة دلاء مربوطة بالحبال[1444].

ويؤكد كريزويل أن العقود المدببة المستخدمة في بناء الصهريج تسبق مثيلتها في العمارة الأوربية بقرون[1445].

وفي الوقت الحالي، وبعد الاحتلال الصهيوني لفلسطين عام (1367هـ/ 1948م) تم تحويل صهريج الرملة لمعلم سياحي، يتم التجول فيه بالقوارب الصغيرة بعد أن يتم ملأ ثلثه بالماء. شكل (4.5)

وعليه، يمكن القول أن صهريج الرملة بمتانته وتحقيقه لوظيفته واستمراره لأكثر من اثني عشرة قرناً رغم ما حل بالمدينة من زلازل، ليدلل على المهارة الكبيرة والقدرة العالية للحضارة الإسلامية في إيجاد حلولٍ إبداعية لمواجهة الظروف الصعبة التي كانت تمر بها.



**شكل (4.5): صورة حديثة لصهريج الرملة، وقد أصبح معلماً سياحياً يتم التنقل فيه من خلال بعض القوارب الصغيرة، ويظهر في الصورة الضوء النافذ من فتحات سحب المياه العلوية.**

(المصدر: http://beitemmett.blogspot.com/2010/06/ramla-and-latrun.html)

(1444) خالد عزب: كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه، الفصل الرابع، من منشورات الأيسيسكو.
http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Mochkil%20Miyah/P5.php

(1445) Creswell: Architecture, Encyclopedia of Islam, vol.1, p.618.

**ثالثاً: العمائر الأخرى.**

لا شك أن حركة الإعمار الخاصة التي قام بها الأفراد والجماعات لم تتوقف بمجيء العباسيين، ولكن تبقى المصادر والآثار الدالة على ذلك قليلة للغاية، ولا شك أن الزلازل المتكررة التي حلت بفلسطين كانت سبباً في ذلك، وتشير المصادر إلى حركة عمران، قامت في المكان، واعتمدت بالأساس على الحجر الصخري المستخرج من مقاطع الرخام ببيت جبرين[1446].

وكانت مقاطع الحجارة في بيت جبرين الوحيدة في فلسطين منذ بداية العهد الروماني، وإلى القرن (4هـ/ 10م) ووفق أحد الأثريين الفلسطينيين فإن غالبية العمران المُشاهد في المواقع الأثرية المهمة في فلسطين، والمبني من الرخام اقتطع في حينه منها[1447].

وأشار الرحالة ناصر خسرو أثناء زيارته لفلسطين في منتصف القرن (5هـ/ 11م) إلى انتشار الرخام في مدينة الرملة، واستخدامه في أعمال الزينة للبيوت الكبيرة والعادية على السواء، ولفت انتباهه طريقة تهذيبه وقصه، فضلاً عن تعدد أنواعه وألوانه، فكان منه «الملمع والأخضر والأحمر والأسود والأبيض، ومن كل لون»[1448].

فقد دلت الاكتشافات الأثرية التي جرت في عام (1300هـ/ 1883م)، بعسقلان ، على بناء مسجد فيها أمر بإنشائه الخليفة المهدي (158-169هـ/ 775-785م)[1449].

(1446) البشاري المقدسي: أحسن التقاسيم، ص184.

(1447) عبد العزيز عرار: قرية بيت جبرين، ص61.

(1448) سفر نامة، ص54.

(1449) مصطفى مراد الدباغ: الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، ص192.

وقد وردت إشارات في المصادر تفيد بإعمار بعض الأملاك الخاصة والكبيرة في فلسطين فترة الدراسة، فقد أقام الإمبراطور شارلمان(Charlemagne) (ت:198هـ/ 814م)، في بيت المقدس نزلاً للحجاج الأوربيين الذين يتكلمون باللسان الروماني، ومكتبة وعدداً من بيوت الرهبان(1450).

وفي عهد المأمون (198-218هـ/ 813-833م)، صار سعيد بن أبي السرح أميراً على فلسطين، «فاتخذ الدور والضياع»، وذلك بعد رجوعه من اليمن بأموال كثيرة(1451).

وكذلك اتخذ أحمد بن المدبر لنفسه قصراً في الرملة وصف بأنه «كان جليلاً» وذلك في عهد الخليفة المتوكل (232-247هـ/ 846-861م)(1452)، وقد كان ابن المدبر من رجالات الدولة العباسية وقد تولى خراج فلسطين، في عهد المهتدي (255-256هـ/ 869-870م)(1453).

ووردت كذلك إشارتان تفيدان أن أمير فلسطين عيسى بن شيخ (ت:269هـ/ 882م)، قد شيد لنفسه قصراً بين الرملة ولد، وكان يقيم فيه(1454)، كما أنه أقام حصنا خارج الرملة سماه الحسامي(1455).

وبعد العرض السابق، نكون قد وقفنا على مجمل الأحوال والآثار المعمارية والعمرانية في فلسطين خلال تلك المرحلة من مراحل تاريخها، وتبين استمرار اهتمام الخلفاء العباسيين بالمسجد الأقصى، مع تراجع في حركة الإعمار المدنية بالمقارنة مع العهد السابق.



(1450) Bernard The Wise: The Voyage of the Bernard The Wise, Early Travels in Palestine, p.26.

(1451) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص456؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج5، ص 163.

(1452) ناصر خسرو: سفر نامة، ص54.

(1453) المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص177.

(1454) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص501.

(1455) المصدر نفسه، ج2، ص502.

# الخاتمة

**توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، وفيما يلي ذكر لأهمها:**

- أخلص أهل فلسطين للخلافة الأموية، فدافعوا عن شرعيتها ورفضوا الصراع على الخلافة في المرحلة التالية لموت هشام بن عبد الملك.
- ساهم موقف قادة فلسطين من مروان بن محمد، والخروج عليه، في اضطراب موقفه وإضعافه أمام الثورة العباسية قبل إعلانها وبعده.
- خضعت فلسطين للحكم العباسي بعد أن فرضوا سيطرتهم على بلاد الشام بالقوة والبطش ، وفي ظل تخلي أهل فلسطين عن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.
- تراجعت المكانة السياسية والاجتماعية لفلسطين، وتكررت الثورات والتمردات على حكم العباسيين طيلة فترة الدراسة، وكانت ثورة المبرقع اليماني أكثرها انتشاراً وشعبية، بينما كان تمرد ابن شيخ أكبرها أثراً.
- رغم ما حل بفلسطين من تراجع على الصعيد السياسي والإداري، لكن ذلك لم يؤثر في المكانة الدينية التي ورثتها عن العصور السابقة.
- امتدت حدود فلسطين الشرقية خلال فترة الدراسة بين بيسان وأيلة، وكانت البلقاء إقليماً مستقلاً.
- قسم جند فلسطين إلى إحدى عشرة كورة، تبع كل واحدة منها عدد من البلدات والقرى، وكان أكبر تلك الكور الرملة وبيت المقدس، وكان لكل كورة أمير، قد استفيد من هذه التقسيمات في جباية الخراج وغيرها.
- تولى إدارة فلسطين عبر عدد كبير من الولاة المنتمين للبيت العباسي أو قادتهم، وقلَّ من تولاها من أهلها.
- اتبع العباسيون في فلسطين النظم المالية والإدارية التي ورثوها عن الأمويين وكانت متبعة في أرجاء الخلافة، مع وجود بعض الإجراءات التي امتازت بها عن باقي الأقاليم.

- كان العرب المسلمون، الذين انتشروا على طول فلسطين الأكثرية السكانية، يليهم النصارى والسامرة، بينما ندر وجود اليهود، الذين كانت أعدادهم وأخبارهم شحيحة للغاية.
- استمر قدوم الوافدين إلى فلسطين، لكنه لم يؤثر في البنية السكانية، القائمة في الأصل على أكثرية من المسلمين.
- عامل المسلمون أهل الذمة معاملة متسامحة، وقد أحسنوا إليهم وأنصفوهم، كما تمتع أهل الذمة بحرية ممارسة شعائرهم الدينية وعاداتهم الخاصة، في جو من السلم المجتمعي الذي لم يعكر صفوه سوى بعض الحوادث القليلة.
- تميز المجتمع الفلسطيني بمجموعة من العادات والتقاليد التي تقوم على احترام الآخرين وحفظ حقوقهم، إلى جانب مساهمتها في بناء الهوية الشخصية له.
- قام الاقتصاد الفلسطيني على ركائز الزراعة والصناعة والتجارة، وتفاوت نسبة هذه الركائز في البنية الاقتصادية.
- تميزت فلسطين بإنتاج عدد من الأصناف النادرة والجيدة التي كانت تصدَّر إلى أرجاء واسعة من أرض الخلافة، سواء من المزروعات أو الصناعات، فتميز من المزروعات الزيتون والعنب والتين والتفاح وغيرها من الأصناف النادرة، أما في الصناعة فقد قامت على المنتوجات الزراعية فضلاً عن الاستفادة من إمكانيات الطبيعية.
- لم تتأثر الحياة العلمية بفلسطين بما كانت تحياه البلاد من تهميش سياسي، إذ شهدت معظم مدنها حركة علمية نشطة، مستفيدة من ميراث السابقين، وقد تميز منها بيت المقدس والرملة وعسقلان وغيرهم.
- أسهم علماء فلسطين في معظم العلوم الدينية والأدبية من قراءات وتفسير وحديث وفقه ولغة وأدب وتاريخ، فضلاً عن وعظ الحكام وحمل هموم الناس.
- تأثرت العلوم التطبيقية بتراجع الدور السياسي والإداري لفلسطين لصالح العراق، لأن مثل هذه العلوم تحتاج إلى رعاية رسمية من جانب الدولة.
- كان علم الحديث الأكثر انتشاراً بين أهل فلسطين، وقد أنجبت عدداً كبيراً من المحدثين الأعلام الذين انتشرت روايتهم في كتب الصحاح، كما زارها عدد كبير من مشهوري علماء الحديث ليأخذوا رواية أهلها.

- تشكلت في فترة الدراسة وعلى أرض فلسطين الملامح الأساسية النظرية والسلوكية للزهد وللتصوف.
- تراجعت حركة إعمار المساجد والمرافق في فلسطين بالمقارنة مع العهد الأموي.
- بنى العباسيون في فلسطين صهريج الرملة الذي يعد من أقدم النماذج للمنشآت المائية المبنية بهذا الطراز.

# المصادر والمراجع

**أولاً: القرآن الكريم.**

**ثانياً: المصادر العربية والمعربة.**

**ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت: 658هـ/ 1260م):**

1. الحلة السيراء، تحقيق: د. حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ط2، 1985م.

**ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت:668هـ/ 1269م).**

2. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، **تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.**

**ابن الأثير، علي بن محمد ( ت 630هـ/ 1232م )**

3. أسد الغابة في معرفة الصحابة، 8 أجزاء، تحقيق: أحمد عادل الرفاعي، دار التراث العربي، بيروت، 1996م.

4. الكامل في التاريخ، 10 أجزاء، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

**أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجستاني (ت:275هـ/ 888م).**

5. سنن أبي داود بحاشيته عون المعبود ، 4ج، طبعة دهلي.

**الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت:ق6هـ/ 12م)**

6. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1989م.

**الأزدي ، أبو زكريا يزيد بن محمد ( ت: 334هـ/ 945م ).**

7. تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، لجنة أحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1967م.

**أبو إسحاق الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي (476هـ/ 1083م).**

8. طبقات الفقهاء، بتهذيب: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، 1970.

**الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (ت: 346هـ/ 957م)**

9. مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، د.ت.

**الأصفهاني ، علي بن الحسين ( ت 356هـ/ 969م ).**

10. مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، انتشارات الشريف الرضي. د.ت.

11. كتاب الأغاني، 24 جزء، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، د.ت.

**ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت:930هـ/ 1524م).**

12. بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.

**أينهارد، (ت: 225هـ/ 840م)**

13. سيرة شارلمان، ترجمة وتعليق: د. عادل زيتون، دار حسان، دمشق، ط1، 1989.

**الباجي، الحافظ أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد ابن أيوب المالكي (ت: 474 ه/ 108 م)**

14. التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح، تحقيق: أحمد لبزار، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، د.ت.

**البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت: 256 هـ/ 870 م).**

15. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ.

16. التاريخ الصغير، تحقيق: محمود ابراهيم زايد فهرس أحاديثه يوسف المرعشي، المجلد الأول، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

17. التاريخ الكبير، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

**البشاري المقدسي، محمد بن أحمد ( ت: نحو 380هـ/ 990م).**

18. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، 1877م.

**ابن البطريق، أفتيشيوس المكنى سعيد بن البطريق (ت:328هـ/ 939م).**

19. التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1909م.

**البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (ت:521هـ/ 1127م).**

20. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، حامد عبد المجيد، وزارة الثقافة، بغداد، 1990.

**البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت:487هـ/ 1094م)**

**21.** معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، 4 أجزاء، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1983م.

**البلاذري، أحمد بن يحيى ( ت: 279هـ/ 892م).**

22. فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ.

23. أنساب الأشراف، 13 جزء، تحقيق: د.سهيل زكار، د. رياض زكار، دار الفكر، لبنان، 1996م.

**البلوي، أبو محمد عبد الله بن محمد المديني (ت: بعد 330هـ/ 941م):**

24. سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.

**ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي (ت:646هـ/ 1248م).**

25. الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، نسخة من مكتبة الشاملة الإلكترونية.

**بنيامين التطيلي، الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي (ت:569هـ/ 1173م)**

26. رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002.

**التركماني، الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن رسول الغسَّاني التُّركُماني (ت:696هـ/ 1296م).**

27. المعتمد في الأدوية المفردة ، نسخة إلكترونية، مكتبة الشاملة.

**ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت: 874هـ/ 1469م):**

28. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، د.ت.

**ابن تميم المقدسي: شهاب الدين أبي محمود (ت: 765هـ/ 1363م).**

29. مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق: أحمد الخطيمي، دار الجليل، بيروت، 1994.

**التنوخي، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود (ت:384هـ/ 994م)**

30. الفرج بعد الشدة، 5ج، تحقيق :عبود الشالجى، دار صادر، بيروت، 1978.

**الثعالبي، أبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (429 هـ/ 1038 م)**

31. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – القاهرة، ط1، 1965.

**الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت:255هـ/ 869م):**

32. الحيوان، 8 أجزاء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1996م.

33. كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1990.

34. التاج في خلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914.

35. البلدان، تحقيق: صالح العلي، مطبعة الحكومة، بغداد، 1970.

**ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين (المتوفى: 614هـ)**

36. رحلة ابن جبير ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

**الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت: 630هـ/ 1232م):**

37. اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1980م.

**الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت: 331هـ/ 942م)**

38. كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، 1938م.

**ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ( ت:597هـ/ 1200م ).**

39. تاريخ بيت المقدس، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.

40. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 12 جزء، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

41. الضعفاء والمتروكين، 3ج، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ.

**ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي (ت: 354هـ/ 965م).**

42. كتاب الثقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد، 1973م.

**ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب (ت: 245هـ/ 859م).**

43. كتاب المحبر، تحقيق: د.إيلزه ليختن شتير، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

**ابن حجر، الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ/ 1448م).**

44. تقريب التهذيب، تحقيق: ابو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة، د.ت.

45. رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998م.

46. الإصابة في تمييز الصحابة، 8 ج، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجليل، بيروت، 1412هـ.

47. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

**ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت:456هـ/ 1064م)**

48. جمهرة أنساب العرب، جزءان، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 2003م

**الحميري، محمد بن عبد المنعم الحِميري (ت:727هـ/ 1322م).**

49. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت،1980م.

**ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت:241هـ/ 855م)**

50. مسند الإمام أحمد بن حنبل، 50ج، تحقيق: شعيب الرنؤؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001.

**ابن حوقل، محمد بن حوقل (ت:331هـ/ 942م)**

51. صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

**ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت:280هـ/ 893م):**

52. المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889م.
**الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (ت: 463 هـ/ 1072م)**

53. تاريخ بغداد، 14 جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
**ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ( ت 808هـ/ 1405م)**

54. المقدمة، دار القلم ، بيروت، 1984.
55. كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
**ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر( ت: 681هـ/ 1281م ):**

56. وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968.
**الخوارزمي، ابو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت: 387هـ/ 996م)**

57. مفاتيح العلوم، تحقيق: محمد كمال الدين الأدهمي، (طبعة عثمان خليل)، مصر، 1930م.
**ابن خياط ، أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري ( ت: 240هـ/ 854م ).**

58. تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977.
**ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (ت:575هـ/ 1179م).**

59. فهرسة ابن خير الإشبيلي، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
**الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: 282هـ/ 895 م).**

60. الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، د.جمال الدين الشيال، طباعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، د.ت.
**الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ( ت: 748هـ/ 1348م ).**

61. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987.

62. سير أعلام النبلاء، 25ج، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985.

63. العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1948م.

64. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، جزءان، تحقيق: محمد عوانة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، 1992م.

**الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: بعد 666هـ/ 1268م)**

65. مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، 1995.

**الربعي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي (ت: 397هـ/ 1006م)**

66. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، 2ج، تحقيق د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، الرياض، 1410هـ.

67. ميزان الاعتدال، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية،بيروت، 1995م.

**الزبير بن بكار (ت:256هـ/ 870م)**

68. الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، 1996.

**الزبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت:1250هـ/ 1790م).**

69. تاج العروس من جواهر القاموس، 40 جزءاً، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، 1974.

**أبو زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري (ت:281هـ/ 894م).**

70. تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

**ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري ( ت: 230هـ/ 844م ):**

71. الطبقات الكبرى، 8 أجزاء، دار صادر، بيروت، د.ت.

**السخاوي، الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت: 902هـ/ 1496م)**

72. البلدانيات، تحقيق: حسام بن محمد القطان، دار العطاء، السعودية، 2001م.

73. فتح المغيث شرح ألفية الحديث، جزءان، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط1، 1403هـ.

**السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ( ت: 562هـ/ 1167م):**

74. الأنساب ، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، 5 أجزاء، ط1، دار الجنان ، بيروت، 1988

**ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ/ 1066م):**

75. المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، 11 ج، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

**ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن سينا (ت:428هـ/ 1037م).**

76. القانون في الطب، نسخة إلكترونية.

**السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ/ 1505م)**

**77.** تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، **1952م.**

78. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان – صيدا، د.ت.

**ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت: 684هـ/ 1285م)**

79. الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، طبعة إلكترونية، المكتبة الشاملة.

**الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت:548هـ/ 1153م):**

80. الملل والنحل، تحقيق : محمد سيد كيلاني، جزءان، دار المعرفة ، بيروت ، 1404هـ.

**شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الانصاري، (ت: 727 هـ/ 1327 م):**

81. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ليبسك، 1923م.

**الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت:764هـ/ 1362م).**

82. الوافي بالوفيات ، 29 جزءاً، تحقيق: أحمد الأرناؤوط زتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.

83. تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ق1، تحقيق: إحسان بنت سعيد خلوصي، زهير حميدان الصمصام، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1991م.

**صفي الدين البغداددي، بد المؤمن بن عبد الحق (ت:739هـ/ 1338م).**

84. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م.

**الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت: 335 هـ/ 946 م)**

85. أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم (من كتاب الأوراق)، تحقيق ونشر: ج.هيواث دن، مطبعة الصاوي، مصر، 1936.

**أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت: 386هـ/ 996م)**

86. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، جزءان، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م.

**الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ( ت 310هـ/ 922م )**

87. تاريخ الأمم والملوك، 5 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407 هـ.

88. جامع البيان في تأويل القرآن، 24 جزء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2000م.

**ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا ( ت 709هـ/ 1309م ) :**

89. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د.ت)

**ابن طيفور، أبي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب (ت: 280هـ/ 893م):**

90. كتاب بغداد، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2002م.

**ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي (ت:257هـ/ 870م):**

91. فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، 1996م.

**عبد القاهر البغدادي، أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي (ت: 426هـ/ 1037م).**

92. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1977م.
**ابن العبري: غريغوريوس الملطي (ت: 685 هـ / 1286م)**

93. تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، مصر، 2001م.
**ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت: 571هـ/ 1175م):**

94. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، 80جزء، دار الفكر، بيروت، 1998م.
**العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت: 295هـ/ 907م)**

95. الأوائل، تحقيق: محمد السيد الوكيل، دار البشير، مصر، 1987م.
**أبو العرب التميمي: محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي (ت: 333هـ/ 944م)**

96. كتاب المحن، تحقيق: د. عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، 1984م
**ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة اللّه بن أبي جرادة العقيلي (ت:660هـ/ 1261م).**

97. بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1988م.
**98.** زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
**ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: نحو 695هـ/ 1295م).**

**99.** البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جزءان، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال ، دار الثقافة، بيروت ، 1983 م
**العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت:1111هـ/ 1699م)**

100. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
**ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي ( ت 1089هـ/ 1687م ).**

101. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 4 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
**أبو الفتح السامري، (ت: بعد 756 هـ/ 1355م).**

102. التاريخ مما تقدم عن الآباء رضي الله عنهم،
**الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت:277هـ/ 890م)**

103. المعرفة والتاريخ برواية عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1410هـ.
**أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت: 732هـ/ 1331م).**

104. المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفداء) ،المطبعة الحسينية، مصر،ط1، 1940م.
105. تقويم البلدان، (طبعة مصورة عن طبعة باريس1830)، دار صادر، بيروت، د.ت.
**الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت:458هـ/ 1065م).**

106. الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
**ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت:799هـ/ 1396م)**

107. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
**ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت: نحو 340هـ/ 951م).**

108. مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1884م.
**ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت:276هـ/ 889م)**

109. عيون الأخبار، تحقيق: لجنة بدار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996.
110. المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
**قدامة بن جعفر ( ت 328هـ/ 939م ) :**

111. الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، العراق، د.ت.
**القرماني، أحمد بن يوسف (ت: 1019هـ/ 1610م):**

112. أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق: د. أحمد حطيط، د. فهمي سعد ، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1992م.
**القزويني، زكرياء بن محمد بن محمود (ت:682هـ/ 1283م)**

113. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.
**القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي (ت:454هـ/ 1061م)**

114. تاريخ القضاعي (عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف)، تحقيق: جميل عبد الله المصري، جامعة أم القرى، 1995.

**القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت:821هـ/ 1418م):**

115. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ، 1985.

116. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق : د. يوسف علي طويل، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى ، 1987.

**ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله**

117. أحكام أهل الذمة، 3 ج، تحقيق: يوسف أحمد البكري، شاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم، بيروت، 1997م.

**الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر (ت: 764هـ/ 1363م)**

118. عيون التواريخ ، تحقيق: د. عفيف نايف حاطوم، مكتبة الثقافة، بيروت، 1996.

**ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: 774هـ/ 1372م)**

119. البداية والنهاية، 14 جزء، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.

**الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف ( ت 350هـ/ 961م ):**

120. الولاة والقضاة ، تهذيب وتصحيح: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908.

**مالك (الإمام)، الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت:179هـ/ 796م).**

121. الموطأ (رواية يحيى الليثي)، جزءان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.

**الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت:450هـ/ 1058م)**

122. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: احمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م.

**مؤلف مجهول، ( منسوب لابن قتيبة).**

**123. الإمامة والسياسة، جزءان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.**

**مؤلف مجهول، (من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي).**

124. أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده ، تحقيق: د. عبد العزيز الدوري و د. عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1971م.

**مؤلف مجهول**

125. العيون والحدائق في أخبار الحقائق، الجزء الثالث، تحقيق: M. J. DE. Joeje ، 1871.

**المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت: 286هـ/ 899م)**

126. كتاب التعازي والمراثي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

**مجير الدين الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد العليمي (ت:927هـ/ 1521م)**

127. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جزءان، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، 1999م.

**المراكشي ، محيي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي (647هـ/ 1250م).**

128. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1368هـ.

**المرعشي، الحسين بن محمد ( ت: 421هـ/ 1030م)**

129. غرر السير، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م.

**المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (ت:742هـ/ 1341م)**

130. تهذيب الكمال، تحقيق: د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1، 1980م.

**المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: 346هـ/ 957م):**

131. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مصطفى السيد بن أبي ليلة، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.

**132.** التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي – القاهرة

**مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: 421هـ/ 1030م)**

133. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

**مسلم (الإمام)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: 261هـ/ 875م)**

134. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، 8 أجزاء، دار الجيل،بيروت، د.ت.

**المصعب الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت: 236هـ/ 850م).**

135. نسب قريش، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، دا رالمعارف، ط3، د.ت.

**المطهر المقدسي، مطهر بن طاهر (ت: بعد 355هـ/ 966م):**

136. البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.

**الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقريء (ت:770هـ/ 1368م).**

137. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، بيروت،1987م.

**المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت: 845هـ/ 1441م)**

138. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، جزءان، مكتبة الثقافة ، مصر، ط2، 1987م.

139. المقفى الكبير، 8 أجزاء، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م.

140. السلوك لمعرفة دول الملوك، جزءان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997.

141. النقود الإسلامية القديمة، رسائل المقريزي، تحقيق: رمضان البدري وأحمد مصطفى قاسم، دار الحديث، القاهرة، 1998م.

**ابن المقفع، أبو محمد عبد الله (ت:142هـ/ 759م).**

142. رسالة في الصحابة، ضمن: رسائل البلغاء (جمع محمد كرد علي)، دار الكتب العربية الكبرى، 1913م.

**المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين المنبجي (من ق: 4هـ/ 10م)**

143. المنتخب من تاريخ المنبجي، انتخبه وحققه: عمر عبد السلام تدمري، دار المنصور، لبنان، 1986م.

**ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري**

144. لسان العرب، 15 جزء، دار صادر ، بيروت، د.ت.

145. مختصر تاريخ دمشق،

**ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي (ت:481هـ/ 1087م):**

146. سفر نامة، تحقيق: د. يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد ، بيروت، 1983.

**أبو نصر البخاري الكلاباذي، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، (ت: 398هـ/ 1007م)**

147. الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، جزءان، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة ، بيروت، ط1، 1407هـ.

**أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله ( ت: 430 هـ/ 1038 م)**

148. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 10 ج، دار الكتاب العربي – بيروت، ط4، 1405هـ.

**النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت:676هـ/ 1277م).**

149. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، 18ج، دار إحياء التراث، بيروت، 1398هـ.

**150.** تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، د.ت.

**النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت:733هـ/ 1333م)**

151. نهاية الأرب في فنون الأدب، 33 ج، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.
**الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود (ت: بعد 336هـ/ 947م)**

152. صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن، 1884م.
**ابن الوردي، سراج الدين أبي حفص عمر**

153. خريدة العجائب وفريدة الغرائب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1341هـ.
**ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (ت:749هـ/ 1348م)**

154. تاريخ ابن الوردي، جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م
**وكيع، أَبُوبَكْرٍ محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي (ت: 306هـ/ 918م).**

155. أخبار القضاة، صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، 3 أجزاء، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1947.
**ياقوت الحموي، بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ( ت: 626هـ/ 1229م):**

156. معجم البلدان، دار الفكر ، بيروت، د.ت.
157. الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، محمد أديب جمران، وزارة الثقافة، سوريا، 1998م.
158. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، 7ج، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.
159. المشترك وضعاً المفترق صقعاً، عالم الكتب، بيروت، 1986م.
**يحيى بن آدم القرشي (ت:203هـ/ 818م )**

160. كتاب الخراج، تحقيق: د. حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة، 1987م.
**أبو يعلى الخليلي، الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني (ت: )**

161. الإرشاد في معرفة علماء الحديث، 3ج، تحقيق : د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.

**يعقوب الفيتري، بطريرك عكا (القرن: 7هـ/ 13م).**

162. تاريخ بيت المقدس، ترجمة: سعيد البشاوي، دار الشروق، عمان، 1998م.

**اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن أبي جعر العباسي ( ت: 284هـ/ 897م ).**

163. تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، بيروت، د.ت.

164. البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1860م.

**أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت: 182هـ/ 798م).**

165. الخراج، دار المعرفة ، بيروت، لبنان، 1979م.

## ثالثاً: المصادر الأجنبية.

**Bernard the Wise.**

**The Voyage of Bernard the Wise,** Early Travels in Palestine, Edited: **Thomas Wright, London, G. woodfall.**

**Theophanes (the Confessor)**

1. The Chronicle of Theophanes: an English translation of anni mundi 6095-6305. university of pennselvinia. USA.

**Willibald.**

The Travels of Willibald, A.D 721-7227, Early Travels in Palestine, Edited: **Thomas Wright, London, G. woodfall.**

**رابعاً: المراجع العربية والمعربة:**

**آل إسماعيل، نبيل بن محمد إبراهيم**

1. علم القراءات نشأته وأطواره وأثره في العلوم الشرعية، مكتبة التوبة، الرياض، 2000م.

**أمين، أحمد**

2. ضحى الإسلام، 3ج، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1998م.

**بروكلمان، كارل**

3. تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.

**بني سلامة، جميل**

4. دمشق في العصر العباسي خلال الفترة (132-264هـ)، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، 2003.

**بهادر، شهاب الله**

5. معجم ما ألف في فضائل وتاريخ المسجد الأقصى والقدس وفلسطين ومدنها، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2009.

**بيطار، أمينة**

6. تاريخ العصر العباسي، جامعة دمشق، دمشق، 1996.

**بيضون، إبراهيم**

7. تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع في العصور الإسلامية، دار المنتخب العربي، بيروت، 1997م.

**جقمان، حنا عبد الله**

8. جولة في تاريخ بيت لحم من أقدم الأزمنة حتى اليوم ، مطبعة بطريركية الروم الأرثوذكس، القدس، 1984.

**جمعة، علي**

المكاييل والأوزان الشرعية، القدس للإعلان والنشر، القاهرة، 2001م.

**جودة، صادق أحمد**

9. مدينة الرملة منذ نشأتها حتى عام 492هـ،

**حتي، فيليب**

10. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: د. جورج حداد ، عبد الكريم رافـق، دار الثقافـة، بيروت، 1983م.

**حمارنة، صالح**

11. الناس والأرض دراسات في تاريخ جنوب بلاد الشام في القرون الثلاثة الهجريـة الأولى، دار الينابيع ، الأردن، 1991م.

**حلاق، محمد صبحي بن حسن**

12. الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقـود الشـرعية، مكتبـة الجيـل الجديد، اليمن، 2007م.

**الحوت، بيان نويهض**

13. فلسطين القضية الشعب الحضارة ، دار الاستقلال ، بيروت ، ط 1، 1991.

**خان، ظفر الإسلام**

14. تاريخ فلسطين القـديم منـذ أول غـزو يهـودي حتـى آخـر غـزو صـليبي 1220ق.م – 1359م ، ط3، دار النفائس ، 1981.

**خمار، قسطنطين**

15. موسوعة فلسطين الجغرافية، منشورات اليسار، 1988.

**الدباغ، مصطفى مراد**

16. بلادنا فلسطين، دار الهدى، كفر قرع، 1997م.
17. الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين، منشورات اليسار،1988م.
18. القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين، منشورات اليسار،1988م.

**الدوري، عبد العزيز (ت:2010م)**

19. العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة، بيروت، 1997م.
20. نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، 2000.
21. القدس في الفترة الإسلامية الأولى، أوراق في التاريخ العربي الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003.

**أبو الرب، هاني**

22. تاريخ فلسطين في صدر الإسلام، منشورات بيت المقدس، عمان، 2003.

**رحاحلة ، إبراهيم القاسم**

23. النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.

**الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت:1396هـ/ 1975م).**

24. الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت،2002م.

**زيادة، نقولا**

25. الجغرافية والرحلات عند العرب، الشركة العالمية للكتاب ، لبنان، 1987م.

**زيدان، عبد الكريم**

26. نظام القضاء في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1989.

**سركيس، خليل**

27. تاريخ أورشليم، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2001.

**شوفاني، إلياس**

28. الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1963م.

**العارف، عارف**

29. المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، القدس، 1986.

**العبادي، أحمد مختار**

30. في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت.

**العبادي، عبد الحميد**

31. صور وبحوث من التاريخ الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1953.

**عباس، إحسان:**

32. فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993م.

**عزام، خالد:**

33. العصر العباسي، دار أسامة، الأردن، ط1، 2006م.

**عزب، خالد:**

**34.** كيف واجهت الحضارة الإسلامية مشكلة المياه، من منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الأيسيسكو).
http://www.isesco.org.ma/arabe/publications/Mochkil%20Miyah/P5.php

**عطوان، حسين**

35. الدعوة العباسية مبادئ وأساليب، دار الجيل، بيروت.

36. الدعوة العباسية تاريخ وتطور، دار الجيل، بيروت، 1995.

37. القراءات القرآنية في بلاد الشام، دار الجيل، بيروت، 1982.

38. الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، دار الجليل، بيروت، 1981.

39. الوليد بن يزيد عرض ونقد، دار الجليل، بيروت، 1981.

**عمارة، محمد**

40. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ص 399، دار الشروق، بيروت، ط1، 1993م.

**غنيمة، يوسف رزق الله**

41. نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، المكتبة العربية، بغداد، ط1، 1924م.

**فلهاوزن، يوليوس**

42. تاريخ الدولة العربية، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة، 1968م.

**فهمي، علي محمود**

43. التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة: د. قاسم عبده قاسم، دار الوحدة، بيروت، 1981م.

**القيسي، ناهض عبد الرزاق**

44. الفلس العربي الإسلامي منذ صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي، دار المناهج، عمان ، 2006.

**الكساسبة، حسين فلاح**

45. السلطة القضائية في العصر العباسي الأول، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2001.

**أبو ليل، أمين سعيد**

46. مخطوطات التصوف في فلسطين دراسة ببليوغرافية، مكتبة المنار، الأردن، ط1، ص1988.

**المبيض، سليم عرفات**

47. النقود العربية الفلسطينية وسكتها المدنية الأجنبية من القرن السادس قبل الميلاد وحتى عام 1946م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1989م.

**متز، آدم**

48. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الإسلامية، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، د.ت.

**محمود، حسن أحمد، الشريف، أحمد إبراهيم**

49. العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، مصر، د.ت.
**مصطفى، إبراهيم، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار**

50. المعجم الوسيط، جزءان، دار الدعوة.
**المناصير، محمد عبد الحفيظ**

51. الجيش في العصر العباسي الأول، دار مجدلاوي، عمان، 2000م.
منصور، القس أسعد

تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة، مطبعة الهلال ، ***1934***.

**أبو نحل، أسامة محمد**

52. الصحابة وأدوارهم على أرض فلسطين، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، 2007م.
**عمر الصالح البرغوثي، خليل طوطح :**

53. تاريخ فلسطين ، مكتبة الثقافة الدينية
**عبد اللطيف، عبد الشافي محمد**

54. العالم الإسلامي في العصر الأموي، ط1، 1984م.
**عبودي، هنري س.**

55. معجم الحضارات السامية، جروس برس، لبنان، 1991م.
**عبيدات، فوزي محمد سليمان**

56. أهمية منطقة غور الأردن في صدر الإسلام، منشورات وزارة الثقافة، الأردن، 1997م.
**عتر، نور الدين**

57. منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر ، دمشق، 1997م.
**عرار، عبد العزيز**

58. قرية بيت جبرين، منشورات جامعة بيرزيت، فلسطين، 1995م.

**فييه، جان موريس**

59. أحوال النصارى في خلافة بني العباس، دار المشرق، بيروت، ط1، 1990م.

**الوافي، سمية**

**60.** التعليم في بلاد الشام في العصر الأموي (رسالة ماجستير غير منشورة)

**همو، عبد المجيد**

61. الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، دار الأوائل، دمشق، 2004.

**يوسف، حمد أحمد عبد الله**

62. بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، دائرة الأوقاف والشئون الإسلامية، القدس، ط1، 1982م.

## خامساً: المراجع الأجنبية:

**Creswell, K. A. C.**

1. A short account of early muslim architecture, The American University in Cairo press, Cairo, 1989.

**Gil, *Moshe***

2. A History of Palestine, 634–1099, Translated from the Hebrew by Ethel Broido, Cambridge University Press, 1997.

**Goldschmidt, Arther**

3. Aconcise History of the Middle east, Westview Press.1979.

**Haas, Jacob De**

4. History of Palestine the last two thousand years, New York, The Macmillan company.1934.

**Hyamson, Albert M.**

5. Palestine, The Rebirth of An Ancient People, New York, Alefred A. Knope.1917.

**Kildani, Hanna**

6. Modern Christianity in the Holy Land, AuthorHouse, 2010.

**Le strange,**

7. Palestine under the Moslems Adescription of syria and the holy land, Committee of the Palestine Exploration Fund, 1890.

**Montgomery, James Alan**

8. The Samaritans, Philadelphia, the john C., 1907.

## سادساً: المقالات العربية:

**البهنسي، عفيف**

1. فن العمارة والزخرفة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4، بيروت، 1990م.

**بيطار، أمينة**

2. النظم الإدارية في بلاد الشام، مجلة البحث التاريخي، ع2، 1979م.

**بني حمد، فيصل عبد الله**

3. قطائع بني العباس ومنازلهم في العصر العباسي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، مج16، ع1، 2008.

**الخالدي، خالد**

4. الزلازل في بلاد الشام (القرن1-13هـ/ 7-19م)، مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، مج13، ع1.

**الدوري، عبد العزيز**

5. تنظيمات عمر بن الخطاب (الضرائب في بلاد الشام)، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، ج2، تحرير: محمد عدنان البخيت، إحسان عباس، عمان، 1987.

**الذنيبات، عوض عبد الكريم**

6. أعلام التصوف والزهد في العصر العباسي الأول، مجلة أفكار، ع178، 2003.

**النتشة، يوسف سعيد**

7. سكة فلسطين منذ قيام العباسيين حتى استقلال الطولونيين، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام «فلسطين»، ج2 (جغرافية فلسطين وحضارتها)، الجامعة الأردنية، 1983م.

**عاقل، نبيه**

8. فلسطين من الفتح العربي الإسلامي إلى أواسط القرن 4هـ/ 10م، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج2، بيروت، 1990م.

**العسلي، كامل.**

9. التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج3، بيروت، 1990م.

10. العلوم الإسلامية في فلسطين، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج3، بيروت، 1990م.

11. مكانة القدس عربياً وإسلامياً عبر التاريخ، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج6، بيروت، 1990.

**قدح، محمود بن عبد الرحمن.**

12. موجز تاريخ اليهود، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ع107، ص260.

**سابعاً: المقالات الأجنبية:**

**Ashtor, Eliyahu, and others**
1. Jerusalim – Arab period, Encyclopaedia Judaica,vol. 11**,** second edition.
**Cahen, CL.**
2. Kharadj, The Encyclopedia of Islam, vol.4, , New Edition, Lieden, E. J. prell.1997.
**Creswell, K. A. C.**
**3.** Architecture, Encyclopedia of Islam, vol.1, New Edition,
**Goitien, S.D.**
4. Al-Kuds – history, Encyclopedia of Islam, vol.5, New Edition, Lieden, E. J. prell.1986.
**Lasker and Citonne**
5. Karaites, Encyclopaedia Judaica,vol. 11, , New Edition, Lieden, E. J. prell, 2000.
**Macdonald , John**
**6.** Samaritans- Late Roman to Crusader Period, Encyclopedia judica**,** second edition**.**
**Sharon M.**
7. Nahr Abi Futrus, The Encyclopedia of Islam, vol. 7, New Edition, Lieden, E. J. prell.1993.
8. Ludd, The Encyclopedia of Islam, vol.5, New Edition, Lieden, E. J. prell.1986.
**Udovitch, A. L.**

9. Fals, Encyclopadia of Islam, vol.2, New Edition, Lieden, E. J. prell.1991.

## ثامناً: مواقع انترنت.

1. أرشيف كريزويل.

http://creswell.ashmolean.org/php/am-makepage1.php?&db=creswell&view=gall&neg=&coun=&city=jerusalem&name=&func=&adaf=&adbe=&ahaf=&ahbe=&strt=5&what=Search&cpos=118&s1=mainid&s2=&s3=&dno=25

2. كريزويل- ويكبيديا

K. A. C. Creswell , Wikipedia, the free encyclopedia.

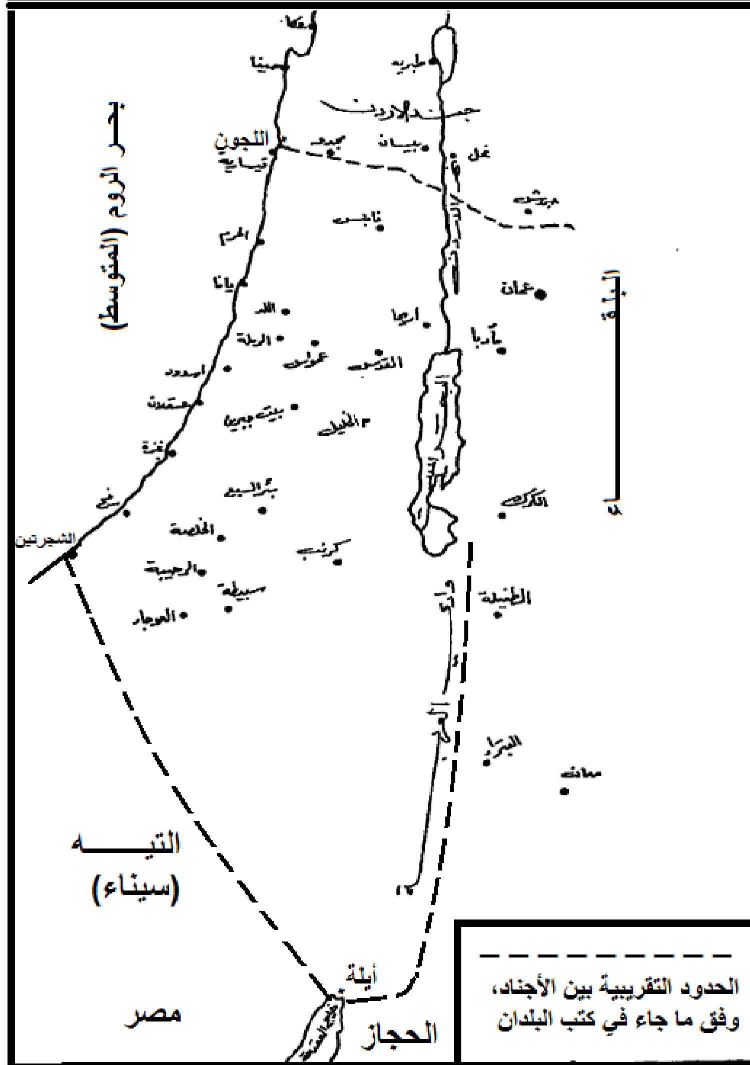
3. مدونة بيت إيميت

http://beitemmett.blogspot.com/2010/06/ramla-and-latrun.html

ملحــق (1)

ملحق رقم (1)

حدود جند فلسطين فترة الدراسة




(المصدر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ق2، ج4، ص8 بتصرف)

# الفهرس